معالم دعوة الأنبياء

عليهم الصلاة والسلام

(٣)

الطَّبْعَة الأولى

١٤٤٣ـ٢٠٢٢

ⓒ محمد عبد العزيز العواجي، ١٤٤٢هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
العواجي، محمد عبد العزيز محمد
موسوعة دليل الداعية. / محمد عبد العزيز محمد العواجي. -
المدينة المنورة، ١٤٤٢هـ
١٦ مج.
ردمك: ٦-٧٥٨٠-٠٣-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)
ردمك: ٧-٧٥٨٣-٠٣-٦٠٣-٩٧٨ (ج٣)
١- الدعوة الإسلامية ٢- الدعاة أ- العنوان
ديوي ٢١٣ ١٤٤٢/٧١٧٩

رقم الإيداع: ١٤٤٢/٧١٧٩ ردمك: ٦-٧٥٨٠-٠٣-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)
ردمك: ٧-٧٥٨٣-٠٣-٦٠٣-٩٧٨ (ج٣)

تم هذا المشروع برعاية

الجميح الخيرية
AL ALJOMAIH CHARITY

مكتب الدار للدراسات والاستشارات التربوية والتعليمية
ADDARR OFFICE FOR STUDIES OF EDUCATIONAL AND CONSULTING

موسوعة دليل الداعية (٣)

معالم دعوة الأنبياء

عليهم الصلاة والسلام

مشروع بحثي قام به مكتب
الدار للدراسات والاستشارات التعليمية والتربوية
تحت إشراف معهد البحوث والدراسات
في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

تأليف
أ. د. محمد بن عبد العزيز بن محمد العواجي
أستاذ التفسير وعلوم القرآن بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

١٤٤٣ - ٢٠٢٢

المجلد الثاني - الجزء الثاني

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

فريق عمل الموسوعة

المشرف العام والباحث الرئيس:

أ.د. محمد بن عبدالعزيز بن محمد العواجي

أستاذ التفسير وعلوم القرآن بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

ورئيس مجلس إدارة جمعية رعاية طلاب العلم بالمدينة المنورة

الباحث والمشرف العلمي:

د. عبدالرحمن السيد جويل

دكتوراة في الدعوة والثقافة الإسلامية

المستشار بجمعية رعاية طلاب العلم بالمدينة المنورة

والباحث في الدعوة والدراسات الإسلامية

الباحث:

الشيخ: عبدالصمد محمد البركة

باحث دكتوراة في الدعوة والثقافة الإسلامية في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

الشيخ: أحمد يوسف الشناوي

بكالوريوس الدعوة وأصول الدين في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

التدقيق اللغوي:

أ. السيد مصطفى محمد جويل (رحمه الله)

مشرف التربية الإسلامية في التعليم الخاص

التحكيم العلمي:

أ.د. أحمد عبدالهادي شاهين حمودة

أستاذ الدعوة والثقافة الإسلامية- جامعة طيبة

د. فهد بن محمد فرحان الوهبي

باحث في الدراسات الدعوية والثقافة الإسلامية

دكتوراة دعوة وثقافة إسلامية - معلم دراسات إسلامية تعليم المدينة المنورة

أعضاء فريق مكتب الدار للاستشارات:

١- د. علي بن خالد الدويش

الأستاذ المساعد بكلية القرآن والدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية

٢- د. محمد بن عمر عقيلي

الأستاذ المساعد بكلية القرآن والدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية

الفصل الرابع

دعوة الرسل من ذرية إبراهيم

ويتضمن خمسة مباحث:

المبحث الأول: دعوة إسماعيل عليه السلام.

المبحث الثاني: دعوة إسحاق عليه السلام.

المبحث الثالث: دعوة أيوب عليه السلام.

المبحث الرابع: دعوة يعقوب عليه السلام.

المبحث الخامس: دعوة يوسف عليه السلام.

المبحث الأول

دعوة إسماعيل عليه السلام

المطلب الأول التعريف بإسماعيل عليه السلام.

المطلب الثاني الخصائص الدعوية لإسماعيل عليه السلام.

المطلب الثالث الصفات الدعوية لإسماعيل عليه السلام.

المطلب الرابع أسس دعوة إسماعيل عليه السلام.

المطلب الخامس وسائل وأساليب دعوة إسماعيل عليه السلام.

المطلب السادس نتيجة دعوة إسماعيل عليه السلام.

المطلب السابع الدروس المستفادة من دعوة إسماعيل عليه السلام.

المطلب الأول
التعريف بإسماعيل عليه السلام

هو إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليهما السلام، ومعناه بالسريانية: مطيع الله، ولذا يُكنَّى من كان اسمه إسماعيل بأبي مطيع، ولدته أمه هاجر رضي الله عنها ولإبراهيم عليه السلام من العمر ست وثمانون سنة، قبل مولد إسحاق عليه السلام بثلاث عشرة سنة(١).

وأمه هاجر، من قبط مصر، من قرية يقال لها: أم العرب قرب الفرما.

وكان إسماعيل عليه السلام رسولاً إلى قبائل جرهم والعماليق من أهل اليمن(٢)، أرسله الله تعالى إلى أخواله، وإلى العماليق الذين كانوا بأرض الحجاز، فآمن بعضهم، وكفر بعضهم، وهو أكبر أولاد أبيه، وبين وفاته ومولد نبينا صلى الله عليه وسلم نحو من ألفين وستمائة سنة.

وذكر بعضهم أن إسماعيل عليه السلام أول من تسمى بهذا الاسم من بني آدم(٣).

المطلب الثاني
الخصائص الدعوية لإسماعيل عليه السلام

✧ أولاً: كان رسولاً نبيّاً:

قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا﴾ [مريم: ٥٤]،

---

(١) قصص الأنبياء لابن كثير ١/ ٢٩٥.

(٢) قصص الأنبياء لابن كثير ١/ ٢٠١.

(٣) تاج العروس ٢٩/ ٢٢٩، وفقه اللغة ١/ ١٥، والمزهر في علوم اللغة ١/ ٣٠.

أي «كان من رسلنا الذين أرسلناهم لتبليغ شريعتنا، ومن أنبيائنا الذين رفعنا منزلتهم، وأعلينا قدرهم»[١].

فقد جمع الله له النبوة والرسالة، وهذا فيه بيان لفضله عَلَيْهِ السَّلَامُ ومنزلته العالية عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

✧ ثانياً: رضى الله عنه:

قال تعالى: ﴿وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا﴾ [مريم: ٥٥]، أي: «عمله، محموداً فيما كلفه ربه، غير مقصر في طاعته»[٢].

«هذا أيضاً من الثناء الجميل، والصفة الحميدة، والخلة السديدة، حيث كان مثابراً على طاعة ربه آمراً بها لأهله»[٣].

«وذلك بسبب امتثاله لمراضي ربه واجتهاده فيما يرضيه، ارتضاه الله وجعله من خواص عباده وأوليائه المقربين، فرضي الله عنه، ورضي هو عن ربه»[٤].

فقد كان إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ عند ربه مرضي الخصال والفعال، لاستقامته في أقواله وأفعاله، من صدقه للوعد، وأمره أهله بالصلاة والزكاة، ولا شك أن من اجتمعت فيه هذه الخصال، كان من أهل رضى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فهو عَلَيْهِ السَّلَامُ رضيٌّ في ذاته ومرضي عند ربه الذي خلقه وكوَّنه وقام على وجوده، وهذا أعلى ما يصل إليه المؤمن، ولذا قال تعالى بعد ذكر نعيم الجنة المقيم ﴿وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ٧٢]، فرضوان الله أكبر من كل جزاء، اللهم أدم علينا نعمتك وامنحنا رضاك[٥].

---

(١) تفسير الوسيط للطنطاوي ٩/ ٤٧.

(٢) جامع البيان ١٨/ ٢١٢.

(٣) تفسير القرآن العظيم ٥/ ٢٤٠.

(٤) تيسير الكريم الرحمن ص٤٦٩.

(٥) زهرة التفاسير لأبي زهرة ٩/ ٤٦٦٠.

ثالثاً: فضله الله على العالمين:

قال تعالى: ﴿وَإِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطٗاۚ وَكُلّٗا فَضَّلۡنَا عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ٨٦]، وفيه تصريح من الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ على تفضيل إسماعيل عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، فهو ممن فضلهم الله تعالى واختصهم على الناس بالرسالة والنبوة وببناء البيت العتيق، إلى غير ذلك من الفضائل التي منحها الله نبيه إسماعيل عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ.

رابعاً: هبة من الله لنبيه إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ:

قال تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلۡكِبَرِ إِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ [إبراهيم: ٣٩]. وقال تعالى: ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُم مِّن رَّحۡمَتِنَا وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ لِسَانَ صِدۡقٍ عَلِيّٗا﴾ [مريم: ٥٠]، فإرساله وبعثته للناس هو محض هبة من الله تعالى على إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ خاصة وعلى الناس عامة، وقال تعالى: ﴿رَبِّ هَبۡ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الصافات: ١٠٠].

المطلب الثالث
الصفات الدعوية لإسماعيل عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ

أولاً: الصلاح:

فقد دعا إبراهيم ربه أن يرزقه ذرية صالحة فقال: ﴿رَبِّ هَبۡ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الصافات: ١٠٠]، «وهذا مسألة إبراهيم ربه أن يرزقه ولدا صالحاً، يقول: قال: يا رب هب لي منك ولدا يكون من الصالحين الذين يطيعونك، ولا يعصونك، ويصلحون في الأرض، ولا يفسدون»(١).

---

(١) جامع البيان ٢١/ ٧٢.

فاستجاب الله دعائه بقوله: ﴿فَبَشَّرۡنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٖ﴾ [الصافات: ١٠١]، وهو إسماعيل.

❑ ثانياً: الحلم:

قال تعالى: ﴿فَبَشَّرۡنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٖ﴾ [الصافات١٠١].

«ووصف الله إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ بالحلم، وهو يتضمن الصبر، وحسن الخلق، وسعة الصدر والعفو عمن جنى»[(١)].

❑ ثالثاً: صدق الوعد:

قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ﴾ [مريم: ٥٤].

أي: «واذكر يا محمد في الكتاب إسماعيل بن إبراهيم، فاقصص خبره إنه كان لا يكذب وعده، ولا يخلف، ولكنه كان إذا وعد ربه، أو عبداً من عباده وعداً وفَّى به»[(٢)]، وعن ابن جريج، قال: «لم يعد ربه عِدة إلا أنجزها»[(٣)].

فصدق الوعد صفة كل نبي وكل صالح. فقد وصفه الله أنه ﴿صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ﴾ «بسبب أنه لا يعد وعداً إلا مقروناً بالاستثناء، كما قال لأبيه حين أخبرهم بأمر ذبحه: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾»[(٤)].

❑ رابعاً: حرصة على أهل بيته:

قال تعالى: ﴿وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ﴾ [مريم: ٥٥].

«كان يبدأ أهله في الأمر بالصلاح والعبادة ليجعلهم قدوة لمن وراءهم. ولأنهم

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ٧٠٥.

(٢) جامع البيان ١٨/ ٢١١.

(٣) جامع البيان ١٨/ ٢١١، الدر المنثور ٥/ ٥١٦.

(٤) نظم الدرر للبقاعي ٤/ ٥٤١.

أولى من سائر الناس»[١].

فبجانب حرصه هو عَلَيْهِ السَّلَامُ على أداء هاتين الفريضتين، فإنه كان يأمر أهله وأقرب الناس إليه بأداء هاتين الفريضتين، لكي يكون هو وأهله قدوة لغيرهم في العمل الصالح.

يقول ابن سعدي (أي: كان مقيماً لأمر الله على أهله، فيأمرهم بالصلاة المتضمنة للإخلاص للمعبود، وبالزكاة المتضمنة للإحسان إلى العبيد، فكمل نفسه، وكمل غيره، وخصوصاً أخص الناس عنده وهم أهله، لأنهم أحق بدعوته من غيرهم»[٢].

❑ خامساً: الصبر:

وذلك في صبره عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا أخبره إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ بأمر الله له بذبحه فما كان من إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ إلا أن امتثل أمر الله تعالى بلا تردد أو تشكك، قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [الصافات: ١٠٢].

❑ سادساً: التسليم الكامل لأمر الله:

قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [الصافات١٠١ - ١٠٢].

قال ابن كثير: «وإنما أعلم ابنه بذلك ليكون أهون عليه، وليختبر صبره وجلده وعزمه من صغره على طاعة الله تعالى وطاعة أبيه»[٣]. فماذا يكون من أمر الغلام، الذي يعرض عليه الذبح، تصديقاً لرؤيا رآها أبوه؟

---

(١) محاسن التأويل ٧/ ١٠٤.

(٢) تيسير الكريم الرحمن ٤٩٦.

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٧/ ٢٨.

إنه يرتقي إلى الأفق الذي ارتقى إليه من قبل أبوه: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ إنه يتلقى الأمر لا في طاعة واستسلام فحسب. ولكن في رضاً كذلك وفي يقين ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾ في مودة وقربى، فشبح الذبح لا يزعجه ولا يفزعه ولا يفقده رشده، بل لا يفقده أدبه ومودته. ﴿ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُ﴾ فهو أحس أن الرؤيا أمر. وأنها تكفي لكي يلبي وينفذ بغير لجلجة ولا تمحل ولا ارتياب.

❑ سابعاً: الأدب والتواضع لله:

قال تعالى عنه: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ «فالابن قد وطَّن نفسه على الصبر، وهانت عليه في طاعة ربه ورضا والده نفسُه، وقرن ذلك بمشيئة اللّه تعالى، لأنه لا يكون شيء بدون مشيئة اللّه تعالى»[١].

الأدب مع الله، ومعرفة حدود قدرته وطاقته في الاحتمال؛ والاستعانة بربه على ضعفه ونسبة الفضل إليه في إعانته على التضحية، ومساعدته على الطاعة: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ فلم يأخذها بطولة، أو شجاعة، أو اندفاعاً إلى الخطر دون مبالاة. ولم يُظهر لشخصه ظلاً ولا حجماً ولا وزناً.. إنما أرجع الفضل كله لله إذ هو من أعانه على ما يطلب، وصبَّره على ما يراد به: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾.

❑ ثامناً: بره بوالده إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ:

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ﴾ [الصافات١٠٢]، قال القرطبي: «فلما بلغ معه المبلغ الذي يسعى مع أبيه في أمور دنياه معيناً له على أعماله»[٢]، وقال أبو حيان: «أي أن يسعى مع أبيه في أشغاله وحوائجه»[٣].

(١) تيسير الكريم الرحمن ص ٧٠٦.
(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٥/ ٩٩.
(٣) البحر المحيط لأبي حيان ٩/ ٣٠٧.

وهذا البر المطلق من إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ يتجلى في ثلاثة مواقف:

الأول: الامتثال المطلق من إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ لما أخبره إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ بالرؤيا التي رآها بأنه يذبح ابنه الوحيد، ورؤيا الأنبياء حق، فما كان من إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ إلا أن قال بلا نقاش أو استفسار أو تردد ﴿قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الصافات: ١٠].

الثاني: في قصة زيارة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ لبيته وكيف أنه أمره بتطليق زوجته الأولى غير الشاكرة لله، وغير الراضية دائماً، وأمره له بالإمساك بزوجته الثانية لشكرها لنعم الله ورضاها عن حالها وحال زوجها، وما كان من إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ إلا أن نفذ كلام والده بحذافيره، فكان فيه الخير والنفع[1].

الثالث: طاعته عَلَيْهِ السَّلَامُ لأبيه وعونه له في بناء الكعبة، حيث أخبره بأمر الله ببناء الكعبة قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ﴾ [البقرة: ١٢٧].

☐ تاسعاً: الكسب من عمل يده:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧] «ويؤخذ من هذا درس لطيف؛ وهو أنه على الدعاة أن تكون لديهم خبرات في تلبية احتياجات الدعوة، فعندما أمر الله تعالى إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ ببناء الكعبة، كانت تحتاج إلى معرفة وخبرة بالبناء»[2].

وكذلك اشتغل إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ في الصيد، فقد ثبت في قصة إبراهيم وإسماعيل

---

(١) انظر الحديث بطوله في صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب: حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن نصر (٣٣٦٤).

(٢) رعاية الله لأنبيائه في القرآن، د. محمد بن عبد العزيز العواجي، ص٢٢.

عليه السلام: (... فجاء إبراهيم بعد ما تزوج إسماعيل يطالع تركته فلم يجد إسماعيل فسأل امرأته عنه فقالت: خرج يبتغي لنا)(١)، وفي رواية: (وكان عيش إسماعيل الصيد يخرج فيتصيد)، وفي رواية: (وكان إسماعيل يرعى ماشيته ويخرج متنكباً قوسه فيرمي الصيد)(٢). فقوله: (يبتغي لنا) قال ابن حجر: «أي يطلب لنا الرزق»(٣).

❑ عاشراً: الدعاء:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧ - ١٢٩].

ففي الآية أدب الدعاء والتواضع لله تعالى: فقوله: «﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ﴾ أي: عاملنا بفضلك، ولا ترده علينا؛ إشعاراً بالاعتراف بالتقصير؛ لحقارة العبد - وإن اجتهد - في جنب عظمة مولاه»(٤).

إنه «استحضارٌ لهذا الأمر ليقتدي الناس به في إتيان الطاعات الشاقة مع الابتهال في قبولها وليعلموا عظمة البيت المبني فيعظموه»(٥).

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب ﴿يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾﴾ (٣١٨٤).

(٢) الروايتان ذكرهما ابن حجر عن ابن جريج في فتح الباري ٦/ ٤٠٤ وسكت عنهما، ولم أقف عليهما في مرجع آخر.

(٣) فتح الباري ٦/ ٤٠٤.

(٤) نظم الدرر ١/ ٢٤٢.

(٥) روح المعاني ١/ ٣٨٣.

إن «هذا الدعاء استتابه لما فرط من التقصير. فإن العبد، وإن اجتهد في طاعة ربه، فإنه لا ينفك عن التقصير من بعض الوجوه إما على سبيل السهو والنسيان، أو على سبيل ترك الأولى، فالدعاء منهما عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، لأجل ذلك»(١).

فهذا الدعاء في الشمول لقبول العمل والثناء على الله والدعاء بالثبات على الطاعات والاستسلام الكامل لله، ولم يخص نفسه بل ذريته من بعده، وطلب الهداية لكيفية الطاعة، وكذلك شمولية الدعاء للأجيال القادمة بأن يرسل الله لهم من يعلمهم ويزكيهم ويهديهم.

المطلب الرابع

أسس دعوة إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ

أولاً: توحيد الله تعالى:

قال تعالى: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٣]، وقال تعالى: ﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ﴾ [البقرة: ١٣٦].

فكان من أسس دعوته عَلَيْهِ السَّلَامُ توحيد الله تعالى وإفراده بالعبادة، وأن ما أنزل إليه عَلَيْهِ السَّلَامُ هو الإسلام وهو الاستسلام لله تعالى في العبادة وفى الأوامر والنواهي ونبذ كل ما يعبد من دون الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، بل عبادة الله وحده إله إبراهيم إسماعيل وجميع الأنبياء المرسلين والخلق أجمعين.

---

(١) محاسن التأويل ١/ ٣٩٨.

ثانياً: الرسالة والنبوَّة:

قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا﴾ [مريم: ٥٤]

يعني: كان رسولاً إلى قومه، نبيّاً يخبر عن الله ﷻ(١)، وقال تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ﴾ [البقرة: ١٣٦].

فالإيمان بما أنزل على إسماعيل عليه السلام هو الإيمان برسالته ونبوته وأنه قد أوحى إليه من الله سبحانه وتعالى كما في قوله تعالى: ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ﴾ [النساء١٦٣].

ثالثاً: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

قال تعالى: ﴿وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرۡضِيّٗا﴾ [مريم: ٥٥]، حيث كان عليه السلام مثابراً على طاعة ربه آمرا بها لأهله(٢)، والمراد بأهله هنا أمته، وقيل: جرهم، وقيل: عشيرته(٣)، وكان هذا من أسس دعوته مع كل هؤلاء من أهل وعشيره وقومه كذلك.

المطلب الخامس
وسائل وأساليب دعوة إسماعيل عليه السلام

أولاً: القدوة الحسنة:

فقد ضرب إسماعيل عليه السلام أفضل المثل في القدوة الحسنة، وظهر ذلك في تميزه في جوانب كثيرة، من بره بأبيه، والطاعة المطلقة لأوامر الله تعالى لهما، فكان مثالاً

(١) بحر العلوم للسمرقندي ٢/ ٣٧٧.
(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٥/ ٢٤٠.
(٣) فتح القدير للشوكاني ٢/ ٣٣٩.

يحتذى به، حتى بين الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ قال تعالى: ﴿قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٣].

ثانياً: أسلوب الأمر والنهي:

وهو مما امتاز به إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ ولذلك خصه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ذكره لهذا الأسلوب وأنه عَلَيْهِ السَّلَامُ كان يطبقه ويستعمله في الدعوة إلى الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا﴾ [مريم: ٥٤ – ٥٥].

والمراد بالأهل: قومه، وقيل: أهله جميع أمته، والمراد بالصلاة هنا: قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «يريد التي افترضها الله عليهم، وهي الحنيفية التي افترضها علينا، قيل: كان يبدأ بأهله في الأمر للعبادة، ليجعلهم قدوة لمن سواهم، أما الزكاة فورد عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بأنها طاعة الله، والإخلاص، فكأنه تأوله على ما يزكو به الفاعل عند ربه»(١).

ثالثاً: بناء الكعبة:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧]. قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «قال إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: يا إسماعيل إن الله أمرني بأمر قال: فاصنع ما أمرك ربك قال: وتعينني؟ قال: وأعينك. قال: فإن الله أمرني أن ابني هاهنا بيتاً، وأشار إلى أكمة مرتفعة على ما حولها، فعند ذلك رفعا القواعد من البيت فجعل إسماعيل يأتي بالحجارة، وإبراهيم يبني حتى إذا ارتفع البناء جاء بهذا

(١) اللباب في علوم الكتاب ١٣/ ٨٣.

الحجر فوضعه له، فقام عليه وهو يبني، وإسماعيل يناوله الحجر وهما يقولان: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾»[١].

فالدعوة إلى الله تعالى لابد لها من مركز تنطلق منه إلى الناس، ولمكان ثابت يكون أصلاً وعماداً للدعوة ولأفرادها، ففيه تقام الخطب والجماعات والدروس والندوات والمواعظ، ومن هذا المنطلق كان من أولى مهام الداعية هي إيجاد مكان العبادة للناس، ومكان اجتماع المسلمين لتدبير شؤون دينهم ودعوتهم، ولذلك أمر الله تعالى إبراهيم عليه السلام ببناء البيت الحرام، الكعبة المشرفة، لتكون مثابة للناس ومركزاً لهم ليتنسنى لهم ولمن جاء بعدهم من نشر دين الله تعالى وتعليمه للناس.

رابعاً: القيام بشؤون بيت الله تعالى:

قال تعالى: ﴿وَعَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ [البقرة: ١٢٥]، أي: «أمرنا أو أوجبنا، وقوله: أن طهرا أي: بأن طهرا، والمراد بالتطهير: قيل: من الأوثان، وقيل: من الآفات والريب، وقيل: من الكفار، وقيل: من النجاسات، وطواف الجنب، والحائض، وكل خبيث، والظاهر أنه لا يختص بنوع من هذه الأنواع، وأن كل ما يصدق عليه مسمى التطهير فهو يتناوله»[٢].

وهذه تعد من أهم الوسائل وأجلها، فتهيئة مكان العبادة من جميع الجوانب، لا شك أن له أثر كبير في العمل الدعوي وفي عدم تضايق المدعويين من أمور غير مهيئة على النحو المطلوب في بيت الله.

(١) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ١/ ٢٣٢.
(٢) فتح القدير للشوكاني ١/ ١٦٤.

خامساً: تقوية الصلة بقومه:

ويظهر ذلك في زواجه عليه السلام من قبيلة جرهم، وهم قومه الذين بعث فيهم عليه السلام كما أسلفنا، حيث ترعرع بينهم ثم تزوج منهم، فكان زواجه منهم له أثر كبير في تقوية العلاقة والصلة بينه وبينهم، ولا شك أن ذلك أدعى لقبول دعوته والاهتمام لأمر رسالته، وعدم الاستهزاء به فضلاً عن معاداته أو محاربته، فهذه الصلات القوية، مثل الصهر، تفتح الأبواب المغلقة وتمنع كثير من الشرور التي قد تلحق بالداعية، وتسهل عليه دعوة قومه ومن هم في محل أصهاره.

المطلب السادس

نتيجة دعوة إسماعيل عليه السلام

- **أولاً**: بناء الكعبة المشرفة ومساعدة إبراهيم عليه السلام في ذلك، حيث كانت ولا تزال مهوى أفئدة المسلمين إلى يوم القيامة.
- **ثانياً**: جعل النبوة في ذريته عليه السلام فلم يأتِ نبي ولا رسول من بعده إلا من نسله عليه السلام كما أسلفنا، ومن هؤلاء الأنبياء الذين من نسل إسماعيل عليه السلام نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، خاتم الأنبياء والمرسلين.
- **ثالثاً**: جعله الله تعالى سبباً في تشريع ذبح الأضحية يوم العيد الأكبر للمسلمين، عيد الأضحى المبارك، حيث كان فداء الله له بكبش عظيم تشريعاً لمن بعده من المسلمين، وتوسعة عليهم وإدخال السرور عليهم، فهو يوم عيد وتقرب إلى الله عز وجل بالذبح كما كان في الفداء لإسماعيل صلى الله عليه وسلم.
- **رابعاً**: بعثة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، فقد كانت دعوة إسماعيل عليه السلام مع أبيه إبراهيم عليه السلام بأن يبعث الله في مكان بناء البيت بعد أن أتموا بناءه، دعوا الله أن يبعث فيهم رسولاً منهم، فاستجاب الله تعالى دعوة إسماعيل عليه السلام ببعثته صلى الله عليه وسلم.

المطلب السابع
الدروس المستفادة من دعوة إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ

أولاً: حسن الظن بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:

وهذا من أهم ما يحتاجه الداعية في سيره إلى الله تعالى، وفي مواجهته للصعاب وللعقبات التي تواجهه في دعوته، فهذا إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ في مهده وأمه هاجر في صحراء جرداء، لا حياة فيها بأي درجة من الدرجات، ولكن كان معهما حسن الظن بالله، فكان هو طوق النجاة لهما ولقومهم كذلك، وأيضاً حسن ظنه بالله عَلَيْهِ السَّلَامُ بعد سماعه الأمر بذبحه، فكان نتاجه تفريجاً عظيماً من الله تعالى وتشريع الشعائر العظيمة للمسلمين إلى يوم القيامة.

ثانياً: إن بر الوالدين لا يأتي إلا بخير:

فقد أثنى الله تعالى على إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ بصفات هي من البر، كصدقه في الوعد، وكان هذا البر من أهم ما امتاز به في رفع درجته عند الله تعالى، ومن بره كذلك بره الأعظم بأبيه إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ في اختيار الزوجة الصالحة، وفى القيام على بناء الكعبة، ثم تطهيرها وتجهيزها للطائفين والعاكفين، إلى غير ذلك من صور بره عَلَيْهِ السَّلَامُ.

ثالثاً: تحلي الداعية بمكارم الأخلاق:

فيجب على الداعية أن يتحلى بصفات تعد أساسية ولازمه أن تتحقق فيه، كصدق الوعد، وكإنكار المنكر، والأمر بالمعروف، والبر بالوالدين وبالناس كذلك، واللين

في مخاطبة المدعوين، فكل هذه الصفات وغيرها تعد رأس مال الداعية التي لا يمكن التفريط فيها، فضلاً عن الإتيان بنقيضها.

✍ رابعاً: البدء في الدعوة إلى الله تعالى بالأقرب فالأقرب للداعية:

فالأهل والعشيرة والأقربين هم مظنة قبول الدعوة والاستجابة لها، وهذا لا شك فيه دافع للداعية وتحفيز له على المواصلة والتقدم في نشر دعوته على أوسع نطاق، وفيه كذلك اتخاذ الداعية من يعينه على أمر دعوته ممن هم أقرب الناس إليه، فبالتالي يكون عندهم نفس القدر من البذل والعطاء للقيام على أمور الدعوة، مما يكللها بالنجاح والتوفيق بإذن الله تعالى.

✍ خامساً: توثيق الداعية علاقته بمن يدعوهم:

فيجب على الداعية أن يستفرغ الوسع في العمل على ما يوثِّق علاقته بمن يدعوهم، سواء على الجانب الشخصي أو على الجانب العام، فالعلاقة الشخصية أو الاجتماعية القوية بين الداعية والمدعوين تعطى مساحة أكبر للعمل الدعوي ولقبول ما يريد الداعية إيصاله إلى الناس بطريق سهل يسير.

المبحث الثاني

دعوة إسحاق عليه السلام

المطلب الأول التعريف بإسحاق عليه السلام.

المطلب الثاني الخصائص الدعوية لإسحاق عليه السلام.

المطلب الثالث الصفات الدعوية لإسحاق عليه السلام.

المطلب الرابع أسس دعوة إسحاق عليه السلام.

المطلب الخامس نتيجة دعوة إسحاق عليه السلام.

المطلب الخامس نتيجة دعوة إسحاق عليه السلام.

المطلب السادس الدروس المستفادة من دعوة إسحاق عليه السلام.

المطلب الأول
التعريف بإسحاق عليه السلام

هو إسحاق بن خليل الله إبراهيم عليهما الصلاة والسلام، وأمه سارة حملت به في الليلة التي خسف الله تعالى بقوم لوط[1].

وقد بعث الله إسحاق عليه السلام إلى أهل أرض الشام[2]، ومات إسحاق عليه السلام لمائة وثمانين سنة من عمره[3].

المطلب الثاني
الخصائص الدعوية لإسحاق عليه السلام

أولاً: إنه معجزة وبشارة الله لإبراهيم عليه السلام:

قال تعالى: ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ فَضَحِكَتۡ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتۡ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٞ وَهَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عَجِيبٞ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ﴾ [هود: ٧١ - ٧٣].

وقال تعالى: ﴿فَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۖ قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٖ ﴿٢٨﴾ فَأَقۡبَلَتِ ٱمۡرَأَتُهُۥ فِي صَرَّةٖ فَصَكَّتۡ وَجۡهَهَا وَقَالَتۡ عَجُوزٌ عَقِيمٞ ﴿٢٩﴾ قَالُواْ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡعَلِيمُ﴾

[الذاريات: ٢٨ - ٣٠].

---

(١) الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ١/ ٦٤.

(٢) الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ١/ ٦٥.

(٣) ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، لابن خلدون ٢/ ٤٥.

فهو بشارة الله ﷻ لإبراهيم عليه السلام وزوجته سارة، والمعنى: فبشرناها فضحكت سروراً بالولد، ووُلد إسحق بعد البشارة بسنة[1]، فهذه البشارات من الله تعالى للناس بأنه أرسل لهم الرسل لإخراجهم من الظلمات إلى النور، وهدايتهم للصراط المستقيم.

ثانياً: نص الله تعالى على أنه هبةٌ من الله تبارك وتعالى:

قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ [إبراهيم: ٣٩]، وقال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ﴾ [العنكبوت: ٢٧].

ثالثاً: إتمام نعمة الله تعالى عليه:

قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [يوسف: ٦]، وهذا من فضل الله تعالى على الداعية إلى الله، بأن يتم الله عليه نعمته، ويعلمه من علمه تعالى، فينتفع هو في نفسه وينفع غيره بهذا العلم.

رابعاً: اختصاص الله له بذكر الله وبالدار الآخرة:

قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ﴾ [ص: ٤٥ - ٤٦].

يقول ابن عباس رضي الله عنهما «﴿إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم﴾ اختصصناهم ﴿بِخَالِصَةٍ﴾ بخالصة ذكر الله وذكر الآخرة»[2]، فهي خصيصة جسيمة، وهي: ﴿ذِكْرَى ٱلدَّارِ﴾ جعلنا ذكرى الدار الآخرة في قلوبهم، والعمل لها صفوة وقتهم، والإخلاص والمراقبة لله وصفهم

(١) فتحُ البيان في مقاصد القرآن ٦/ ٢١٣.

(٢) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، ينسب: لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما ١/ ٣٨٣.

الدائم، وجعلناهم ذكرى الدار يتذكر بأحوالهم المتذكر، ويعتبر بهم المعتبر، ويذكرون بأحسن الذكر(١).

خامساً: الاصطفاء والاختيار من الله تعالى:

قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ ۝٤٥ إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم بِخَالِصَةٖ ذِكۡرَى ٱلدَّارِ ۝٤٦ وَإِنَّهُمۡ عِندَنَا لَمِنَ ٱلۡمُصۡطَفَيۡنَ ٱلۡأَخۡيَارِ﴾ [ص: ٤٥ - ٤٧].

وهذا فضل من الله عظيم، بأن يختار من عباده من يشاء، ويصطفيهم للقيام بشرف الدعوة إلى دينه، والذود عن محارمه، وللتبليغ عنه سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، في أوامره ونواهيه، فيا له من شرف عظيم.

سادساً: أنه بارك الله عليه:

قال تعالى: ﴿وَبَٰرَكۡنَا عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ إِسۡحَٰقَۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحۡسِنٞ وَظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ مُبِينٞ﴾ [الصافات: ١١٣]، أي: يكون أكثر الأنبياء من نسله عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ(٢)، وهذا مما لا شك فيه من بركة الله تعالى وإحسانه واصطفاءه لإسحاق عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ.

سابعاً: الذكر الحسن:

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا نَبِيّٗا ۝٤٩ وَوَهَبۡنَا لَهُم مِّن رَّحۡمَتِنَا وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ لِسَانَ صِدۡقٍ عَلِيّٗا﴾ [مريم: ٤٩ - ٥٠].

«أي يفتخر بهم الناس ويثنون عليهم، استجابة لدعوته واجعل لي لسان صدق في الآخرين والمراد باللسان ما يوجد به، ولسان العرب لغتهم وإضافته إلى الصدق وتوصيفه بالعلو للدلالة على أنهم أحقاء بما يثنون عليهم، وأن محامدهم لا تخفى على

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ص ٧١٤.

(٢) لباب التأويل في معاني التنزيل، للخازن ٤/ ٢٥.

تباعد الأعصار وتحول الدول وتبدل الملل»[١] فالسيرة الحسنة بين الناس، والسمعة الطيبة في الوسط الدعوي، من أهم الوسائل والعوامل المساعدة في سماع المدعويين لمن يدعوهم، ومن ثم تكون الاستجابة أقرب من غيرها.

المطلب الثالث
الصفات الدعوية لإسحاق عليه السلام

◆ أولاً: العلم:

قال تعالى: ﴿وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ۝٥١ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ۝٥٢ قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾ [الحجر: ٥١ – ٥٣].

وقال تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾ [الذاريات: ٢٨].

◆ ثانياً: القوة في العبادة والفقه في الدين:

قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾ [ص: ٤٥]، فعن ابن عباس: ﴿أُولِي الْأَيْدِي﴾ يقول: أولي القوة ﴿وَالْأَبْصَارِ﴾ يقول: الفقه في الدين.

قال ابن كثير: «يعني بذلك: العمل الصالح والعلم النافع والقوة في العبادة والبصيرة النافذة»[٢]، وهذه الصفات من أهم ما يجب على الداعية الاتصاف بها.

◆ ثالثاً: إنه من الصالحين:

قال تعالى: ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ [الصافات: ١١٢]، فجعله الله تبارك وتعالى صالحاً مُصلحاً لغيره، كالغيث أينما حل نفع.

---

(١) لباب التأويل في معاني التنزيل، للخازن ٤/ ١٣.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٧/ ٧٦.

◆ **رابعاً: الكرم:**

وهذا وصف نبينا محمد ﷺ لإبراهيم عليه السلام، فعن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ أنه قال: «**الكريم، ابن الكريم، ابن الكريم، ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم** عليه السلام»[1].

المطلب الرابع

أسس دعوة إسحاق عليه السلام

○ **أولاً: التأكيد على توحيد الألوهية لله تعالى والإسلام له تعالى:**

قال تعالى: ﴿قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَـٰهَكَ وَإِلَـٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٣] وفيها إشارة إلى اهتمام إسحاق عليه السلام بإفراد الله تعالى بألوهيته، وبالاستسلام له تعالى، وعلى هذا العهد كان أبناء يعقوب عليه السلام.

○ **ثانياً: التبرؤ من أي ملة غير ملة الإسلام:**

قال تعالى: ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ١٤٠]، فسؤال المولى تبارك وتعالى الاستنكاري يبين أنهم عليهم السلام لم يكونوا على الملة اليهودية أو الملة النصرانية، بل هي الملة الحنيفية، ملة الإسلام.

○ **ثالثاً: الإيمان بالوحي:**

قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ

---

(١) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء باب قول الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ فِى يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَـٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ۝٧﴾ [يوسف: ٧] (٣٣٩٠).

وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴾ [النساء١٦٣]، فهو نبي أوحى الله له بالنبوة وبالنذارة لقومه، فكان لزاماً عليهم الإيمان بما أوحى الله له من شرائع.

رابعاً: البراءة من جميع أنواع الشرك والعصمة من الوقوع فيه:

قال تعالى: ﴿وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [يوسف: ٣٨].

وهذا من فضل الله، بأن عصم أنبياءه ورسله من الوقوع في الشرك بالله تعالى، صغيراً كان أم كبيراً.

خامساً: النبوة:

قال تعالى: ﴿ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [الصافات: ١١٢]، فنبوته عَلَيْهِ السَّلَامُ مُلزِمةٌ لكل من سمع به، أو بلغه خبره من قومه الذين أرسل إليهم، فالإيمان بنبوته عَلَيْهِ السَّلَامُ أساس لما بعده من أوامر ونواهي وتشريع.

المطلب الخامس

نتيجة دعوة إسحاق عَلَيْهِ السَّلَامُ

أصبح اسحاق عَلَيْهِ السَّلَامُ مثلاً يحتذى به، في إتباع أوامر الله تعالى، واجتناب نواهيه، وقبل ذلك كله في توحيده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وترك كل ما يعبد من دون الله عَزَّ وَجَلَّ، قال تعالى: ﴿قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٣]، وقال تعالى: ﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ ﴾ [البقرة: ١٣٦]، وقال تعالى: ﴿ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ

وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ١٤٠]، وقال تعالى: ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ﴾ [آل عمران: ٨٤].

وقال تعالى عن يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [يوسف: ٣٨].

وأنزل المولى تبارك وتعالى البركة منه سبحانه عليه، وعلى ذريته من بعده، وإثبات الفضل لذريته من بعده، قال تعالى: ﴿وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ﴾ [الصافات١١٣]، يقول الإمام السيوطي ﴿وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ﴾ بتكثير ذريته ﴿وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ﴾ ولده بجعلنا أكثر الأنبياء من نسله»(١).

المطلب السادس

الدروس المستفادة من دعوة إسحاق عَلَيْهِ السَّلَامُ

➢ **أولاً:** أن الذُّريَّة الصالحة هي أفضل مناخ لنشأة الداعية المخلص لله تعالى في دعوته وفى خدمته لدين الله تعالى، خصوصاً لو كان رب الأسرة أول من يقتدى به في هذا الباب، باب الدعوة إلى الله، والتفاني في خدمة الدين، مهما كانت العقبات.

➢ **ثانياً:** أن الذكر الجميل في الدنيا، والسيرة الحسنة بين الناس للدعاة إلى الله تعالى، لا تُنسيها الأزمنة والعصور، بل تبقى وتتجدد جيلاً بعد جيل، فالبر لا يبلى، بل

(١) تفسير الجلالين ١/ ٥٩٤.

يبقى للإنسان، يقتدي به الناس من بعده إلى ما شاء الله.

➢ **ثالثاً**: عدم الكلام عن الله تعالى أو عن أنبياءه ورسله إلا بعلم، وأن كتمان هذا العلم عن الخلق هو من أظلم الظلم الذى حرمه الله تبارك وتعالى.

➢ **رابعاً**: الثقة في الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هي رأس مال الداعية إلى الله، والإيمان بأن وعد الله حق، وأن مع العسر يسر، وأن النصر مع الصبر، وأن الحق لابد منتصر لا محالة، يجب أن يكون كل هذا نصب عين كل داعية، يستأنس به في طريق دعوته، ويشد به من أزره.

➢ **خامساً**: أن الدعاء هو سلاح الداعية، الذي تفتح به الأبواب المغلقة، وتيسر به الأمور المستعصية، ويُفرَّج به من الغم، ويُخرَج به من الحَزَن، وينشرح به الصدر، وتُقر به العين، ويطمأن به القلب، فلا غنى للداعية إلى الله تعالى عن الدعاء في جميع أحواله وأهواله.

➢ **سادساً**: القوة في الدين، والالتزام بطاعة رب العالمين، تعد كالطاقة الدافعة للداعية إلى الله في سيره بدعوته إلى الخلق، وسبباً قويّاً عملياً وواقعيّاً في استجابة الخلق لمن تمسك بهما، وأقامهما في نفسه قبل أن يدعو الناس إليهما، ففاقد الشيء لا يعطيه، والدعوة بالقدوة الحسنة والسيرة الطيبة هي الأنجع والأقنع في قبول النصح والإرشاد.

المبحث الثالث

دعوة أيوب عليه السلام

المطلب الأول التعريف بأيوب عليه السلام وقومه وابتلائه.

المطلب الثاني الصفات الدعوية لأيوب عليه السلام.

المطلب الثالث أسس دعوة أيوب عليه السلام.

المطلب الرابع الدروس المستفادة من دعوة أيوب عليه السلام.

المطلب الأول
التعريف بأيوب عليه السلام وقومه وابتلائه

أولاً: التعريف بأيوب عليه السلام وقومه:

هو: أيوب بن موص بن رازح - وقيل: بن روعيل - بن عيص بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام.

وكانت أمه من ولد لوط، وزوجته التي أمر أن يضربها بالضغث ليا ابنة يعقوب بن إسحاق، وقيل: هي رحمة ابنة أفراهيم بن يوسف[(١)].

وهو عليه السلام من ذرية إبراهيم عليه السلام لقوله تعالى: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأنعام: ٨٤]، فإن الضمير عائد على إبراهيم دون نوح عليهما السلام على الصحيح[(٢)].

ولم يُرْوَ شيء يعتمد عليه في التعريف بقومه وموقفهم من دعوته، غير أنا نعلم أنه عليه السلام نبي من بني إسرائيل، وأنه كان في عهد يعقوب عليه السلام[(٣)] وروي أنه لم يؤمن به إلا ثلاثة نفر من قومه،[(٤)] والله أعلم.

(١) تاريخ الرسل والملوك ١/ ٣٢٢ - ٣٢٤؛ البداية والنهاية ١/ ٢٢١؛ الكامل في التاريخ، لابن الأثير ١/ ١١٥.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/ ٢٩٨.

(٣) تاريخ الرسل والملوك ١/ ٣٢٤؛ الكامل في التاريخ ١/ ١٢١، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٤/ ٥٠٦.

(٤) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ١/ ٣٢٣، الجامع لأحكام القرآن ١٥/ ٢٠٨.

«كان أيوب من أنبياء بني إسرائيل، ومن الأصفياء الكرام، وقد ذكره الله في كتابه، وأثنى عليه بالخصال الحميدة عموماً، وبالصبر على البلاء خصوصاً؛ فإن الله تعالى ابتلاه بولده وأهله وماله، ثم بجسده، فأصابه من البلاء ما لم يصب أحداً من الخلق، فصبر لأمر الله ولم يزل منيباً لله»(١).

➤ ثانياً: ابتلاء أيوب عليه السلام:

قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ هَٰذَا مُغۡتَسَلُۢ بَارِدٞ وَشَرَابٞ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنَّا وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٤٣﴾ وَخُذۡ بِيَدِكَ ضِغۡثٗا فَٱضۡرِب بِّهِۦ وَلَا تَحۡنَثۡۗ إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ﴾ [ص ٤١ - ٤٤].

وقال تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرّٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣ - ٨٤].

فقد كان عليه السلام كثير المال من سائر صنوفه وأنواعه من الأنعام والعبيد والمواشي والأراضي المتسعة بأرض البَثَنِيَّة من أرض حوران(٢)، فسُلِبَ من ذلك جميعِه، وابتُلي في جسده بأنواع البلاء، ولم يبق منه عضو سليم سوى قلبه ولسانه، يذكر الله عز وجل بهما، وأفرد في ناحية من البلد، ولم يبق من الناس أحد يحنو عليه سوى زوجته، وهو في ذلك كله صابر محتسب ذاكر لله عز وجل في ليله ونهاره، وصباحه ومسائه(٣).

(١) تيسير اللطيف المنان ١/ ٢٥٣.

(٢) هي اسم ناحية من نواحي دمشق، وقيل: قرية بين دمشق وأذرعات. ينظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي: ١/ ٣٣٨، وأطلس تاريخ الأنبياء والرسل، سامي الملغوث ص٦٢.

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٥/ ٣٥٩.

«ولما تطاول به المرض العظيم، ونسيه الصاحب والحميم نادى ربه: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء٨٣]، فقيل له: ﴿ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ هَٰذَا مُغۡتَسَلُۢ بَارِدٞ وَشَرَابٞ﴾ [ص٤٢].

فركض، فنبعت بركضته عين ماء بارد، فقيل له: اشرب منها واغتسل، ففعل ذلك، فأذهب الله ما في باطنه وظاهره من البلاء، ثم أعاد الله له أهله وماله، وأعطاه من النعم والخيرات شيئاً كثيراً، وصار بهذا الصبر قدوة للصابرين، وسلوة للمبتلين، وعبرة للمعتبرين، وكان في مرضه قد وجد على زوجته المرأة البارة الرحيمة في بعض شيء، فحلف أن يجلدها مائة جلدة، فخفف الله عنه وعنها، وقيل له: خذ بيدك ضغثاً حزمة حشيش أو علف أو شماريخ أو نحوها فيها مائة عود فاضرب به ولا تحنث، أي: ينحل بذلك يمينك، وفي هذا دليل على أن كفارة اليمين لم تشرع لأحد من قبل شريعتنا، وأن اليمين عندهم بمنزلة النذر الذي لا بد من وفائه، وفي هذا دليل على أن من لا يحتمل إقامة الحد عليه لضعفه ونحوه أنه يقام عليه مسمى ذلك؛ لأن الغرض التنكيل ليس الإتلاف والإهلاك»[1].

وقد وردت في خبره إسرائيليات لا يعتمد عليها، وأصح ما ورد في قصته ما صححه ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّٰهُ من حديث أنس رَضِيَ ٱللَّٰهُ عَنْهُ «أن أيوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ابتلي فلبث في بلائه ثلاث عشرة سنة، فرفضه القريب والبعيد إلا رجلين من إخوانه فكانا يغدوان إليه ويروحان، فقال أحدهما للآخر: لقد أذنب أيوب ذنباً عظيماً وإلا لكُشف عنه هذا البلاء، فذكره الآخر

(١) تيسير اللطيف المنان ص٢٥٣.

لأيوب، يعني فحزن ودعا الله حينئذ، فخرج لحاجته وأمسكت امرأته بيده، فلما فرغ أبطأت عليه، فأوحي الله إليه أن اركض برجلك، فضرب برجله الأرض فنبعت عين فاغتسل منها فرجع صحيحاً، فجاءت امرأته فلم تعرفه، فسألته عن أيوب فقال: إني أنا هو، وكان له أندران[(١)]: **أحدهما**: للقمح، **والآخر**: للشعير، فبعث الله له سحابة فأفرغت في أندر القمح الذهب حتى فاض، وفي أندر الشعير الفضة حتى فاض»[(٢)].

فأثابه الله على صبره، بأن أجاب دعاءه، وأعاد إليه أهله ومثلهم معهم، ورزقه من حيث لا يحتسب.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (بينما أيوب يغتسل عرياناً؛ خرَّ عليه رِجْلُ جَرَادٍ[(٣)] من ذهب، فجعل يحثي في ثوبه، فناداه ربه: يا أيوب؛ ألم أكن أغنيتك عما ترى، قال: بلى يا رب؛ ولكن لا غنى لي عن بركتك)[(٤)].

وعاش أيوب عليه السلام بعد رفع الضر والمصائب عنه إلى أن توفاه الله وهو عنه راضٍ، وكان عمره يوم أن توفي ثلاثاً وتسعين سنة، وعلى أنه لبث في بلائه ثلاث عشرة سنة كما تقدم، فإنه يكون عاش بعد أن عوفي عليه السلام عشر سنين[(٥)].

---

(١) هو الموضع الذي يدرس فيه الطعام بلغة الشام، ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر ١/ ٧٤.
(٢) فتح الباري لابن حجر ٦/ ٤٢١.
(٣) الرِّجْلُ بِالْكَسْرِ: الجَرَاد الكَثِيرُ. النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير ٢/ ٢٠٣.
(٤) صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿ ۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ ﴾ [الأنبياء: ٨٣]. ﴿ ٱرْكُضْ ﴾ اضرب ﴿ يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [الأنبياء: ١٢] (٣٣٩١).
(٥) فتح الباري، لابن حجر ٦/ ٤٢٢.

المطلب الثاني
الصفات الدعوية لأيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ

أولاً: الصبر:

وهذه الصفة من أبرز ما اتصف به أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهي بشهادة الله عَزَّ وَجَلَّ، قال تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٤٤].

فقوله: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ﴾ أي: أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا﴾ أي: ابتليناه بالضر العظيم، فصبر لوجه الله تعالى(١).

قال ابن كثير: «يذكر تعالى عن أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ، ما كان أصابه من البلاء، في ماله وولده وجسده، وذلك أنه كان له من الدواب والأنعام والحرث شيء كثير، وأولاد كثيرة، ومنازل مرضية. فابتلي في ذلك كله، وذهب عن آخره، ثم ابتلي في جسده.. وقد كان نبي الله أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ، غاية في الصبر، ففرج الله عنه، وعَظَّمَ له الأجر، وأحسن عليه الثناء»(٢).

فـ «مقام الصبر لا يساويه شيء، لأن الطريق إليه سبحانه لا ينفك شيء منه عن صبر وقهر للنفس وجبر، لأنها بالإجماع خلاف ما تدعو إليه الطبائع»(٣).

ولا ينافي ذلك قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٤].

فإن هذا لم يكن منه جزعاً؛ بل كان دعاء، لذلك قال ربنا جَلَّ جَلَالُهُ له بعد ذلك: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ص ٧١٤.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٥/ ٣٥٩ باختصار.

(٣) نظم الدرر للبقاعي ٦/ ٣٩٠.

لَهُۥ﴾ والإجابة تتعقب الدعاء، على أن الجزع إنما يكون في الشكوى إلى الخلق لا إلى الخالق [(١)] ﷻ.

ثانياً: العبودية لله:

قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ **في أيوب** عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ﴾ [ص: ٤١]، وقال أيضاً: ﴿نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ﴾ [ص: ٤٤]. «بالعبودية نعت الله ﷻ كل من اصْطفى من خلقه، ذلك أن كمال المخلوق في تحقيق عبوديته لله، وكلما ازداد العبد تحقيقاً للعبودية ازداد كماله وعَلَت درجته»[(٢)].

ثالثاً: التعلق بالله واللجوء إليه:

قال تعالى عن أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًاۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٤٤]. «أي: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ﴾ بأحسن الذكر، وأثنِ عليه بأحسن الثناء، حين أصابه الضر، فصبر على ضره، فلم يشتك لغير ربه، ولا لجأ إلا إليه، فنَادَى رَبَّهُ داعياً، وإليه لا إلى غيره شاكياً – وقال تعالى عنه في ختام الآيات: ﴿نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ – أي: كثير الرجوع إلى اللّه، في مطالبه الدينية والدنيوية، كثير الذكر لربه والدعاء، والمحبة والتأله»[(٣)].

قال ابن عباس: سمي أيوب لأنه آب إلى الله تعالى في كل حال[(٤)].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ١١/ ٣٢٥.
(٢) مجموع الفتاوى ١٠/ ١٧٦.
(٣) تيسير الكريم الرحمن ص٧١٤ بتصرف واختصار.
(٤) الجامع لأحكام القرآن ١١/ ٣٢٣.

أي: «إنه على طاعة الله مقبل، وإلى رضاه رجَّاع»(١). فهو «رَجَّاع منيب»(٢). «كثير الرجوع إلى الله تعالى، بالتوبة والإنابة»(٣).

قال تعالى عنه: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣] وقال: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ [ص: ٤١].

«وخص هذا الحال بالذكر من بين أحواله لأنه مظهر توكّله على الله واستجابة الله دعاءه بكشف الضر عنه»(٤).

رابعاً: الأدب مع الله:

وهذا يظهر جليّاً في حسن أدبه في مناداته لربه ودعائه؛ حيث قال تعالى عنه: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣].

وقال: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ [ص: ٤١].

قال السعدي: «فتوسل إلى الله بالإخبار عن حال نفسه، وأنه بلغ الضر منه كل مبلغ، وبرحمة ربه الواسعة العامة»(٥)، «فجمع في دعائه بين التوحيد، وإظهار الفقر، وطعم المحبة في التملق له، والإقرار له بصفة الرحمة.. ومتى وجد المبتلى هذا كُشفت عنه بلواه!»(٦).

---

(١) التحرير والتنوير ٢٣/ ٢٦٨.
(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٧/ ٧٦.
(٣) محاسن التأويل ٨/ ٢٥٦.
(٤) الفوائد لابن القيم ص ٣٠١.
(٥) تيسير الكريم الرحمن ص ٧١٤.
(٦) الفوائد لابن القيم ص ٣٠١.

وأيوب هنا في دعائه لا يزيد على وصف حاله: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ ووصف ربه بصفته: ﴿وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ ثم لا يدعو بتغيير حاله، صبراً على بلائه، ولا يقترح شيئاً على ربه، تأدباً معه وتوقيراً، بل إنه ليتحرج أن يطلب إلى ربه رفع البلاء عنه، فيدع الأمر كله إليه، اطمئناناً إلى علمه بالحال وغناه عن السؤال.

«ولم يتعلق أيوب بشيء من عمله أو صبره، لكن تعلق بإيمانه العميق أن ربه أرحم الراحمين»(١).

«فوصف نَفسه؛ وَوصف ربه؛ بِوَصْف يتَضَمَّن سُؤال رَحمته بكشف ضره، وَهِي صِيغَة خبر تَضَمَّنت السُّؤَال، وَهَذَا من بَاب حسن الْأَدَب فِي السُّؤَال»(٢).

ويظهر أدبه عليه السلام أيضاً حين لم ينسب ما حل به من البلاء إلى الله، مع أن الأفعال كلها خيرها وشرها؛ خالقها هو الله لا شريك له في خلقه، ولكن الشرَّ لا ينسب إليه ذكراً، وإن كان موجوداً منه خَلْقاً، وهذا أدبٌ أدبنا به ربنا عز وجل، ويعلمناه هنا سيدنا أيوب عليه السلام، ومنه قول إبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ﴾ [الشعراء: ٨٠]»(٣).

المطلب الثالث

أسس دعوة أيوب عليه السلام

كان نبي الله أيوب عليه السلام في عهد يعقوب عليه السلام، ولم يذكر الله عز وجل تفصيلاً لدعوته في كتابه، ولا صح في ذلك شيء عن النبي صلى الله عليه وسلم في سنته.

(١) من تدبرات د. عبد الله بن قاسم ضمن مجموعة ليدبروا آيته.

(٢) مجموع الفتاوى ١٠/ ٢٤٥.

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٥/ ٢١٠؛ والمستفاد من قصص الأنبياء د. عبد الكريم زيدان ١/ ٤٥١.

لذا فإنه حين يراد الحديث عن أساس دعوته فسيكتفى بالحديث عن أساس دعوة الأنبياء عموماً، وهو الأساس العقدي الذي يتفق عليها الأنبياء جميعاً ويتمثل في:

◆ **أولاً: الدعوة إلي الإيمان بالله ﷻ و توحيده والتحذير من الشرك:**

قال الله ﷻ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [البقرة: ٨٣]

فتوحيد الله ﷻ أساس دعوة أنبياء بني إسرائيل، بل هو أساس دعوة الأنبياء قاطبة.

كما دل ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ [النحل: ٣٦].

◆ **ثانياً: الدعوة إلى الإيمان بالنبوة:**

الأنبياء قاطبة ومنهم أنبياء بني إسرائيل؛ دعوا أقوامهم إلي اتابعهم وطاعتهم والاعتراف بأنهم مرسلون من ربهم، ومن الأمثلة على ذلك ما ذكره الله ﷻ عن عيسى عليه السلام وهو من أنبياء بني إسرائيل: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦].

◆ **ثالثاً: الدعوة إلى الإيمان باليوم الآخر:**

من أسس دعوة الأنبياء عليهم السلام ومنهم أنبياء بني إسرائيل؛ دعوة أقوامهم إلى الإيمان باليوم الآخر، قال تعالى: ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [البقرة: ٤٧ – ٤٧].

المطلب الرابع

الدروس المستفادة من دعوة أيوب عليه السلام

إن من مقاصد ذكر قصص الأنبياء والمرسلين في كتاب الله جل وعلا؛ هو أخذَ العبرة والعظة، لذا فإن الله عز وجل حين ذكر قصة أيوب عليه السلام ختم ذلك بقوله في سورة الأنبياء: ﴿وَذِكْرَىٰ لِلْعَـٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٤] أي: «جعلناه عبرة للعابدين، الذين ينتفعون بالعبر، فإذا رأوا ما أصابه من البلاء، ثم ما أثابه الله بعد زواله، ونظروا السبب، وجدوه الصبر، فيوطنوا أنفسهم على الصبر على شدائد الدنيا كما فعل أيوب عليه السلام»[١].

وقال تعالى: ﴿وَذِكْرَىٰ لِأُوْلِي ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾ [ص: ٤٣]. أي: وليتذكر أولو العقول بحالة أيوب ويعتبروا[٢]، وهذه أهم الفوائد من قصة أيوب عليه السلام:

أولاً: الابتلاء من الله لحكمة بالغة:

لقد ابتلى الله عز وجل نبيه أيوب عليه السلام بأشد البلاء، وكذلك يكون بلاء الأنبياء، فعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله: أي الناس أشد بلاء؟ قال: **(الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل[٣]، فيبتلى الرجل على حسب دينه؛ فإن كان دينه صلباً اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة ابتلى على حسب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض ما عليه خطيئة)**[٤].

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن ١١/ ٣٢٧؛ تيسير الكريم الرحمن ص ٥٢٨.

(٢) تيسير الكريم الرحمن ص ٧١٤.

(٣) أي: الأشرف فالأشرف، والأعلى فالأعلى في الرتبة والمنزلة، يقال: هذا أمثل من هذا: أي أفضل وأدنى إلى الخير.
وأماثل الناس: خيارهم. النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير: (٤/ ٢٩٦).

(٤) جامع الترمذي، كتاب الزهد، باب ما جاء في الصبر على البلاء (٢٣٩٨). قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.

ولا يعني البلاء هوان المبتلى على الله، بل بالعكس؛ فعن أبي هريرة رَضِوَاللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: **(من يرد الله به خيراً يُصِب منه)**[(١)] أي: «يبتليه بالمصائب ليثيبه عليها، فيطهره به من الذنوب ويرفع درجته، وقرئ «**يُصَب منه**» وهو أحسن وأليق بالأدب، لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: ٨٠].

وفي هذا الحديث بشرى عظيمة لكل مؤمن لأن الأذى لا ينفك غالباً من ألم بسبب مرض أو هم أو نحو ذلك»[(٢)].

○ ثانياً: الصبر على البلاء توفيق من الله:

قد يُبتلى العباد – ولا سيما الدعاة – بألوان من البلاء؛ فعليهم أن يقابلوا ذلك بالصبر الجميل، وقدوتهم في ذلك أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ، بل الأنبياء جميعاً.

قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥ – ١٥٧].

والنقص في الأنفس كذهاب الأحباب من الأولاد، والأقارب، والأصحاب، ومن أنواع الأمراض في بدن العبد، أو بدن من يحبه.

وقد اشتملت هاتان الآيتان على توطين النفوس على المصائب قبل وقوعها، لتخف وتسهل، إذا وقعت، وبيان ما تقابل به، إذا وقعت، وهو الصبر، وبيان ما يعين على الصبر، وما للصابر من الأجر، ويعلم حال غير الصابر، بضد حال الصابر.

(١) صحيح البخاري، كتاب المرضى، باب ما جاء في كفارة المرض (٥٦٤٥).
(٢) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، القسطلاني ٨/ ٣٤٢.

فإن البلاء إذا وقع انقسم الناس قسمين: جازعين وصابرين.. فالجازع، حصلت له مصيبتان، وجود هذه المصيبة أولاً، ثم فوات الأجر بامتثال أمر الله بالصبر.

أما الصابر فقد نال أجر الامتثال للصبر، وفاز بثناء ربه ﷻ عليه، ونالته رحمته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ومن رحمته به أن وفقه للصبر الذي ينال به كمال الأجر[١].

○ ثالثاً: الشكوى إلى الله:

الشكوى إلى الله مشروعة، أما لغيره فهي ممنوعة، ولذلك فإن أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ قد شكا إلى ربه ما به من ضر، بأدب جم وأسلوب راق، وكذلك قال سيدنا يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٨٦].

«والعبد إذا اشتكى إلى ربِّه ما نَزل به من الضُّرِّ وسألَه إزالتَه لم يكن مذموماً على ذلك باتفاق المسلمين، والشكوى إلى الله لا تُنافِي الصبر، بل الشكوى إلى الخلقِ قد تُنافِي الصبرَ»[٢].

○ رابعاً: أهمية الدعاء:

قال تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣ - ٨٤].

«إن الدعاء لهو الدليل على عمق إيمان العبد وثقته بربه، وهو السبيل إلى نيل المكرمات وقضاء الحاجات من رب الأرض والسموات، والناس أحوج ما يكونون إلى ذلك، ولاسيما الدعاة؛ فينبغي عليهم اللجوء إلى الله في السراء والضراء ليديم لهم العطاء ويتحقق لهم النصر ويتمكنوا من نشر دين الله وتبليغ دعوته»[٣].

(١) تيسير الكريم الرحمن ص ٧٥.
(٢) جامع المسائل لابن تيمية ٤/ ٧٣.
(٣) دعوة الرسل عَلَيْهِمُ السَّلَامُ د. أحمد غلوش ١/ ٢٥١.

○ خامساً: الأخذ بالأسباب المشروعة:

قال تعالى: ﴿ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ هَٰذَا مُغۡتَسَلُۢ بَارِدٞ وَشَرَابٞ﴾ [ص: ٤٢]. «أي: اضرب الأرض بها، لينبع لك منها عينٌ تغتسل منها وتشرب، فيذهب عنك الضر والأذى، ففعل ذلك، فذهب عنه الضر، وشفاه اللّه تعالى»(١).

لقد علمنا الله في قصة أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يجري أقداره على أسباب يقوم بها الناس، فإنه قادر على شفاء أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ بقوله «**كن**» «**فيكون**»، ولكنه جَلَّ جَلَالُهُ أمره أن يضرب الأرض بقدمه لينبغ الماء فيشرب منه ويغتسل؛ فيزول بذلك ما حل به من داء باطني وخارجي.

○ سادساً: الفرج من الله:

قال تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٨٣ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرّٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣ - ٨٤]، وقال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ ٤١ ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ هَٰذَا مُغۡتَسَلُۢ بَارِدٞ وَشَرَابٞ ٤٢ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنَّا وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [ص ٤١ - ٤٣].

الله تعالى يجعل لأوليائه المتقين فرجاً ومخرجاً، فإن أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ حلف أن يضرب امرأته مائة سوط، فلما عافاه الله قال: ﴿وَخُذۡ بِيَدِكَ ضِغۡثٗا فَٱضۡرِب بِّهِۦ وَلَا تَحۡنَثۡ﴾ [ص: ٤٤] فأفتاه الله عَزَّوَجَلَّ أن يأخذ ضغثاً(٢) فيضربها به ضربة واحدة، وقد برت يمينه، وخرج من حنثه، ووفى بنذره، وهذا من الفرج والمخرج لمن اتقى الله وأناب إليه،

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ص٧١٤.

(٢) الضغث: قبضة ريحان، أو حشيش أو قضبان، وجمعه: أضغاث. المفردات في غريب القرآن ص ٥٠٩.

ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٤٤][(١)] وهو فرَجٌ أيضاً في حق امرأته الصابرة المحتسبة الصِّدِّيقة البارة الراشدة؛ فقد صبرت على زوجها ورعته تمام الرعاية[(٢)].

سابعاً: العوض من الله:

من قابل المصيبة بصبر واحتساب؛ واسترجع لله؛ عوضه الله خيراً مما فاته، قال الله عن أيوب عليه السلام: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾

وفي حديث أم سلمة رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول: (ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول ما أمره الله؛ إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرني في مصيبتي وأخلف لي خيراً منها؛ إلا أخلف الله له خيراً منها) قالت: فلما مات أبو سلمة، قلت: أي المسلمين خير من أبي سلمة؟ أول بيت هاجر إلى رسول الله ﷺ، ثم إني قلتها فأخلف الله لي رسول الله ﷺ[(٣)].

ثامناً: عناية الله ببيت الداعية:

أخرج ابن كثير عن السدي: ثم إن إبليس أتاها في صورة طبيب، فقال لها: إن زوجك قد طال سقمه، فإن أراد أن يبرأ فليأخذ ذباباً فليذبحه باسم صنم بني فلان فإنه يبرأ ويتوب بعد ذلك. فقالت ذلك لأيوب، فقال: قد أتاك الخبيث. لله علي إن برأت أن أجلدك مائة جلدة. فخرجت تسعى عليه، فحظر عنها الرزق، فجعلت لا تأتي أهل بيت فيريدونها، فلما اشتد عليها ذلك وخافت على أيوب الجوع حلقت من شعرها

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٧/ ٧٦.

(٢) البداية والنهاية ١/ ٢٢٤.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب ما يقال عند المصيبة (٢١٢٦).

قرناً فباعته من صبية من بنات الأشراف، فأعطوها طعاماً طيباً كثيراً فأتت به أيوب، فلما رآه أنكره وقال: من أين لك هذا؟ قالت: عملت لأناس فأطعموني. فأكل منه، فلما كان الغد خرجت فطلبت أن تعمل فلم تجد فحلقت أيضاً قرناً فباعته من تلك الجارية، فأعطوها من ذلك الطعام، فأتت به أيوب، فقال: والله لا أطعمه حتى أعلم من أين هو؟ فوضعت خمارها، فلما رأى رأسها محلوقاً جزع جزعاً شديداً، فعند ذلك دعا ربه عز وجل: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣]»[١].

«إن بيت الداعية ينبغي أن يكون الملاذ الآمن له؛ البيت الذي يؤويه ويدعمه فيما يلقاه من المشقة والعنت، فهذا أيوب عليه السلام حين ابتلاه الله وأدبر عنه الناس، كانت زوجته رضي الله عنها له خير أنيس، وهي بذلك تضرب المثل الأعلى في الوفاء، وهكذا ينبغي أن يكون بيت الداعية، ولذلك فإن إبراهيم عليه السلام حين رأى من زوجة ابنه إسماعيل الأولى أنها لا تصلح له كداعية أمره بطلاقها.

وفي المقابل يجب على الداعية أن يكون رفيقاً بأهله ومعاشريه، فهم الأقرب لدعوته، وهم رصيده في محنته، ولهذا فإن أيوب عليه السلام حين حلف ليضربن زوجته مائة سوط، علمه الله كيف يبر بقسمه ولا يؤذي زوجته، ولم يأمره بترك الضرب بالكلية، ليعلم أن من حق الزوج أن يؤدب زوجته، لكن في حدود الرفق والمودة والرحمة»[٢].

○ تاسعاً: رجاء الله وعدم العجز والاستسلام للبلاء:

ففي قصة أيوب عليه السلام نتعلم عدم الاستسلام أو العجز بل تجاوز البلاء بكل حركة وجهد يملكه الانسان ﴿ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ هَٰذَا مُغۡتَسَلُۢ بَارِدٞ وَشَرَابٞ﴾ [ص: ٤٢].

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٥/ ٣٦٠ - ٣٦١.
(٢) دعوة الرسل عليهم السلام، أحمد غلوش ١/ ٢٤٨.

وقد كان النبي ﷺ يقول في دعائه: **(اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل والجبن والبخل والهرم والقسوة والغفلة والعيلة والذلة والمسكنة وأعوذ بك من الفقر والكفر والفسوق والشقاق والنفاق والسمعة والرياء وأعوذ بك من الصمم والبكم والجنون والجذام والبرص وسيء الأسقام)**[(١)].

«جاءت قصة أيوب عليه السلام في القرآن الكريم تفتح باب الرجاء للنبي صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين وهم في مرحلة الضيق والكرب والشدة التي يلاقونها من الكفار لتقول لهم إن هذه المرحلة لها ما بعدها وهي ضرورية للوصول للأهداف العالية التي ينشدونها وأن عليهم أن يتجاوزوها ولا يستسلموا لها أو يعجزوا عندها أو ييأسوا أمامها وإنما يتجاوزونها بجهدهم وسلوكهم وحركتهم على قدر ما يستطيعون كما تجاوزها أيوب بجهده وحركته.. ثم بعد ذلك ينتظرون من الله فرجه القريب ورحمته الواسعة ونصره المبين ولقد صدق الأولون ذلك فهاجروا وضربوا في الأرض وجاهدوا واستخدموا كل الأسباب وكان وعد الله لهم حقاً فهل نحن على آثارهم نستلهم حياة نبي الله أيوب كما وردت في القرآن»[(٢)].

---

(١) المستدرك على الصحيحين ١/ ٧١٢ (١٩٤٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٢٨٥).

(٢) ينظر: مقال بعنوان: تأملات من حياة نبي الله أيوب في القرآن، منشور على موقع: ملتقى أهل التفسير لأبي العزايم عبد الحميد باختصار وتصرف يسير.

المبحث الرابع

دعوة يعقوب عليه السلام

المطلب الأول التعريف بيعقوب عليه السلام وقومه.

المطلب الثاني الصفات الدعوية ليعقوب عليه السلام.

المطلب الثالث أسس دعوة يعقوب عليه السلام.

المطلب الرابع وسائل وأساليب دعوة يعقوب عليه السلام.

المطلب الخامس الدروس المستفادة من دعوة يعقوب عليه السلام.

المطلب الأول
التعريف بيعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ وقومه

هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم الصلاة والسلام، ويعقوب هو المسمى بإسرائيل، وقد ورد ذلك في القرآن الكريم بقول الله تعالى: ﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ﴾ [آل عمران: ٩٣].

نبّأه الله تعالى، كما في قوله: ﴿فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾ [مريم٤٩].

وهذا جاء استجابةً لدعوة إبراهيم أبيه عَلَيْهِ السَّلَامُ حيث قال الله له: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ فقال إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ داعياً الله على وجه التذلّل والتضرّع: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾ [البقرة: ١٢٤].

وكذلك امتدحه رسول الله ﷺ بقوله: (الكريمُ، ابنُ الكريمِ، ابنِ الكريمِ، ابنِ الكريمِ، يوسفُ بنُ يعقوبَ بنِ إسحاقَ بنِ إبراهيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ)(١).

وقد رزقه الله تعالى بأبناء كثيرين، مذكورن في بداية سورة يوسف عند قوله: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ﴾ [يوسف٤].

وأما قومه:

فالظاهر أنه نبي وليس رسولاً لذا لم يكن يُعرَف بقوم معيَّنين.

(١) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ۝٧﴾ [يوسف: ٧] (٣٣٩٠).

المطلب الثاني
الصفات الدعوية ليعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ

ليعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ مجموعة من الصفات والأخلاق تمثل كل منها منهجاً دعوياً مهماً لا بد للداعية وأن يضعه نصب عينيه.. ونجملها في النقاط التالية:

✧ أولاً: العلم:

أثني الله تعالى قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلۡمٖ لِّمَا عَلَّمۡنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [يوسف٦٨]، أي: «وإن يعقوب لذو علم لتعليمنا إياه، وقيل: معناه وإنه لذو حفظٍ لما استودعنا صدره من العلم»[(١)].

«فيعقوب صاحب علم عظيم ﴿لِّمَا عَلَّمۡنَٰهُ﴾ أي: لتعليمنا إياه، لا بحوله وقوته أدركه، بل بفضل الله وتعليمه»[(٢)].

وقال هو عن نفسه: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [يوسف: ٨٦]، وقال: ﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلۡبَشِيرُ أَلۡقَىٰهُ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ فَٱرۡتَدَّ بَصِيرٗاۖ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [يوسف: ٩٦].

وفي هذا تنبيه عظيم على ضرورة اقتناء العلم قبل بدء عملية الدعوة الإسلامية الصحيحة على المصطلح المشهور.

---

(١) جامع البيان ١٦/ ١٦٨.

(٢) تيسير الكريم الرحمن ص٤٠١.

✧ ثانياً: الصبر الجميل:

قال تعالى: ﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًاۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف١٨].

وقال تعالى: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًاۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [يوسف: ٨٣].

«**أي:** أما أنا فوظيفتي سأحرص على القيام بها، وهي أني أصبر على هذه المحنة صبراً جميلاً سالماً من السخط والتَّشكِّي إلى الخلق، وأستعين الله على ذلك، لا على حولي وقوتي، فوعد من نفسه هذا الأمر وشكى إلى خالقه»[(١)].

قال شيخ الإسلام: و«الصبر الجميل صبر بلا شكوى؛ قال يعقوب عليه السلام: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يوسف٨٦]، مع قوله: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ فالشكوى إلى الله لا تنافي الصبر الجميل»[(٢)].

✧ ثالثاً: كظم الغيظ:

وهذا يتّضح في كظمه لغيظه بسبب إتلاف أبنائه أخاهم يوسف كما قال تعالى: ﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَـٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [يوسف٨٤].

أي: «فهو مكظوم على الحزن، يعني أنه مملوء منه، مُمْسِك عليه لا يُبينه»[(٣)].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ص٣٩٤.
(٢) مجموع الفتاوى ١٠/ ٦٦٦.
(٣) جامع البيان ١٦/ ٢١٥.

وقيل: «أي مملوء من الغيظ على أولاده، ولا يظهر ما يسوؤهم»[(١)].

✧ **رابعاً: هادياً مهدياً:**

كما أشار إليهم بعد أن ذكر عدداً منهم بما فيهم يعقوب فقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ﴾ [الأنعام٩٠].

وقال تعالى: ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ كُلًّا هَدَيۡنَا﴾ [الأنعام: ٨٤].

وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۖ وَكُلًّا جَعَلۡنَا نَبِيّٗا ۝٤٩ وَوَهَبۡنَا لَهُم مِّن رَّحۡمَتِنَا وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ لِسَانَ صِدۡقٍ عَلِيّٗا﴾ [مريم: ٤٩ - ٥٠].

وقال تعالى: ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ نَافِلَةٗۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا صَٰلِحِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٢].

✧ **خامساً: (الثناء الحسن، والذكر الجميل من الناس)[(٢)]:**

وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۖ وَكُلًّا جَعَلۡنَا نَبِيّٗا ۝٤٩ وَوَهَبۡنَا لَهُم مِّن رَّحۡمَتِنَا وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ لِسَانَ صِدۡقٍ عَلِيّٗا﴾ [مريم: ٤٩ - ٥٠].

«لأن الله وعد كل محسن، أن ينشر له ثناء صادقاً بحسب إحسانه، وهؤلاء من أئمة المحسنين، فنشر الله الثناء الحسن الصادق غير الكاذب، العالي غير الخفي، فذكرهم ملأ الخافقين، والثناء عليهم ومحبتهم، امتلأت بها القلوب، وفاضت بها الألسنة، فصاروا قدوة للمقتدين، وأئمة للمهتدين. ولا تزال أذكارهم في سائر العصور، متجددة»[(٣)].

---

(١) محاسن التأويل ٦/ ٢١٠.

(٢) جامع البيان ١٨/ ٢٠٨.

(٣) تيسير الكريم الرحمن ص ٣٩٤.

✧ سادساً: البصيرة:

تجلت بصيرة يعقوب عليه السلام في مواقف كثيرة منها:

بصيرته بأولاده ومعرفته بهم وما في نفوسهم، قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ۝٤ قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [يوسف: ٤ - ٥]. «إنما قال ذلك لأنه علم أن تأويلها ارتفاع منزلته؛ فخاف عليه من الحسد»[١]، «ومن هذا يؤخذ الأمر بكتمان النعمة حتى توجد وتظهر»[٢].

نصحه بألا يقص رؤياه على إخوته، خشية أن يستشعروا ما وراءها لأخيهم الصغير - غير الشقيق - فيجد الشيطان من هذا ثغرة في نفوسهم، فتمتلىء نفوسهم بالحقد، فيدبروا له أمراً يسوؤه.

وبصيرته ومعرفته بما يمكن أن يفعلوا وتعامله معه بحكمة، فعندما ﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَ۬نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ۝١١ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [يوسف: ١١ - ١٢].

قال لهم لمعرفته بأنهم يمكن أن يمكروا بأخيهم: ﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ أَن تَذْهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ﴾ [يوسف: ١٣].

فعندما وقع منهم ما وقع كان عنده بصيرة بأنهم تآمروا على أخيهم ولم يقبل ما قالوا، قال تعالى: ﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًاۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٨].

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل ١/ ٤١٠.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/ ٤٥٠.

«**أي**: زينت لكم أنفسكم أمراً قبيحاً من التفريق بيني وبينه؛ لأنه رأى من القرائن والأحوال، ومن رؤيا يوسف التي قصها عليه ما دلَّه على ما قال»[(١)].

وكذلك تظهر بصيرته فيما طلبه من أولاده في قوله، ﴿وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍۖ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ٦٧ وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَهُمۡ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغۡنِي عَنۡهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍ إِلَّا حَاجَةٗ فِي نَفۡسِ يَعۡقُوبَ قَضَىٰهَاۚ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلۡمٖ لِّمَا عَلَّمۡنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [يوسف: ٦٧ - ٦٨].

«وذكر أنه قال ذلك لهم، لأنهم كانوا رجالاً لهم جمال وهيأة، فخاف عليهم العينَ إذا دخلوا جماعة من طريق واحدٍ، وهم ولد رجل واحد، فأمرهم أن يفترقوا في الدخول إليها»[(٢)].

✧ سابعاً: حسن التوكّل على الله:

بالرّغم من أنّ يعقوب أرشد أبناءه للأخذ بالأسباب في دخول المدينة إلّا أنّه توكّل على الله وحده في تفريج كربه، قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍۖ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ﴾ [يوسف: ٦٧].

«وأراد بهذا تعليمهم الاعتماد على توفيق الله ولطفه، مع الأخذ بالأسباب المعتادة الظاهرة؛ تأدباً مع واضع الأسباب ومقدّر الألطاف»[(٣)].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ٣٩٥.

(٢) جامع البيان ١٦/ ١٦٥.

(٣) التحرير والتنوير ١٣/ ٢١.

✧ ثامناً: الإقبال على الله تعالى وحده:

قال الله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [يوسف: ٨٦].

«أي: إنما أشكو إلى الله لا إليكم، ولا إلى غيركم. والبث: أشدّ الحزن. ﴿وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ أي: أعلم من لطفه ورأفته ورحمته ما يوجب حسن ظنّي به، وقوة رجائي فيه»[١].

✧ تاسعاً: حسن الظن بالله تعالى:

قال تعالى: ﴿قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٌۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَنِي بِهِمۡ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [يوسف: ٨٣].

«جرت سنته تعالى أن الشدة إذا تناهت يجعل وراءها فرجاً عظيماً.. كأنه عَلَيْهِ السَّلَامُ لما رأى اشتداد البلاء قوي رجاؤه بالفرج، فقال ما قال»[٢].

قال الله ﷻ: ﴿يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧].

«فالرجاء يوجب للعبد السعي والاجتهاد فيما رجاه، والإياس يوجب له التثاقل والتباطؤ»[٣] ولذلك أمرهم بالتحرك والبحث.

✧ عاشراً: القوة والبصيرة بالحق:

قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾ [ص: ٤٥].

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل ١/ ٤٢٥.

(٢) روح المعاني ١٣/ ٥١.

(٣) تيسير الكريم الرحمن ص٤٠٤.

«**الأيدي**: القوة في تنفيذ الحق، والأبصار: البصائر في الدين، فوصفهم بكمال إدراك الحق وكمال تنفيذه»[(١)].

«**أي**: القوة، يقول: أهل القوة على عبادة الله وطاعته. ويعني بالأبصار: أنهم أهل أبصار القلوب، يعني به: أولى العقول للحق»[(٢)].

كناية عن العمل الصالح بالأيدي والنظر الصائب أو الفكر السديد بالأبصار. وكأن من لا يعمل صالحاً لا يد له. ومن لا يفكر تفكيراً سليماً لا عقل له أو لا نظر له!.

✧ الحادي عشر: المسامحة:

﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا ٱسۡتَغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوۡفَ أَسۡتَغۡفِرُ لَكُمۡ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [يوسف: ٩٧ – ٩٨].

أي: «قال يعقوب: سوف أسأل ربي أن يعفو عنكم ذنوبكم التي أذنبتموها فيّ وفى يوسف»[(٣)].

«**أي**: ورجائي به أن يغفر لكم ويرحمكم، ويتغمدكم برحمته، وقد قيل: إنه أخر الاستغفار لهم إلى وقت السحر الفاضل، ليكون أتمَّ للاستغفار، وأقرب للإجابة»[(٤)].

و «أراد أن ينبههم إلى عظم الذنب، وعظمة الله تعالى، وأنه سيكرر الاستغفار لهم في أزمنة مستقبلة»[(٥)].

«**قال المهايميّ**: صرّحوا بالذنوب دون الله، لمزيد اهتمامهم بها، وكأنهم غلب

---

(١) الجواب الكافي ص ٩٣.

(٢) جامع البيان ٢١/ ٢١٥.

(٣) جامع البيان ١٦/ ٢٦١.

(٤) تيسير الكريم الرحمن ص٤٠٥.

(٥) التحرير والتنوير١٣/ ٥٤.

عليهم النظر إلى قهره. وصرّح يعقوب بذكر الرب دون الذنوب، إذ لا مقدار لها بالنظر إلى رحمته التي ربّي بها الكل. انتهى. وهذا من دقائق لطائف التنزيل ومحاسنها فيه»[1].

✧ الثاني عشر: مراعاة المصالح مع أخذ الحيطة:

قال تعالى: ﴿قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [يوسف: ٦٤]، «أي: هل أنتم صانعون به إلا كما صنعتم بأخيه من قبل، تغيبونه عني، وتحولون بيني وبينه؟ ﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ أي: هو أرحم الراحمين بي، وسيرحم كبري وضعفي ووجدي بولدي، وأرجو من الله أن يرده علي، ويجمع شملي به، إنه ﴿أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾»[2].

ثم قال لهم: ﴿قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأْتُنَّنِى بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ [يوسف: ٦٦].

«أراد أن يحلفوا له بالله، وإنما جعل الحلف بالله موثقاً منه لأن الحلف به مما تؤكد به العهود وتشدّد»[3].

«**قال ابن إسحاق:** وإنما فعل ذلك؛ لأنه لم يجد بداً من بعثهم لأجل الميرة، التي لا غنى لهم عنها، فبعثه معهم»[4].

«فسوء الظن مع وجود القرائن الدالة عليه غير ممنوع، ولا محرم.. فإن يعقوب قال لأولاده بعد ما امتنع من إرسال يوسف معهم حتى عالجوه أشد المعالجة»[5].

(١) محاسن التأويل ٦/ ٢١٩.
(٢) تفسير القرآن العظيم ٤/ ٣٩٩.
(٣) الكشاف ٢/ ٤٨٧.
(٤) تفسير القرآن العظيم ٤/ ٣٩٩.
(٥) تيسير الكريم الرحمن ص٤٠٧.

✧ **الثالث عشر: الإجمال فيما لا يحسن التفصيل فيه:**

قال تعالى: ﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًاۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٨].

وكذلك فعل يوسف مع إخوته قال تعالى: ﴿قَالُوٓاْ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْۚ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًاۖ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ٧٧].

المطلب الثالث

أسس دعوة يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ

ارتكزت دعوة يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ على أسس منها:

أولاً: الاهتمام بالثبات على الإسلام والقيام بتكاليفه:

كما يتضح في قوله تعالى: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [البقرة١٣٢].

فقوله: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ﴾ «لبيان تواصي الأنبياء باستمساك الدين الحق الجامع لجميع أحكام الأصول والفروع ليتوارثوا الملة القويمة والشرع المستقيم نسلاً بعد نسل»[1].

«تخصيص بنيهما بذلك، وذلك لأن شفقة الرجل على أبنائه أكثر من شفقته على غيرهم، فلما خصّاهم بذلك في آخر عمرهما علمنا أن اهتمامهما بذلك كان أشد من

(١) روح المعاني١/ ٣٨٩.

اهتمامهما بغيره»[(١)].

مع التنبيه إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ﴾ فهو من اختيار الله. فلا اختيار لهم بعده ولا اتجاه. وأقل ما توجبه رعاية الله لهم، وفضل الله عليهم، هو الشكر على نعمة اختياره واصطفائه، والحرص على ما اختاره لهم، والاجتهاد في ألا يتركوا هذه الأرض إلا وهذه الأمانة محفوظة فيهم.

وقوله: ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ «فقوموا به، واتصفوا بشرائعه، وانصبغوا بأخلاقه، حتى تستمروا على ذلك، فلا يأتيكم الموت إلا وأنتم عليه؛ لأن من عاش على شيء مات عليه، ومن مات على شيء بعث عليه»[(٢)].

"**فالمراد:** الزموا الإسلام، ولا تفارقوه حتى تموتوا. أي لا تموتوا على حالة إلا على حال كونكم ثابتين على الإسلام»[(٣)].

ثانياً: الاهتمام بالتوحيد:

كما يتضح في قوله تعالى: ﴿أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ إِذۡ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِي قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [البقرة١٣٣].

إن هذا المشهد بين يعقوب وبنيه في لحظة الموت والاحتضار لمشهد عظيم الدلالة، قوي الإيحاء، عميق التأثير.. ميت يحتضر. فما هي القضية التي تشغل باله في ساعة الاحتضار؟ ما هو الشاغل الذي يعني خاطره وهو في سكرات الموت؟ ما

(١) محاسن التأويل ١/ ٤٠٥.
(٢) تيسير الكريم الرحمن ص٦٧.
(٣) محاسن التأويل ١/ ٤٠٣.

هو الأمر الجلل الذي يريد أن يطمئن عليه ويستوثق منه؟ ما هي التركة التي يريد أن يخلفها لأبنائه ويحرص على سلامة وصولها إليهم فيسلمها لهم في محضر، يسجل فيه كل التفصيلات..

إنها العقيدة.. هي التركة. وهي الذخر. وهي القضية الكبرى، وهي الشغل الشاغل، وهي الأمر الجلل، الذي لا تشغل عنه سكرات الموت وصرعاته.

ثالثاً: اهتمامه الكبير بذريته وتربيتهم:

ولهذا شواهد كثيرة غير ما سبق منها:

١- بشَّر يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ ابنه يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ بأنه سيكون له شأن في المستقبل كما كان لآبائه ليستعد لذلك الحمل العظيم بالعلم والصبر على المكروه؛ قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعۡقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيۡكَ مِن قَبۡلُ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾ [يوسف: ٦].

٢- تربيته أبناءه على التوكل على الله مع الأخذ بالأسباب، قال تعالى: ﴿وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍۖ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ﴾ [يوسف: ٦٧].

٣- تربيته أبناءه على عدم اليأس، وحسن الظن بالله، قال تعالى: ﴿وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧]، وقال تعالى: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَنِي بِهِمۡ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ٨٣﴾ [يوسف: ٨٣].

٤- تربيته أبناءه على اللجوء إلى الله، قال تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [يوسف: ٨٦].

٥- تربيته أبناءه على أهمية العقود والمواثيق، قال تعالى: ﴿قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَن يُحَاطَ بِكُمْ﴾ [يوسف: ٦٦].

٦- تربيتهم على الحذر من مسالك الشيطان، قال تعالى: ﴿قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [يوسف: ٥].

٧- اللطف في عتاب أبنائه، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ۖ لَوْلَا أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾ فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا ۖ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي ۖ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [يوسف: ٩٤ - ٩٨].

٨- تربيتهم بالقدوة على قوة الصبر والتعلق بالله خصوصاً وقت الشدائد، في قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦].

٩- الحفاظ على أبناء من أن يصيبهم سوء، ومن ذلك:

- الحفاظ على يوسف من كيد إخوته وحسدهم.
- محاولته عليه السلام عدم دفع يوسف لإخوته عندما طلبوه أن يذهب معهم للعب، ولكنهم ألحُّوا على أبيهم وبينوا أنهم سيحافظون عليه.
- حذّر إخوة يوسف من أن يدخلوا من باب واحد لئلا يُحسدوا على كثرتهم.
- حرصه على أخي يوسف بنيامين من الضياع والإهمال.
- أمر أبناءه بالاستمرار والجد في البحث عن يوسف وأخيه.

المطلب الرابع
وسائل وأساليب دعوة يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ

أولاً: أسلوب النداء المتلّطف:

كما يظهر في قوله: ﴿يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ﴾ [البقرة١٣٢]، وقال: ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ﴾ [يوسف٥]، وقال: ﴿وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٍ﴾ [يوسف]، وقال: ﴿يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ [يوسف٧٨].

ثانياً: أسلوب السؤال والحوار:

وهذا من الأساليب المهمّة في إيصال معلومة معينة كما يتضح في قوله تعالى: ﴿أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ إِذۡ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِيۖ قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٣].

ثالثاً: أسلوب التغافل:

وهذا الذي فعله النبي يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ مع بنيه كما في قوله تعالى: ﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ كَذِبٖۚ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف] فيعقوب يعلم علمَ يقينٍ أنه كيد منهم وليس كما زعموا بدليل قوله: ﴿فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًا﴾ [يوسف٥].

رابعاً: اغتنام الفرصة:

وذلك أن يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ استغلّ فرصة حضور جميع أبنائه في احتضاره فأكّد لهم

ضرورة الموت على الإسلام، فهذه الفرصة عظيمة، مستحيل تأخّر أحد الأبناء، ففي ذلك لفتة مفيدة. قال تعالى: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٣].

خامساً: الوصية:

قال تعالى: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِۦمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢].

«ولفظ الوصية أوكد من الأمر، لأن الوصية عند الخوف من الموت، وفي ذلك الوقت يكون احتياط الإنسان لدينه أشد وأتم، فدل على الاهتمام بالوصي به، والتمسك به»[١].

المطلب الخامس

الدروس المستفادة من دعوة يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ

إنه مما هو ظاهر أن نتيجة دعوة نبي الله يعقوب كانت في رسالة موسى وهارون عليهما الصلاة والسلام وجميع أنبياء بني إسرائيل كذلك، لأنهما من بني إسرائيل، إسرائيل هو النبي يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ كم تقدّم، وموسى وهارون من بني إسرائيل.

وتميزت دعوة يعقوب بعدد من الفوائد وهي على وجه الإجمال:

- أن العدل مطلوب في كل الأمور، لا في معاملة السلطان رعيته ولا فيما دونه،

(١) محاسن التأويل ١/ ٤٠٥.

حتى في معاملة الوالد لأولاده، في المحبة والإيثار وغيره، وأن في الإخلال بذلك يختل عليه الأمر، وتفسد الأحوال، ولهذا، لما قدم يعقوب يوسف في المحبة وآثره على إخوته، جرى منهم ما جرى على أنفسهم، وعلى أبيهم وأخيهم.

- هذه المحنة العظيمة التي امتحن الله بها نبيه وصفيه يعقوب عليه السلام، إذ قضى بالتفريق بينه وبين ابنه يوسف الذي لا يقدر على فراقه ساعة واحدة، ويحزنه أشد الحزن، فتم لهذه الفرقة مدة طويلة ويعقوب لم يفارق الحزن قلبه، وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم، ثم ازداد به الأمر حين اتصل فراق الابن الثاني بالأول، وهو في ذلك صابر لأمر الله، محتسب الأجر من الله، وقد وعد من نفسه الصبر الجميل، ولا ريب أنه وفّى بما وعد به، ولا ينافي ذلك قوله: ﴿إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦].

- الشكوى إلى الله لا تنافي الصبر، وإنما الذي ينافيه الشكوى إلى المخلوقين، ولا ريب أن الله رفعه بهذه المحنة درجات عالية ومقامات سامية، لا تنال إلا بمثل هذه الأمور.

- الفرج مع اشتداد الكرب، فإنه لما تراكمت الشدائد المتنوعة، وضاق العبد ذرعا بحملها، فرجها فارج الهم، كاشف الغم، مجيب دعوة المضطرين، وهذه عوائده الجميلة، خصوصا لأوليائه وأصفيائه، ليكون لذلك الوقع الأكبر، والمحل الأعظم، وليجعل من المعرفة بالله والمحبة له ما يوازن ويرجح بما جرى على العبد بلا نسبة.

- جواز إخبار العبد بما يجد، وما هو فيه من مرض أو فقر غيرهما على غير وجه التسخُّط، لقول يعقوب: ﴿يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ [يوسف: ٨٤]، وقول إخوة يوسف: ﴿مَسَّنَا وَأَهۡلَنَا ٱلضُّرُّ﴾ [يوسف: ٨٨] وأقرهم يوسف.

- سوء الظن مع وجود القرائن الدالة عليه غير ممنوع ولا محرم؛ فإن يعقوب قال لأولاده: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٨] وعندما طلبوا منه أخاهم الآخر: ﴿قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنتُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِن قَبْلُ﴾ [يوسف: ٦٤]، ثم لما لم يرجعوا به قال لهم: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [يوسف: ٨٣]. فهم في الأخيرة، وإن لم يكونوا مفرطين، فقد جرى منهم ما أوجب لأبيهم أن يقول ما قال من غير لوم عليه.

- استعمال الأسباب الدافعة للعين وغيرها من المكاره، أو الرافعة لها بعد نزولها غير ممنوع، وإن كان لا يقع شيء إلا بقضاء الله وقدره، فإن الأسباب أيضاً من القضاء والقدر؛ لقول يعقوب: ﴿يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ﴾ [يوسف: ٦٧]»(١).

(١) تيسير الكريم الرحمن ص ٤٠٧، وتيسير اللطيف المنان ص٢٨٤ - وما بعدها باختصار.

المبحث الخامس

دعوة يوسف عليه السلام

المطلب الأول التعريف بيوسف عليه السلام.

المطلب الثاني الصفات الدعوية ليوسف عليه السلام.

المطلب الثالث أسس دعوة يوسف عليه السلام.

المطلب الرابع وسائل وأساليب من دعوة يوسف عليه السلام.

المطلب الخامس نتيجة دعوة يوسف عليه السلام.

المطلب السادس الدروس المستفادة من دعوة يوسف عليه السلام.

المطلب الأول
التعريف بيوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ

هو: يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم الصلاة والسلام.

فعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النبي ﷺ أنه قال: (الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ)[(١)].

فقد كان ليعقوب من البنين اثنا عشر ولداً ذكراً؛ وكان أشرفهم وأجلهم وأعظمهم يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولم يكن فيهم نبي غيره، وباقي إخوته لم يوح إليهم على الصحيح[(٢)].

ونبي الله يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ قد مر به النبي ﷺ ليلة المعراج في السماء الثالثة فـــ**(إذا هو قد أُعْطِي شَطرَ الحُسْنِ)**[(٣)].

واختُلِف في العمر الذي هو بلوغ الأشد، فقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: هو حد الأربعين الذي يوحي الله فيه إلى عباده النبيين عليهم الصلاة والسلام من رب العالمين ويشهد لهذا قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرۡبَعِينَ سَنَةً﴾ [الأحقاف: ١٥][(٤)].

ثم عاش يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ مائة وعشر سنين، وقيل: مائة وعشرين سنة، ولما حضرته

(١) صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿لَّقَدۡ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخۡوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٞ لِّلسَّآئِلِينَ ٧﴾ [يوسف: ٧] (٣٣٩٠).

(٢) البداية والنهاية ١/ ١٩٨.

(٣) صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب المعراج (٣٨٨٧)، ومسلم ولفظ الشاهد له، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات وفرض الصلوات (٤١١).

(٤) البداية والنهاية ١/ ٢٠٣.

الوفاة أوصى أن يحمل من مصر فيدفن عند آبائه بالشام، فكان بمصر حتى أخرجه معه موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ فدفنه عند آبائه[1].

المطلب الثاني

الصفات الدعوية ليوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ

◆ **أولاً: العلم:**

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٢٢]

في المراد بالعلم ها هنا قولان: أحدهما: الفقه؛ والثاني: علم الرؤيا.

وقد وصفه الله بالعلم والحكم، فإنه ليس كل عالم حكيماً، إنما الحكيم: العالم المستعمِلُ علمَه، الممتنعُ به من استعمال ما يجهَّل فيه[2].

فقد أثنى الله تعالى ونص على أنه أعطاه الحكم والعلم الذي يستطيع أن به أن يكون خليفة في الأرض يدعو للتوحيد وإخلاص الدين لله ويقيم حياة الناس ويصلحها بهذا التوحيد.

◆ **ثانياً: الإخلاص:**

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤].

قوله: ﴿ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ «فيه قراءتان: قراءة باسم الفاعل؛ «المخلِصين» بكسر اللام، وأخرى باسم المفعول؛ «المخلَصين» بفتح اللام.

(١) البداية والنهاية ١/ ٢٢٠.

(٢) زاد المسير في علم التفسير ٢/ ٤٢٥.

فوروده باسم الفاعل يدل على كونه آتيا بالطاعات والقربات مع صفة الإخلاص، وورده باسم المفعول يدل على أن الله تعالى استخلصه واصطفاه لرسالته.

وقد كان يوسف ﷺ بهاتين الصفتين، لأنه كان مخلِصاً في طاعة الله تعالى، مستخلَصاً لرسالة الله تعالى»[١].

قال شيخ الإسلام: «فتبين أن الإخلاص يمنع من تسلط الشيطان»[٢].

◆ ثالثاً: الالتجاء إلى الله والعوذ به:

حين أحاطت بيوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ فتنة امرأة العزيز استعاذ بربه ولجأ إليه؛ قال تعالى: ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [يوسف: ٢٣].

«فينبغي للعبد أن يلتجئ إلى الله، ويحتمي بحماه عند وجود أسباب المعصية، ويتبرأ من حوله وقوته»[٣].

وحين تمادت على ذلك؛ بل وهددته بالسجن إن لم يذعن لمطلبها؛ وأعانها على ذلك نسوة المدينة؛ لجأ عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى ربه ثانية: ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ [يوسف: ٣٣].

حتى في الرخاء كان يتوجه لربه تعالى، قال تعالى: ﴿رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١] فتبرأ من الحول والقوة.

(١) جامع البيان ٩/ ١٧٠.
(٢) مجموع الفتاوى ٨/ ٢٢٢.
(٣) تيسير الكريم الرحمن ٤٠٧.

◆ **رابعاً: العفة:**

قال تعالى: ﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝٢٣ وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَ﴾ [يوسف: ٢٣ - ٢٤].

«**والحاصل أنه جعل الموانع له من هذا الفعل**: تقوى الله، ومراعاة حق سيده الذي أكرمه، وصيانة نفسه عن الظلم الذي لا يفلح من تعاطاه، وكذلك ما منَّ الله عليه من برهان الإيمان الذي في قلبه؛ يقتضي منه امتثال الأوامر، واجتناب الزواجر. والجامع لذلك كله: أن الله صرف عنه السوء والفحشاء»[(١)].

ولم يتوقف على إعلان ذلك بالقول بل هرب من المكان الذي فيه، قال تعالى: ﴿وَٱسۡتَبَقَا ٱلۡبَابَ وَقَدَّتۡ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٖ﴾ [يوسف: ٢٥]. «فينبغي للعبد إذا رأى محلاً فيه فتنة وأسباب معصية أن يفر منه، ويهرب غاية ما يمكنه؛ ليتمكن من التخلص من المعصية؛ لأن يوسف عليه السلام لما راودته التي هو في بيتها فر هارباً يطلب الباب ليتخلص من شرها»[(٢)].

وتحمل في ذلك السجن، ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ۝٣٣ فَٱسۡتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنۡهُ كَيۡدَهُنَّۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [يوسف: ٣٣ - ٣٤].

«فيوسف عليه السلام اختار السجن على المعصية، فهكذا ينبغي للعبد إذا ابتلي بين أمرين - إما فعل معصية، وإما عقوبة دنيوية - أن يختار العقوبة الدنيوية على مواقعة

(١) تيسير الكريم الرحمن ٣٩٦.
(٢) تيسير الكريم الرحمن ٤٠٩.

الذنب الموجب للعقوبة الشديدة في الدنيا والآخرة، ولهذا من علامات الإيمان، أن يكره العبد أن يعود في الكفر، بعد أن أنقذه الله منه، كما يكره أن يلقى في النار»[(١)].

فرزقه الله العصمة من شر هذه الفتنة - مع توفر أسبابها من غربته وسلطة الداعي والشباب - فاستعاذ بربه منها، وبيّن أنها ظُلم، وكانت من ثمرتها أن أصبح عزيز مصر المستأمن على خزائنها.

«فالعفة تحفظ بها الأعراض في الدّنيا، وتجلب اللذّة والنّعيم في الآخرة. وهي ركن من أركان المروءة الّتي ينال بها الحمد والشّرف، وهي نظافة للفرد والمجتمع من المفاسد والمآثم وهي دليل كمال النَّفس وعزِّها. صاحبها مستريح النَّفس مطمئنُّ البال. وهي دليل وفرة العقل، ونزاهة النّفس»[(٢)].

مع التنبيه إلى أن: «الهمَّ الذي همَّ به يوسف بالمرأة ثم تركه لله، مما يقربه إلى الله زلفى، لأن الهمّ داع من دواعي النفس الأمارة بالسوء، وهو طبيعة لأغلب الخلق، فلما قابل بينه وبين محبة الله وخشيته، غلبت محبة الله وخشيته داعي النفس والهوى. فكان ممن ﴿خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠ - ٤١].

ومن السبعة الذين يظلهم الله في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله، أحدهم: **(رجل دعته امرأة ذات منصب وجمال، فقال: إني أخاف الله)**[(٣)]، وإنما الهم الذي يلام عليه العبد، الهم الذي يساكنه، ويصير عزماً، ربما اقترن به الفعل»[(٤)].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ص٤٠٧.

(٢) ينظر: نضرة النعيم ٧/ ٢٨٨٨ باختصار.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد (٦٦٠)، ومسلم، كتاب الزكاة، باب فضل إخفاء الصدقة (١٠٣١).

(٤) تيسير الكريم الرحمن ص٤٠٧.

◆ **خامساً: الأمانة:**

مع ما آتاه الله من العلم والحكمة فهو عَلَيْهِ السَّلَامُ على قدر كبير من الأمانة والحفظ للأمور من الضياع، فلذلك طلب من الملك أن يجعله على خزائن الأرض، قال تعالى: ﴿قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ﴾ [يوسف: ٥٥].

أي: «حفيظ للذي أتولاه، فلا يضيع منه شيء في غير محله، وضابط للداخل والخارج، عليم بكيفية التدبير والإعطاء والمنع، والتصرف في جميع أنواع التصرفات، وليس ذلك حرصاً من يوسف على الولاية، وإنما هو رغبة منه في النفع العام، وقد عرف من نفسه من الكفاءة والأمانة والحفظ ما لم يكونوا يعرفونه»[(١)].

ولذلك قال له الملك: ﴿إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ أَمِينٞ﴾ [يوسف: ٥٤].

◆ **سادساً: الصبر:**

فقد جمع الله ليوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ جميع أنواع الصبر، صبر على طاعة الله وعبادته؛ كما دل على ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤].

وصبر عن معصيته سبحانه واقتراف نواهيه؛ كما دل على ذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [يوسف: ٢٣].

وصبر على ما حل به من البلاء واحتسب الأجر عند ربه؛ بل وتعدى ذلك إلى درجة الرضا على ما حل به من البلاء؛ كما دل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [يوسف: ١٠٠].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ص ٤٠٠.

وقد نال عليه السلام عاقبة صبره، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ ۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٥٦].

وقال تعالى: ﴿قَالُوٓا۟ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِى ۖ قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٠].

◆ سابعاً: التواضع لله تعالى:

قال تعالى: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١].

وهنا يتوارى الجاه والسلطان، وتتوارى فرحة اللقاء وتجمع الأهل ولمة الإخوان، ويبدو المشهد الأخير مشهد إنسان فرد يبتهل إلى ربه أن يحفظ له إسلامه حتى يتوفاه إليه، وأن يلحقه بالصالحين عنده. من فضله ومنه وكرمه.

«ينبغي للعبد أن يتملق إلى الله دائماً في تثبيت إيمانه، ويعمل الأسباب الموجبة لذلك، ويسأل الله حسن الخاتمة، وتمام النعمة»(١).

◆ ثامناً: كظم الغيظ:

قال تعالى: ﴿قَالُوٓا۟ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ ۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِى نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ ۚ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا ۖ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ٧٧].

فإن إخوة يوسف لما رأوا الصاع يستخرج من رحل أخيهم؛ قالوا ﴿إِن يَسْرِقْ﴾ هذا فليس بغريب عنه؛ ﴿فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ﴾؛ يعنون يوسف عليه السلام، ومقصودهم تبرئة أنفسهم، وأن هذا وأخاه قد يصدر منهما ما يصدر من السرقة، وهما

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ص٤٠٧.

ليسا شقيقين لهم، ﴿فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ﴾؛ ولم يقابلهم على ما قالوه بما يكرهون، بل كظم الغيظ، وأسرَّ الأمر في نفسه؛ و قال في نفسه: ﴿أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا﴾ حيث ذممتمونا بما أنتم على أشرَّ منه، ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾ أي: يعلم الله أنا براء مما وصفتمونا به من السرقة(١). أي: يعلم الله أنا براء مما وصفتمونا به من السرقة(٢).

◆ تاسعاً: العفو:

ثم إن يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ لما عرَّفهم بنفسه آخر الأمر أقروا له بأنهم أساءوا إليه وأخطؤوا في حقه؛ فما انتقم منهم رغم مقدرته على ذلك وإنما قال: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [يوسف: ٩٢].

يقول لهم: لا تأنيب عليكم، ولا عتب عليكم اليوم، ثم زادهم على ذلك أن دعا لهم بالمغفرة والرحمة، وهذا نهاية الإحسان الذي لا يأتي إلا من خواص الخلق وخيار المصطفين(٣)، فهذه المغفرة بعدما ألقوه في البئر، وبيعه مملوكاً، وتعريضه للفتن وسجنه، واتهامه بالسرقة..

إن العفو والصفح عن المسيء له أثر كبير في استجلابه واستصلاحه، ولذلك عفا يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ عن إخوته رغم كل ما فعلوه به.

ولم يذكر الله تعالى عن يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه انتقم لِما رَمَتْهُ به امرأة العزيز؛ حتى لما صار هو عزيزَ مصر؛ لذا فإن الظاهر أنها آمنت بالله رب العالمين؛ كما يظهر من قولها:

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ص ٤٠٢.

(٢) تيسير الكريم الرحمن ص: ٤٠٢.

(٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ٤/ ٤٠٨، تيسير الكريم الرحمن ص: ٤٠٤.

﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ۝٥٢ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٢ - ٥٣][1].

◆ **عاشراً: الذكاء والفطنة:**

ويظهر أثر هذه الرعاية عندما طلب يوسف من إخوته إحضارهم لأخيه، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ٱئْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْۚ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ۝٥٩ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلَا تَقْرَبُونِ ۝٦٠ قَالُواْ سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ۝٦١ وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ ٱجْعَلُواْ بِضَٰعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [يوسف: ٥٩ - ٦٢].

وكذلك عندما أراد بقاءه عنده، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ۝٧٠ قَالُواْ وَأَقْبَلُواْ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ۝٧١ قَالُواْ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ﴾ [يوسف: ٧٠ - ٧٢].

فلقد استطاع أن يبلغ إخوته رسالة عتاب، وأن يُعَلِّمهم، وأن يأخذ أخاه، وأن يأتي بأبيه وإخوته إليه، كلُّ ذلك بذكاء وفطنة قال تعالى: ﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِۚ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٧٦].

وقبل ذلك طلب البراءة مما اتهم به زوراً حماية للدعوة، ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ۝٥٠ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍۚ

(١) تيسير الكريم الرحمن ص ٤٠٠.

﴿قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٔـٰنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾ ۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٠ - ٥٣].

«فلا يلام الإنسان على السعي في دفع التهمة عن نفسه، وطلب البراءة لها، بل يحمد على ذلك، كما امتنع يوسف عن الخروج من السجن حتى تتبين لهم براءته بحال النسوة اللاتي قطعن أيديهن»(١).

◆ **الحادية عشر: الستر وعدم جرح المشاعر:**

وذلك في قوله تعالى: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَـٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [يوسف: ١٠٠].

حيث إن يوسف عليه السلام لم يجرح مشاعر إخوته أمام والده؛ بأن يقول: وقد أحسن بي إذ أخرجني من الجب والسجن، واكتفى بذكر السجن، وكذلك نراه رد ما فعله به إخوته إلى الشيطان ونزغه.

«فلم يذكر خروجه من الجب، مع أن النعمة فيه أعظم، لوجهين: أحدهما: لئلا يستحيي إخوته، والكريم يغضي عن اللوم، ولاسيما في وقت الصفاء. والثاني: لأن السجن كان باختياره، فكان الخروج منه أعظم، بخلاف الجب»(٢).

◆ **الثانية عشر: إنكار الذات ونسبة الفضل والخير لله:**

ويظهر هذا في كثير من المواقف، فقبل تأويل رؤيا السجينين قال: ﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ص٤٠٧.

(٢) البرهان للزركشي ٣/ ٦٦.

طَعَامٌ تُرۡزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأۡتُكُمَا بِتَأۡوِيلِهِۦ قَبۡلَ أَن يَأۡتِيَكُمَاۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓۚ﴾ [يوسف: ٣٧].

ثم قال: ﴿وَٱتَّبَعۡتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشۡرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ عَلَيۡنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ﴾ [يوسف: ٣٨].

وعندما طلب منه إخوته العفو منهم سامحهم، ووكل أمر ذلك ونسبه إلى الله: ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ٩١ قَالَ لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [يوسف٩١ - ٩٢]. فلم يقل أنا غفرت لكم أو قال أنا سامحتكم بل نسب المغفرة والعفو لله تعالى.

وعندما اجتمع له أبواه وإخوته نسب الفضل لله بقوله: ﴿هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ﴾ [يوسف١٠٠]. وقوله: ﴿وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ﴾ [يوسف١٠٠]. وقوله: ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [يوسف١٠٠]..

وقوله: ﴿رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ﴾ [يوسف: ١٠١].

«فينبغي لمن أنعم الله عليه بنعمة بعد شدة وفقر وسوء حال، أن يعترف بنعمة الله عليه، وأن لا يزال ذاكراً حاله الأولى، ليحدث لذلك شكراً كلما ذكرها»[(١)].

◆ الثالثة عشر: الإحسان:

فهذا يوسف عليه السلام اشتهر بالإحسان بفعاله وبأقواله؛ ولم يؤثر عامل الزمان والمكان على ذلك، فقد قال الله تعالى عنه: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [يوسف: ٢٢].

(١) تيسير الكريم الرحمن ص٤٠٧.

وفي السجن قال له صاحباه: ﴿إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٣٦].

وقال له إخوته وهو عزيز مصر: ﴿قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٧٨].

المطلب الثالث

أسس دعوة يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ

لم تخل دعوة يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ من الأسس التي تمتاز بها دعوة الأنبياء جميعاً؛ فها هو عَلَيْهِ السَّلَامُ حين طلب منه الفتيان في السجن تعبيرَ رؤياهما؛ استغل موطن لهفتهما لسماع ما عنده؛ فدعاهما إلى الله تعالى بما **يشمل تلك الأسس الثلاثة في الدعوة**؛ وهي كما يلي:

أولاً: تقرير التوحيد ونبذ الشرك وأهله:

وتقرير التوحيد لله واضح أيضاً في دعوته؛ قال تعالى عنه: ﴿وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٣٨ - ٤٠].

ينتهز يوسف هذه الفرصة ليبث بين السجناء عقيدته الصحيحة فكونه سجيناً لا يعفيه من تصحيح العقيدة الفاسدة والأوضاع الفاسدة، القائمة على إعطاء حق الربوبية للحكام الأرضيين، وجعلهم بالخضوع لهم أرباباً يزاولون خصائص الربوبية..

لقد رسم يوسف عليه السلام بهذه الكلمات القليلة الناصعة الحاسمة المنيرة، كل معالم هذا الدين، وكل مقومات هذه العقيدة. كما هز بها كل قوائم الشرك والطاغوت والجاهلية هزاً شديداً عنيفاً.. وهو لا يدعوهما إليها دعوة مباشرة، إنما يعرضها قضية موضوعية، فيقول: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ﴾.

وهو سؤال يهجم على الفطرة لأن الفطرة تعرف لها إلهاً واحداً ففيم إذن تعدد الأرباب؟.. إن الذي يستحق أن يكون رباً يعبد ويطاع أمره ويتبع شرعه هو الله الواحد القهار. ومتى توحد الإله وتقرر سلطانه القاهر في الوجود فيجب تبعاً لذلك أن يتوحد الرب وسلطانه القاهر في حياة الناس..

ثم يخطو يوسف عليه السلام خطوة أخرى في تفنيد عقائد الجاهلية وأوهامها الواهية، فيقول: ﴿مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍ﴾ إن هذه الأرباب - سواء كانت من البشر أم من غير البشر من الأرواح والشياطين والملائكة والقوى الكونية المسخرة بأمر الله - ليست من الربوبية في شيء.. ولكن البشر في الجاهليات المتعددة الأشكال والأوضاع يسمون من عند أنفسهم أسماء، ويخلعون عليها صفات، ويعطونها خصائص وفي أول هذه الخصائص خاصية الحكم والسلطان.. والله لم يجعل لها سلطاناً ولم ينزل بها من سلطان..

يضرب يوسف عليه السلام ضربته الحاسمة فيبين: لمن ينبغي أن تكون العبادة! ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ﴾.

○ ثانياً: تقرير النبوة والرسالة:

أنبأهم أولا أن ما يقوله من تعليم الله له من العلم والحكم والنبوة، قال تعالى:

﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓ﴾ [يوسف: ٣٧].

وبين لهم أن هذا فضل من الله عليه كما كان على سلفه من الأنبياء؛ ﴿وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيْءٍ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [يوسف: ٣٨].

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مفسراً هذه الآية: «من فضل الله علينا أن جعلنا أنبياء؛ وعلى الناس أن بعثنا إليهم رسلاً»[(١)].

❍ ثالثاً: تقرير الإيمان باليوم الآخر:

وقرر المعاد في قوله: ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْأَخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٣٧]. أي: «إني برئت من ملة من لا يصدق بالله، ويقرّ بوحدانيته ﴿وَهُم بِٱلْأَخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ﴾ أي: وهم مع تركهم الإيمان بوحدانية الله، لا يقرّون بالمعاد والبعث، ولا بثواب ولا عقاب»[(٢)].

وذكر الآخرة هنا في قول يوسف يقرر أن الإيمان بالآخرة كان عنصراً من عناصر العقيدة على لسان الرسل جميعاً منذ فجر البشرية الأول.

«فلوح إلى التحذير من يوم الجزاء الذي لا يغني فيه أحد عن أحد، منبهاً على أن الكفر به هو القاطع عن العلم وعن كل خير، فقال مؤكداً تأكيداً عظيماً، إشارة إلى أن أمرهم ينبغي أن ينكره كل من يسمعه، ولا يصدقه، لما على الآخرة من الدلائل

---

(١) النكت والعيون، للماوردي ٣/ ٣٨.

(٢) جامع البيان ١٦/ ١٠١.

الواضحة جداً الموجبة لئلا يكذب به أحد، وفي تكرير الضمير «هم» تنبيه على أن هؤلاء اختصوا بهذا الجهل، وأن غيرهم وقفوا على الهدى»(١).

المطلب الرابع

وسائل وأساليب من دعوة يوسف عليه السلام

➢ أولاً: إقامة الحجة بالدليل والبرهان:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ﴾ [غافر: ٣٤]. أي: «ولقد جاءكم يوسف بن يعقوب يا قوم من قبل موسى بالواضحات من حجج الله»(٢).

فقد أرسل الله يوسف عليه السلام لأهل مصر «قبل مجيء موسى بالحجج البينة والبراهين النيرة، على وجوب عبادته تعالى وحده. كقوله: أَأَرْبابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللهُ الْواحِدُ الْقَهَّارُ [يوسف: ٣٩]»(٣).

➢ ثانياً: تعبير الرؤيا:

فقد بشره أبوه أن الله سيعلمه تأويل الأحاديث: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾ [يوسف: ٦].

فقد كان لهذا الجانب من التعليم أثره في دعوته وخروجه من السجن ومن ثم

---

(١) نظم الدرر ٤/ ٣٩.

(٢) جامع البيان ٢٨/ ٣٨٣.

(٣) محاسن التأويل ٨/ ٣٠٩.

أصبح به عزيز مصر، حتى إن يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ أدرك ذلك غاية الإدراك فحمد الله تعالى على نعمة هذا النوع من العلم، بقوله: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾ [يوسف: ١٠١]. واختلف العلماء في المراد بتأويل الأحاديث.

فقال بعضهم هي: تعبير الرؤيا، فكان يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ أعبر الناس للرؤيا، ويدل على ذلك حسن تعبيره لرؤيا صاحبيه في السجن؛ قال تعالى عنه: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُۥ خَمْرًا ۖ وَأَمَّا ٱلْأٓخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ ۚ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ [يوسف: ٤١] وعبر أيضا رؤيا الملك؛ قال تعالى عنه: ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ [يوسف: ٤٧ - ٤٩].

وقال آخرون: المراد بتأويل الأحاديث معرفة معاني كتب الله وسنن الأنبياء، وما غمض وما اشتبه على الناس من أغراضها ومقاصدها، يفسرها لهم ويشرحها، ويدلهم على مودعات حكمها، وسميت أحاديث، لأنها يُحَدَّثُ بها عن الله ورسله، ويدل لهذا الوجه قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٢٢].

ولا مانع من شمول معنى تأويل الأحاديث لذلك كله، والله أعلم(١).

ثالثاً: الموعظة الحسنة:

ومن المواعظ الجامعة التي أخبرنا بها الله عَزَّ وَجَلَّ عن يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ قولُه لصاحبيه في السجن وقد سألاه تعبير رؤياهما: ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْأٓخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ

(١) أضواء البيان ٢/ ٢٠٢.

مِن شَيْءٍۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَٰصَٰحِبَيِ
ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً
سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ
إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف: ٣٨ - ٤٠].

➤ رابعاً: اللطف في الخطاب:

قال تعالى: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ [يوسف: ٣٩]. «فناداهما بالأداة الدالة على أن ما بعدها كلام له موقع عظيم لتجتمع أنفسهما لسماع ما يلقى إليهما من التعبير، فقال: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ﴾ أي الذي تزول فيه الحظوظ ويحصل الانكسار للنفس والرقة في القلب فتتخلص فيه المودة»(١).

إنه يتخذ منهما صاحبين، ويتحبب إليهما هذه الصفة المؤنسة، ليدخل من هذا المدخل إلى صلب الدعوة وجسم العقيدة.

➤ خامساً: استثمار المنصب والولاية:

فقد سأل يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ منصب حافظ خزائن مصر؛ كما دل ذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٥].

أي: «حفيظ للذي أتولاه، فلا يضيع منه شيء في غير محله، وضابط للداخل والخارج، عليم بكيفية التدبير والإعطاء والمنع، والتصرف في جميع أنواع التصرفات، وليس ذلك حرصاً من يوسف على الولاية، وإنما هو رغبة منه في النفع العام، وقد عرف من نفسه من الكفاءة والأمانة والحفظ ما لم يكونوا يعرفونه»(٢).

---

(١) نظم الدرر ٤/ ٤٣.

(٢) تيسير الكريم الرحمن ص ٤٠٠.

فإن يوسف عليه السلام لم يتطلع لهذا الملك وهذه الوظيفة إلا وهو يدرك ويعلم ما تحتاجه من أمانة وعلم، وقد علم من نفسه ذلك بما علمه الله تعالى حيث لم يتلق علم الحكم والقيادة إلا من ربه جل وعلا الذى صنعه على عينه.

ولم يكن هذا قول من غير دليل بل كان حقيقة واقعية، وكان مؤهلاً ليبين لعزيز مصر كيف يمكن إنقاذ مصر من مجاعة قادمة، قال تعالى: ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ [يوسف٤٧-٤٩].

➢ سادساً: اغتنام الفرص:

من فطنة الداعي وذكائه استغلال الفرص لتبليغ الدعوة، وهذا من أهم أساليب الدعوة التي ينبغي الحرص عليها، فإن يوسف عليه السلام حين طلب منه صاحباه في السجن أن يعبر رؤياهما وبدت له حاجتهما إليه؛ قصد أن يدعوهما إلى الإيمان في هذه الحال؛ ليكون أنجع لدعوته، وأقبل لهما[(١)].

قال ابن كثير رحمه الله: «وكانت دعوته لهما في هذه الحال في غاية الكمال؛ لأن نفوسهما معظمة له، منبعثة على تلقي ما يقول بالقبول، فناسب أن يدعوهما إلى ما هو الأنفع لهما مما سألا عنه وطلبا منه...»[(٢)].

➢ سابعاً: النظر في مصالح الناس قبل دعوتهم:

حيث إن الوصول إلى الناس وإلى قلوبهم يجب أن يكون مدخله النظر في مصالحهم وخدمتهم، فاتخذ الحكم وتأويل الرؤيا وعلمه بها طريقاً سلكه في الدعوة إليه، حيث

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ص ٣٩٧.

(٢) البداية والنهاية ١/ ٢٠٧.

قال للسجينين: ﴿لَا يَأۡتِيكُمَا طَعَامٞ تُرۡزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأۡتُكُمَا بِتَأۡوِيلِهِۦ قَبۡلَ أَن يَأۡتِيَكُمَاۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓۚ إِنِّي تَرَكۡتُ مِلَّةَ قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٣٧].

وسأل يوسف عليه السلام منصب حافظ خزائن مصر؛ كما دل على ذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ﴾ [يوسف: ٥٥] وذلك ليحفظها من الضياع؛ وقد كان الناس مقبلين على سبع سنين شداد؛ وكذا ليتوصل بذلك إلى نشر العدل ورفع الظلم؛ ويتوسل به إلى دعاء أهل مصر إلى الإيمان بالله وترك عبادة الأوثان(١).

ومن هنا تحدث العلماء حول جواز طلب المرء الولاية لنفسه إن علم أنه كفء لها ولا يوجد غيره، وليتوسل بها إلى تبليغ الدعوة وتحقيق العدل.

ثامناً: التحفيز:

من الأساليب النافعة؛ تحفيز المدعوين بوضع الجوائز والحوافز، ويمكن الاستدلال لذلك بما صنع يوسف عليه السلام لإخوته: ﴿وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمۡلُ بَعِيرٖ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٞ﴾ [يوسف: ٧٢].

تاسعاً: الحوار:

وهذا يظهر بجلاء في عدد من المواقف، منها:

الحوار مع السجينين معه، فقد قال لهما: ﴿إِنِّي تَرَكۡتُ مِلَّةَ قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ﴾ «فلم يشتم دينهما أمامهما؛ لأن المقام ليس مقام رد ولا استفزاز ولا حساب، بل مقام بلاغ، والحق إذا تبين فليس بالضرورة أن يجهر بشتم الباطل الذي يدين به الشخص المقابل»(٢).

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن لمحمد صديق خان ٦/ ٣٥٦.
(٢) من تدبرات الشيخ ناصر العمر عند الآية في مجموعة ليدبروا آياته.

ثم قال لهم: ﴿وَٱتَّبَعۡتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ﴾ و«إنما قال ذلك تمهيداً للدعوة، وإظهاراً أنه من بيت النبوة؛ لتقوى رغبتهما في الاستماع إليه، والوثوق به»[(١)].

وكان يناديهم بنداء الصحبة، ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ﴾ وهذا من آداب الحوار وفنونه المهمة.

وكذلك الحوار مع إخوته، وهو من نماذج ذلك ضبط النفس والبعد عن ردود الفعل الناتجة عن الاستفزاز أثناء الحوار، «فيوسف آذاه إخوانه، وألقوه في بئر حتى سيق مملوكاً بثمن بخس، وسجن سنين، ثم بعد ذلك يصبح عزيز مصر، قال إخوته: ﴿قَالُوٓاْ إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُ﴾، يقصدون يوسف، فماذا فعل؟ انظروا إلى ضبط النفس: ﴿فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفۡسِهِۦ وَلَمۡ يُبۡدِهَا لَهُمۡۚ قَالَ أَنتُمۡ شَرّٞ مَّكَانٗاۖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ٧٧] حتى إنه لم يُرِد جرح مشاعرهم بهذه الكلمة؛ فقالها سرّاً في نفسه»[(٢)].

المطلب الخامس
نتيجة دعوة يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولما فوَّض الملكُ أمرَ مصر إلى يوسف؛ تلطف بالناس، وجعل يدعوهم إلى الإسلام حتى آمنوا به، وأقام فيهم العدل، فأحبه الرجال والنساء»[(٣)].

---

(١) البحر المديد لأحمد بن محمد بن المهدي ٢/ ٥٩٦.

(٢) من تدبرات الشيخ ناصر العمر عند الآية، مجموعة ليدبروا آياته.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ٩/ ٢١٨.

وأسلم الملك أيضاً على يدي يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ[(١)].

وأسلمت امرأة العزيز التي كانت قد راودته عن نفسه؛ وهذا التغيير الإيجابي في شخصية هذا المرأة صورة رائعة من نجاح يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ في دعوته؛ حيث نجح في الانتقال بها من سفح الشهوات الهابط إلى قمة الإيمان والصلاح، وانظر إلى الفارق الكبير بين منطقها حين قالت: ﴿وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾ [يوسف: ٣٢] وبين منطقها حين قالت: ﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٢ - ٥٣][(٢)].

وهذا كله من رحمة الله وفضله على يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ وعلى الناس، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ ۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٥٦].

ومن نتائج دعوته كذلك: «أن نعمة الله على العبد، نعمة على من يتعلق به من أهل بيته وأقاربه وأصحابه، وأنه ربما شملتهم، وحصل لهم ما حصل له بسببه، كما قال يعقوب في تفسيره لرؤيا يوسف ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [يوسف: ٦] ولما تمت النعمة على يوسف، حصل لآل يعقوب من العز والتمكين في الأرض والسرور والغبطة ما حصل بسبب يوسف..

ومنها: أن العبرة في حال العبد بكمال النهاية، لا بنقص البداية، فإن أولاد

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/ ٣٩٦.

(٢) القصص القرآني، صلاح الخالدي ٢/ ١٧٥.

يعقوب عليه السلام جرى منهم ما جرى في أول الأمر، مما هو أكبر أسباب النقص واللوم، ثم انتهى أمرهم إلى التوبة النصوح، والسماح التام من يوسف ومن أبيهم، والدعاء لهم بالمغفرة والرحمة، وإذا سمح العبد عن حقه، فالله خير الراحمين.

ولهذا قيل إنهم كانوا أنبياء، لقوله تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ﴾ [البقرة: ١٣٦]، وهم أولاد يعقوب الاثنا عشر وذريتهم، ومما يدل على ذلك أن في رؤيا يوسف، أنه رآهم كواكب نيرة، والكواكب فيها النور والهداية الذي من صفات الأنبياء، فإن لم يكونوا أنبياء فإنهم علماء هداة»[1].

المطلب السادس

الدروس المستفادة من دعوة يوسف عليه السلام

لقد تضمنت قصة يوسف عليه السلام دروساً عظيمة وعبراً عديدة؛ قال تعالى في خاتمة السورة المسماة باسمه عليه السلام: ﴿لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ [يوسف: ١١١].

✧ أولاً: القصص من وسائل الدعوة:

لا يخفى ما للقصص من أثر بالغ في الدعوة فإنها تجمع بين إقناع العقل وإمتاع العاطفة، وقصة يوسف عليه السلام من أفضل ما يجد الداعية فيها بغيته فيمتع أسماع المدعوين ويغذي عاطفتهم ويستلهم أثناء ذلك الدروس والعظات فيغذي عقولهم وأرواحهم.

(١) تيسير الكريم الرحمن ص٤٠٧ بتصرف يسير، وقد سبق نقل قول ابن كثير بأن القول بنبوتهم مرجوح، وعلى كلٍّ لا يوجد دليل صريح لأحد القولين، إنما هو استدلال.

قال تعالى في بداية سورة يوسف: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [يوسف: ٣].

وقال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ﴾ [يوسف: ٧].

وقال في آخرها: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: ١١١].

«هذه القصة من أحسن القصص وأوضحها وأبينها، لما فيها من أنواع التنقلات، من حال إلى حال، ومن محنة إلى محنة، ومن محنة إلى منحة ومنَّة، ومن ذل إلى عز، ومن رقٍّ إلى ملك، ومن فرقة وشتات إلى اجتماع وائتلاف، ومن حزن إلى سرور، ومن رخاء إلى جدب، ومن جدب إلى رخاء، ومن ضيق إلى سعة، ومن إنكار إلى إقرار، فتبارك من قصها فأحسنها، ووضحها وبيَّنها»(١).

✧ ثانياً: استعمال الكتمان أو التحذير من شخص بعينه عند المصلحة:

لما قص يوسف عليه السلام رؤياه على أبيه؛ علم ما سيصير إليه من مكانة رفيعة؛ فأمره بكتمان رؤياه وحذره من قصها على إخوته؛ قال تعالى: ﴿قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [يوسف: ٥].

فيستفاد من ذلك أنه ينبغي البعدُ عن أسباب الشر، وكتمان ما تخشى مضرته، وأنه يجوز ذكر الإنسان بما يكره على وجه النصيحة لغيره(٢).

فعلى الدعاة التنبه إلى هذا الأمر فيكتموا أمرهم إن رأوا أن في إظهاره شراً يلحق بهم أو بالدعوة.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ص ٤٠٧.

(٢) تيسير الكريم الرحمن ص ٤٠٧.

✧ ثالثاً: سنة الابتلاء والامتحان؛ والعاقبة للصابرين:

الدعاة إلى الله أكثر الناس امتحاناً وبلاء، لأنهم بدعوتهم يغيظون أهل الباطل ودعاته، فيتعرضون لكيدهم وإيذائهم، ولكن العاقبة دائماً للمتقين الصابرين، وخير دليل على ذلك ما ناله يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ بعد صبره على بلائه، فقد أصبح عزيز مصر ومكن له الله عَزَّ وَجَلَّ في الأرض يتبوأ منها حيث يشاء، وجمع الله شمله بأبيه وإخوته، قال تعالى عنه: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًاۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّاۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [يوسف: ١٠٠][(١)].

✧ رابعاً: تجنب فتنة النساء والحذر منها:

في قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ [يوسف: ٢٨] هذه الآية الكريمة إذا ضمت لها الآية الأخرى؛ ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٧٦] حصل بذلك بيان أن كيد النساء أعظم من كيد الشيطان[(٢)].

وذلك صحيح؛ فعن أسامة بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (ما تركت بعدي فتنة أضرَّ على الرجال من النساء)[(٣)].

ففتنة النساء أعظم الفتن مخافة على العباد؛ لأنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عمم جميع الفتن، ويشهد لهذا المعنى قول الله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ

(١) المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة، د. عبد الكريم زيدان ١/ ٢٩٣.
(٢) أضواء البيان ٢/ ٢١٧.
(٣) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب ما يتقى من شؤم المرأة (٥٠٩٦).

﴿وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ﴾ [آل عمران: ١٤]، فقدم النساء على جميع الشهوات[١].

وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: **(إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون؛ فاتقوا الدنيا، واتقوا النساء؛ فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء)**[٢].

✧ خامساً: استحضار العبد معية الله وعنايته:

«من دخل الإيمان قلبه؛ وكان مخلصاً لله في جميع أموره؛ فإن الله يدفع عنه ببرهانِ إيمانه وصدق إخلاصه من أنواع السوء والفحشاء وأسباب المعاصي؛ ما هو جزاء لإيمانه وإخلاصه، كما قال سبحانه في حق يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤].

وكذلك يفعل الله مع كل من سلك سبيل يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ، ففي قوله تعالى:

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [القصص: ١٤]

أي: ومثل ما وصفنا من تعليم يوسف وحراسته، نثيب من أحسن عمله، واجتنب المعاصي، فننجِّيه من الهلكة، ونستنقذه من الضّلالة ونجعله من أهل العلم والحكمة كما فعلنا بيوسف»[٣].

(١) شرح صحيح البخاري، لابن بطال (٧/ ١٨٨).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الرقاق، باب أكثر أهل الجنة الفقراء وأكثر أهل النار النساء وبيان الفتنة بالنساء (٦٩٤٨).

(٣) زاد المسير في علم التفسير ٢/ ٤٢٥.

✧ سادساً: الداعي إلى الله يدعو في جميع حالاته:

إن واجب الدعوة ليس له وقت محدد كواجب الصلاة؛ وإنما يجب القيام به كلما أمكن ذلك، ولذلك فإن يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو في ضيق السجن وكربته؛ حين واتته فرصة الدعوة اغتنمها، فدعا صاحبيه في السجن وعرفهما بدعوة الحق.

وهكذا ينبغي أن يكون الداعية؛ منشغلاً بدعوته؛ لا يفكر إلا بها، ولا يتحرك إلا من أجلها، ولا يبخل عليها بشيء من جهده ووقته[١].

✧ سابعاً: البدء في الدعوة بالأهم فالمهم:

إن يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ لما سأله الفتيان عن الرؤيا؛ قدم لهما قبل تعبيرها دعوتهما إلى الله وحده لا شريك له؛ فإذا سئل المفتي، وكان السائل حاجتُه في غير سؤاله أشد؛ ينبغي له أن يعلمه ما يحتاج إليه قبل أن يجيب سؤاله، فإن هذا علامة على نصح المعلم وفطنته، وحسن إرشاده وتعليمه.[٢]

✧ ثامناً: جواز الاستعانة بالعباد فيما يقدرون عليه:

من وقع في مكروه وشدة؛ فلا بأس أن يستعين بمن له قدرة على تخليصه أو الإخبار بحاله، فهذا لا يكون شكوى للمخلوق، بل هو من الأمور العادية التي جرى العرف بها، ولهذا قال يوسف للذي ظن أنه ناج من الفتيين: ﴿ٱذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ﴾ [يوسف: ٤٢] أي: اذكر شأني وقصتي لسيدك[٣].

والدعاة إلى الله قد يحتاجون أحياناً إلى من يعينهم في أمور دعوتهم؛ فلا بأس من

(١) المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة، عبد الكريم زيدان ١/ ٢٩٥.
(٢) تيسير الكريم الرحمن ٤٠٧.
(٣) تفسير القرآن العظيم ٤/ ٣٩١.

استعانتهم بمن يثقون في عونه ومصلحته؛ والنبي ﷺ قد استعان برجل كافر كان دليله في الهجرة إلى المدينة.

✧ تاسعاً: الإخلاص في الدعوة لله:

ينبغي ويتأكد على الداعية استعمال الإخلاص التام في دعوته؛ وأن لا يجعل منها وسيلة لمعاوضة أحد في مال أو جاه أو نفع؛ فإن يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ قد وصى أحد الفتيين أن يذكره عند سيده، فلم يذكره ونسي، فلما بدت حاجتهم إلى سؤال يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ أرسلوا ذلك الفتى، وجاءه سائلاً مستفتياً عن تلك الرؤيا، فلم يعنفه يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولا وبخه لتركه ذكره؛ بل أجابه عن سؤاله جواباً تاماً من كل وجه[١].

✧ عاشراً: جواز مدح النفس وطلب الولاية عند اقتضاء المصلحة ذلك:

قول يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٥] فيه أنه لا بأس أن يخبر الإنسان عما في نفسه من صفات الكمال؛ من علم أو عمل؛ إذا كان في ذلك مصلحة، ولم يقصد به الرياء، وسلم من الكذب.

وكذلك لا تذم الولاية، إذا كان المتولي فيها يقوم بما يقدر عليه من حقوق الله وحقوق عباده، وأنه لا بأس بطلبها، إذا كان أعظم كفاءة من غيره، وإنما الذي يذم؛ إذا لم يكن فيه كفاية، أو كان موجودا غيره مثله، أو أعلى منه، أو لم يرد بها إقامة أمر الله؛ فبهذه الأمور، ينهى عن طلبها، والتعرض لها[٢].

وعليه فإن ما تقدم يستثنى مما جاء في حديث أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: دخلت على

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ص ٤٠٧.
(٢) تيسير الكريم الرحمن ص ٤٠٧.

النبي ﷺ أنا ورجلان من قومي؛ فقال أحد الرجلين: أَمِّرْنا يا رسول الله، وقال الآخر مثله؛ فقال: **(إنا لا نُوَلِّي هذا من سأله ولا من حَرَص عليه)**[(١)].

وذلك لأن المراد من الحديث هو الحريص على الإمارة المتواطئ عليها، فهذا لا يجب أن يعان عليها، وأما إن حرص على القيام بأمر ضائع من أمور المسلمين؛ أو حرص على سد خلة فيهم؛ فلا بأس بذلك[(٢)].

وبناء على ما تقدم فلا ضير من أن يتقدم الداعي فيبين كفاءته وقدرته على عمل معين، ويبدي رغبته أو استعداده لعمل يرى أنه سينفع بذلك الدعوة والدعاة؛ وأن ذلك لا يقدح أبداً في إخلاصه وصدقه[(٣)].

✧ الحادي عشر: أن النصر مع الصبر والفرج مع الكرب:

قد جمع الله ليوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ جميع أنواع الصبر، صبر على طاعة الله وعبادته؛ وصبر عن معصيته سبحانه واقتراف نواهيه؛ وصبر على ما حل به من البلاء واحتسب الأجر عند ربه؛ فنال عَلَيْهِ السَّلَامُ عاقبة صبره، وحاز أعلى الدرجات والمكرمات؛ قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٥٦].

وأبوه يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ لما طال عليه الحزن واشتد به إلى أنهى ما يكون، ثم حصل الاضطرار لآل يعقوب ومسهم الضر، أذن الله حينئذ بالفرج، فحصل التلاقي في أشد الأوقات إليه حاجة واضطراراً، فتم بذلك الأجر وحصل السرور، وعُلِم من ذلك أن

(١) صحيح البخاري، كتاب الأحكام، باب ما يكره من الحرص على الإمارة (٧١٤٩).
(٢) شرح صحيح البخاري لابن بطال ٨/ ٢١٨.
(٣) المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة، عبد الكريم زيدان ١/ ٣٠٠.

الله يبتلي أولياءه بالشدة والرخاء، والعسر واليسر ليمتحن صبرهم وشكرهم، ويزداد بذلك إيمانهم ويقينهم[(١)].

وقد أثنى النبي ﷺ على صبر سيدنا يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ كما جاء في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: **(.. ولو لبثتُ في السجن ما لبثَ يوسف لأجبتُ الداعي)**[(٢)].

وفي رواية أخرى من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن رسول الله ﷺ: (عجبتُ لصبر أخي يوسف وكرمه - والله يغفر له - حيث أرسل إليه ليستفتي في الرؤية، ولو كنت أنا لم أفعل حتى أخرج، وعجبت لصبره وكرمه - والله يغفر له - أُتيَ ليخرج فلم يخرج حتى أخبرهم بعذره، ولو كنت أنا لبادرتُ الباب)[(٣)].

فهذا ثناء على يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ وبيان لصبره وتأنيه؛ والمراد بالداعي رسولُ الملك الذي أخبر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أنه قال: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴾ [يوسف: ٥٠].

فلم يخرج يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ مبادراً إلى الراحة ومفارقة السجن الطويل؛ بل صبر وتأنَّى حتى تظهر براءته للجميع، وقال النبي ﷺ عن نفسه ما قاله؛ تواضعاً وإيثاراً للإبلاغ في بيان كمال فضيلة يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ[(٤)].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ص ٤٠٧.

(٢) صحيح البخاري، كتاب التفسير باب قوله: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ۝٥٠﴾ [يوسف: ٥١] (٤٦٩٤).

(٣) المعجم الكبير للطبراني ١١/ ٢٤٩ (١١٦٦٦)، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١٩٤٥).

(٤) شرح صحيح مسلم للنووي ٢/ ١٨٥.

وفي هذا درس للدعاة في أن عليهم أن يتحلوا بالصبر الجميل؛ فإن عاقبةَ الصبرِ النصرُ ولو طال انتظاره؛ فلا ينبغي لهم الاستعجال؛ بل عليهم أن يثقوا تماماً أن العاقبة للصابرين؛ ولو بعد حين[1].

✧ الثاني عشر[2]: من أدلة صحة نبوة سيدنا محمد ﷺ:

قصة يوسف عليه السلام من الأدلة على نبوة محمد ﷺ، حيث قصَّ على قومه هذه القصة الطويلة، وهو لم يقرأ كتب الأولين ولا دارس أحداً؛ يراه قومه بين أظهرهم صباحاً ومساء؛ وهو أمِّيٌّ لا يخط ولا يقرأ، وهي موافقة، لما في الكتب السابقة.

ولذا قال تعالى في تمام القصة: ﴿ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَۖ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ أَجۡمَعُوٓاْ أَمۡرَهُمۡ وَهُمۡ يَمۡكُرُونَ﴾ [يوسف: ١٠٢].

✧ الثالث عشر: الحذر من شؤم الذنوب:

فالذنب الواحد يستتبع ذنوباً متعددة، ولا يتم لفاعله إلا بعدة جرائم، فإخوة يوسف لما أرادوا التفريق بينه وبين أبيه، احتالوا لذلك بأنواع من الحيل، وكذبوا عدة مرات، وزوروا على أبيهم في القميص والدم الذي فيه، وفي إتيانهم عشاء يبكون، ولا تستبعد أنه قد كثر البحث فيها في تلك المدة، بل لعل ذلك اتصل إلى أن اجتمعوا بيوسف، وكلما صار البحث، حصل من الإخبار بالكذب، والافتراء، ما حصل، وهذا شؤم الذنب، وآثاره التابعة والسابقة واللاحقة.

(١) المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة، عبد الكريم زيدان ١/ ٣٠١.

(٢) من الثانية عشر حتى الأخير تم تلخيصها من كتاب تيسير الكريم الرحمن ص ٤٠٧، وما بعدها، وتيسير اللطيف المنان ص ٢٧١ - ٢٨٦.

✧ الرابع عشر: بعض الشر أهون من بعض:

فارتكاب أخف الضررين أولى من ارتكاب أعظمهما، فإن إخوة يوسف، لما اتفقوا على قتل يوسف أو إلقائه أرضاً، وقال قائل منهم: ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ﴾ [يوسف: ١٠] كان قوله أحسن منهم وأخف، وبسببه خف عن إخوته الإثم الكبير.

✧ الخامس عشر: جواز استخدام المعاريض:

أنه ينبغي لمن أراد أن يوهم غيره، بأمر لا يحب أن يطلع عليه، أن يستعمل المعاريض القولية والفعلية المانعة له من الكذب، كما فعل يوسف حيث ألقى الصُّواع في رحل أخيه، ثم استخرجها منه، موهماً أنه سارق، وليس فيه إلا القرينة الموهمة لإخوته، وقال بعد ذلك: ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّظَٰلِمُونَ﴾ [يوسف: ٧٩]، ولم يقل «من سرق متاعنا» وكذلك لم يقل «إنا وجدنا متاعنا عنده» بل أتى بكلام عام يصلح له ولغيره، وليس في ذلك محذور، وإنما فيه إيهام أنه سارق ليحصل المقصود الحاضر، وأنه يبقى عند أخيه وقد زال عن الأخ هذا الإيهام بعد ما تبينت الحال.

✧ السادس عشر: فضيلة العلم والعلماء:

مناسبة رؤيا يوسف: أنه رأى الشمس والقمر والكواكب الأحد عشر ساجدين له، أن هذه زينة للسماء، وفيها منافعها، فكذلك الأنبياء والعلماء والأصفياء زينة الأرض، وبهم يهتدى في الظلمات كما يهتدى بالأنوار السماوية، وأن الساجد محترم لمن سجد له، والمسجود له معظم محترم، فدل ذلك على أن يوسف يصير معظماً محترماً لأبويه

وإخوته، ولا يتم هذا إلا بمقدمات تقتضي الوصول إلى هذا: من علوم وأعمال واجتباء من الله، فلهذا قال: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ﴾ [يوسف: ٦].

ففي قصة يوسف عليه السلام فضيلة العلم، علم الشرع والأحكام، وعلم تعبير الرؤيا، وعلم التدبير والتربية، وعلم السياسة، فإن يوسف ﷺ إنما حصلت له الرفعة في الدنيا والآخرة بسبب علمه المتنوع، وفيه أن علم التعبير داخل في الفتوى، فلا يحل لأحد أن يجزم بالتعبير قبل أن يعرف ذلك، كما ليس له أن يفتي في الأحكام بغير علم؛ لأن الله سماها فتوى في هذه السورة.

✧ السابع عشر: نعمة الله على عبده تشمل من حوله:

نعمة الله على العبد نعمة على من يتعلق به، ويتصل من أهل بيته وأقاربه وأصحابه، فإنه لا بد أن يصلهم ويشملهم منها جانب لقوله: ﴿وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعۡقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيۡكَ مِن قَبۡلُ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ﴾ [يوسف: ٦] أي: بما يحصل لك؛ ولهذا لما تمت النعمة على يوسف حصل لآل يعقوب من العز والتمكن والسرور، وزوال المكروه، وحصول المحبوب ما ذكر الله في آخر القصة.

✧ الثامن عشر: المطالب العالية لا تنال إلا بالأسباب النافعة:

ومنها: أن النعم الكبيرة الدينية والدنيوية لا بد أن يتقدمها أسباب ووسائل إليها؛ لأن الله حكيم، وله سنن لا تتغير، قضى بأن المطالب العالية لا تنال إلا بالأسباب النافعة، خصوصاً العلوم النافعة، وما يتفرّع عنها من الأخلاق والأعمال؛ فلهذا عرف يعقوب أن وصول يوسف إلى تلك الحالة التي يخضع له فيها أبوه وأمه وإخوته مقام عظيم، ومرتبة عالية، وأنه لا بد أن ييسر الله ليوسف من الوسائل ما يوصله إليها، ولهذا قال: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ﴾ [يوسف: ٦].

✧ التاسع عشر: وجوب العدل في كل شيء:

أن العدل مطلوب في جميع الأمور الصغار والكبار في معاملة السلطان لرعيته، ومعاملة الوالدين للأولاد، والقيام بحقوق الزوجات، وغير ذلك في المحبة والإيثار ونحوها، وأن القيام بالعدل في ذلك تستقيم الأمور صغارها وكبارها به، ويحصل للعبد ما أحب، وفي الإخلال بذلك تفسد الأحوال، ويحصل للعبد المكروه من حيث لا يشعر؛ لهذا لما قدم يعقوب يوسف في المحبة، وجعل وجهه له جرى منهم على أبيهم وأخيهم من المكروه ما جرى.

✧ العشرون: العبرة للعبد في حال كمال النهاية، لا بنقص البداية:

فإن أولاد يعقوب عليه السلام جرى منهم ما جرى في أول الأمر من الجرائم المتنوعة، ثم انتهى أمرهم إلى التوبة النصوح، والاعتراف التام، والعفو التام عنهم من يوسف ومن أبيهم، والدعاء لهم بالمغفرة والرحمة، وإذا سمح العبد بحق، فالله أولى بذلك وهو خير الراحمين الغافرين، ولهذا في أصح الأقوال إن الله جعلهم أنبياء لمحو ما سبق منهم، وكأنه ما كان، ولقوله: ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ﴾ [البقرة: ١٣٦] وهم أولاد يعقوب الاثنا عشر وذريتهم، ومما يؤيد هذا أن في رؤيا يوسف أنهم هم الكواكب التي فيها النور والهداية، وهي من صفات الأنبياء، فإن لم يكونوا أنبياء فإنهم علماء عباد.

✧ الحادي والعشرون: الحذر من الخلوة بالنساء الأجنبيات:

وخصوصاً اللاتي يخشى منهن الفتنة، والحذر أيضاً من المحبة التي يخشى ضررها؛ فإن امرأة العزيز جرى منها ما جرى بسبب توحُّدها بيوسف، وحبها الشديد له

الذي ما تركها حتى راودته تلك المراودة، ثم كذبت عليه فسجن ذلك السجن الطويل.

ينبغي للعبد إذا ابتلي بالوقوع في محل فيه فتنة وأسباب معصية أن يفر ويهرب غاية ما يمكنه؛ ليتمكن من التخلص من ذلك الشر، كما فر يوسف هارباً للباب، وهي تمسك بثوبه وهو مدبر عنها.

✧ الثاني والعشرن: الإيمان يقاوم الهم بالمعصية:

الهم الذي همَّ به يوسف ثم تركه لله ولبرهان الإيمان الذي وضعه الله في قلبه مما يرقّيه إلى الله زلفى؛ لأن الهم داع من دواعي النفس الأمّارة بالسوء، وهو طبيعة طُبع عليها الآدمي، فإذا حصل الهم بالمعصية ولم يكن عند العبد ما يقاوم ذلك من الإيمان والخوف من الله وقع الذنب، وإن كان العبد مؤمناً كامل الإيمان فإن الهم الطبيعي إذا قابله ذلك الإيمان الصحيح القوي منعه من ترتب أثره، ولو كان الداعي قويّاً، ولهذا كان يوسف من أعلى هذا النوع، قال تعالى: ﴿لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤] لاستخلاص الله إياه، وقوة إيمانه وإخلاصه، خلّصه الله من الوقوع في الذنب، فكان ممن خاف مقام ربه، ونهى النفس عن الهوى، ومن أعلى السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، فذكر ﷺ منهم رجلاً دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله، فهمّها لما كان لا معارض له استمرت في مراودته، وهمه عارض عرض، ثم زال في الحال ببرهان ربه.

✧ الثالث والعشرون: مشروعية العمل بالقرائن:

القرائن يعمل بها عند الاشتباه في الدعاوى، وذلك أن الشاهد الذي شهد أي:

حكم على يوسف وعلى المرأة اعتبر القرينة فقال: ﴿إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ﴾ [يوسف: ٢٦] إلى آخر القضية، وصار حكمه هذا موافقاً للصواب، ومن القرائن وجود الصواع في رحل الأخ، وقد اعتبر هذا وهذا.

✧ الرابع العشرون: اختيار العقوبة الدنيوية بدلاً من الأخروية:

يوسف عليه السلام اختار السجن على المعصية، فهكذا إذا ابتلي العبد بأحد أمرين، إما أن يلجأ إلى فعل المعصية، وإما أن يعاقب عقوبة دنيوية، فعليه أن يختار العقوبة الدنيوية التي فيها الثواب من هذا الوجه بعدة أمور: ثواب من جهة اختياره الإيمان على السلامة من العقوبة الدنيوية، وثواب من جهة أن هذا من باب التخليص للمؤمن والتصفية، وهو يدخل في الجهاد في سبيل الله، وثواب من جهة المصيبة التي نالته والألم الذي أصابه، فسبحان من ينعم ببلائه، ويلطف بأصفيائه، وهذا أيضاً عنوان الإيمان، وعلامة السعادة.

✧ الخامس والعشرون: اللجوء إلى الله حال الفتن:

ينبغي للعبد أن يلتجئ إلى ربه، ويحتمي بحماه عند وجود أسباب المعصية، ويتبرأ من حوله وقوته لقول يوسف: ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [يوسف: ٣٣] فالعبد الموفق يستعين ربه على دفع المعاصي وأسبابها، كما يستعين به عند فعل الطاعات والخيرات، والله كافي المتوكلين.

✧ السادس والعشرون: أهمية العلم مع العقل:

العلم والعقل الصحيح يدعوان صاحبهما إلى الخير، وينهيانه عن الشر، وأن الجهل يدعو صاحبه إلى ضد ذلك لقوله: ﴿أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [يوسف: ٣٣] أي: الجاهلين بالأمور الدينية، والجاهلين بالحقائق النافعة والحقائق الضارة.

✧ السابع والعشرون: عبودية الشدة وعبودية الرخاء:

كما على العبد عبودية لربه في حال رخائه، فعليه عبودية في حال الشدة، فيوسف ﷺ لم يزل يدعو إلى الله، فلما دخل السجن استمر على ذلك، ودعا من يتصل به من أهل السجن، ودعا الفتيين إلى التوحيد، ونهاهما عن الشرك، ومن كمال رأيه وحكمته أنه لما رأى فيهما قابلية لدعوته حين احتاجا إليه في تعبير رؤياهما وقالا له: ﴿إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٣٦] رأى ذلك فرصة، فدعاهما إلى الله قبل أن يعبر رؤياهما؛ ليكون أقرب إلى حصول المطلوب، وبيّن لهما أن الذي أوصله إلى هذه الحال التي رأياه فيها من الكمال والعلم إيمانه وتوحيدُه وتركُه لملة المشركين، وهذا دعاء لهما بالحال، ثم دعاهما بالمقال، وبرهن لهما على حسن التوحيد ووجوبه، وعلى قبح الشرك وتحريمه.

✧ الثامن والعشرون: شمولية إجابة السائل لما ينفعه في دينه ودنياه:

ينبغي للمسؤول إذا أجاب السؤال أن يدل السائل على الأمر الذي ينفعه مما يتعلق بسؤاله، ويرشده إلى الطريق التي ينتفع بها في دينه ودنياه، فإن هذا من كمال نصحه، وجزالة رأيه، وحسن إرشاده؛ فإن يوسف لم يقتصر على تعبير رؤيا الملك، بل دلهم مع ذلك، وأشار عليهم بما يصنعونه في تلك السنين المخصبات من الإكثار من الزراعة، وحسن الحفظ والجباية.

✧ التاسع والعشرون: أهمية دفع التهمة عن النفس:

أنه لا يلام العبد على دفع التهمة عن نفسه، بل ذلك مطلوب كما امتنع يوسف من الخروج من السجن حتى تتبين لهم براءته مع النسوة اللاتي قطعن أيديهن.

✧ الثلاثون: حصول خير الآخرة بالإيمان والتقوى:

أن الله واسع الجود والكرم، يجود على عبده بخير الدنيا والآخرة، وأن خير الآخرة له سببان لا ثالث لهما: الإيمان بكل ما أوجب الله الإيمان به، والتقوى التي هي امتثال الأوامر الشرعية واجتناب النواهي، وأن خير الآخرة خير من ثواب الدنيا وملكها، وأنه ينبغي للعبد أن يدعو نفسه ويشوقها لثواب الله، ولا يدعها تحزن إذا رأت لذات الدنيا ورياساتها وهي عاجزة عنها، بل يسليها بالثواب الأخروي ليخف عليها عدم حصول الدنيا، لقول يوسف: ﴿وَلَأَجْرُ ٱلْأَخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [يوسف: ٥٧].

✧ الحادي والثلاثون: الكرم سمة الأنبياء:

الضيافة من سنن المرسلين، وإكرام الضيف، لقول يوسف: ﴿أَلَا تَرَوْنَ أَنِّىٓ أُوفِى ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ﴾ [يوسف: ٥٩].

✧ الثاني والثلاثون: جواز استخدام الحيل للوصول للحقوق:

جواز استعمال الحيل والمكايد التي يتوصل بها إلى الحقوق، وأن العلم بالطرق الخفية الموصلة إلى مقاصدها مما يحمد عليه العبد، وأما الحيل التي يراد بها إسقاط واجب أو فعل محرم فإنها محرمة غير نافذة.

✧ الثالث والثلاثون: الشهادة لا تجوز إلا بعلم:

لا يجوز أن يشهد إلا بما علمه، وتحققه برؤية أو سماع لقولهم: ﴿وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَـٰفِظِينَ﴾ [يوسف: ٨١]، وقوله: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف: ٨٦].

✧ الرابع والثلاثون: فضيلة التقوى والصبر:

فكل خير في الدنيا والآخرة فمن آثار التقوى والصبر، وأن عاقبة أهلهما أحسن العواقب لقوله: ﴿قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٠].

✧ الخامس والثلاثون: تذكر البلاء السابق يعين على شكر النعم الحاضرة:

أنه ينبغي للعبد إذا أنعم عليه بنعمة بعد ضدها أن يتذكر الحالة السابقة؛ ليعظم وقع هذه النعمة الحاضرة، ويكثر شكره لله تعالى، ولهذا قال يوسف: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ﴾ [يوسف: ١٠٠].

✧ السادس والثلاثون: ألطاف الله المتنوعة المسهِّلة للبلاء في القصة:

منها رؤيا يوسف السابقة؛ فإن فيها روحاً ولطفاً بيوسف وبيعقوب، وبشارة بالوصول إلى تأويلها، ولطف الله بيوسف إذ أوحى إليه وهو في الجب لتنبئنهم بأمرهم هذا، وهم لا يشعرون، وتنقلاته من حال إلى حال، فإن فيها ألطافاً ظاهرة وخفية؛ ولهذا قال في آخر الأمر: ﴿إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ﴾ [يوسف: ١٠٠] يلطف به في أحواله الداخلية، ويلطف له في الأمور الخارجية، ويوصله إلى أعلى المطالب من حيث لا يشعر.

✧ السابع والثلاثون: الإلحاح على الله بالثبات وحسن الختام:

ينبغي للعبد أن يلح دائماً على ربه في تثبيت إيمانه، وأن يحسن له الخاتمة، وأن يجعل خير أيامه آخرها، وخير أعماله خواتمها، فإن الله كريم جواد رحيم، كما قال يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١].

الفصل الخامس
دعوة أنبياء من بني إسرائيل

تضمن مباحث:

المبحث الأول: دعوة يونس عليه السلام.

المبحث الثاني: دعوة داوود عليه السلام.

المبحث الثالث: دعوة سليمان عليه السلام.

المبحث الرابع: دعوة هارون عليه السلام.

المبحث الخامس: دعوة زكريا عليه السلام.

المبحث السادس: دعوة يحي عليه السلام.

المبحث الأول

دعوة يونس عليه السلام

المطلب الأول التعريف بيونس عليه السلام وقومه.

المطلب الثاني نتيجة دعوة يونس عليه السلام.

المطلب الثالث الدروس المستفادة من دعوة يونس عليه السلام.

المطلب الأول
التعريف بيونس عليه السلام وقومه

هو يونس بن مَتَّى، ومتى أبوه، وهو من ولد بنيامين بن يعقوب[١].

بعثه الله إلى أهل نَيْنَوَى من أرض الموصل[٢] فدعاهم إلى الله عز وجل، فكذبوه وتمردوا على كفرهم وعنادهم، فلما طال ذلك عليه من أمرهم؛ خرج من بين أظهرهم ووعدهم حلول العذاب بهم، فلما خرج من بين ظهرانيهم وتحققوا نزول العذاب بهم؛ قذف الله في قلوبهم التوبة والإنابة وندموا على ما كان منهم إلى نبيهم، فكشف الله العظيم بحوله وقوته ورأفته ورحمته عنهم العذاب.

وقد كان عددهم كما نص الله عز وجل: ﴿وَأَرْسَلْنَـٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ [الصافات: ١٤٧]، أي: أنهم إن ما زادوا لم ينقصوا، أو يزيدون في التقدير إن رآهم الرائي[٣].

فقد قص القرآن الكريم قصة يونس عليه السلام في سور يونس، والأنبياء، والصافات، والقلم.

وورد ذكر يونس عليه السلام في سورتي النساء والأنعام ضمن مجموعة الأنبياء والرسل عليهم السلام.

قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَـٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَـٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾﴾ [يونس: ٩٨].

(١) قيل إن متى هو اسم لأمه، والأصح انه اسم لأبيه، ينظر: فتح الباري، لابن حجر ٦/ ٤٥١؛ والمنتظم في تاريخ الملوك والأمم ١/ ٣٩٥.

(٢) بكسر أوله، وسكون ثانيه، وفتح النون والواو؛ قرية بالموصل كانت عاصمة للدولة الآشورية في شمالي العراق، ينظر: معجم البلدان لياقوت الحموي ٥/ ٣٣٩، وأطلس تاريخ الأنبياء والرسل، سامي المغلوث ص١٧٤، وهي معروفة بأسمها إلى اليوم.

(٣) وهناك أقوال أخرى، ينظر: زاد المسير لابن الجوزي ٣/ ٥٥٣، وتيسير الكريم الرحمن ص ٧٠٧.

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ ۞ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [الصافات: ١٣٩ - ١٤٨].

وقال تعالى: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧ - ٨٨].

وقال تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [القلم: ٤٨ - ٥٠].

المطلب الثاني

نتيجة دعوة يونس عليه السلام

قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [يونس: ٩٨].

أي: «لم يكن من الناس أحد انتفع بإيمانه، حين رأى العذاب، لأن الإيمان الاضطراري ليس بإيمان حقيقة، ولو صرف عنه العذاب والأمر الذي اضطره إلى الإيمان لرجع إلى الكفران، إلا قوم يونس عليه السلام فهم مستثنون من هذا العموم، ولا بد لذلك من حكمة لعالم الغيب والشهادة لم تصل إلينا ولم تدركها أفهامنا، أو لعل الحكمة في ذلك أن غيرهم من المهلكين لو ردوا لعادوا لما نهوا عنه، وأما قوم يونس

فإن الله علم أن إيمانهم سيستمر بل قد استمر فعلاً وثبتوا عليه»[(١)].

«وظاهر هذه الآية الكريمة أن إيمان قوم يونس ما نفعهم إلا في الدنيا دون الآخرة، ولكنه تعالى: أطلق عليهم اسم الإيمان من غير قيد، والإيمان منقذ من عذاب الدنيا وعذاب الآخرة، كما بين أيضا كثرة عددهم، فقال: ﴿وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ١٤٧ فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [الصافات: ١٤٧ - ١٤٨]»[(٢)].

«ولا مانع أن يكون الذين أرسل إليهم أولا أمر بالعود إليهم بعد خروجه من الحوت، فصدقوه كلهم وآمنوا به، وقيل بل هم قوم آخرون أرسل إليهم بعدما نبذه الحوت فكان قد أرسل إلى قوم بعد قوم، والله أعلم»[(٣)].

«في هذه القصة عتاب الله ليونس ﷺ اللطيف، وحبسه في بطن الحوت؛ ليكون كفارة وآية عظيمة وكرامة ليونس، ومن نعمة الله عليه أنه استجاب له هذا العدد الكثير من قومه، فكثرة أتباع الأنبياء من جملة فضائلهم»[(٤)].

المطلب الثالث

الدروس المستفادة من دعوة يونس عليه السلام

أولاً: أهمية الصبر على الدعوة:

قال تعالى: مخاطباً نبيه ﷺ: ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ [القلم: ٤٨] فقد «أمر تعالى: نبيه بالصبر لحكمه، وأن يمضي لما أمر به من

(١) تيسير الكريم الرحمن ص ٣٧٤.
(٢) أضواء البيان ٢/ ١٦٢.
(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٧/ ٤٠، والنكت والعيون للماوردي ٥/ ٦٩.
(٤) تيسير اللطيف المنان ص٢٣٨.

التبليغ واحتمال الأذى والمشقة، وأن لا يثنيه عن ذلك تكذيبهم وأذاهم له، وألا يكون كصاحب الحوت وهو سيدنا يونس عَلَيْهِ السَّلَامُ، فإنه عجل بالذهاب ومغاضبة قومه.

والخطاب للنبي ﷺ خطاب لأمته وعلى رأسهم الدعاة لاسيما وأنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قال: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

فأتباعه ﷺ هم الدعاة، وهم مثل نبيهم ﷺ يدعون إلى الله على بصيرة، ومن الدعوة على بصيرة أن تكون بالصبر الذي أمر الله تعالى: به»[(١)].

«فالغرض من ذكر يونس تسلية النبي ﷺ فيما يلقاه من ثقل الرسالة بأن ذلك قد أثقل الرسل من قبله فظهرت مرتبة النبي ﷺ في صبره على ذلك وعدم تذمّره ولإعلام جميع الناس بأنه مأمور من الله تعالى: بمداومة الدعوة للدين لأن المشركين كانوا يلومونه على إلحاحِه عليهم ودعوته إياهم في مختلف الأزمان والأحوال»[(٢)].

«**وأمره تعالى**: لنبينا ﷺ بالصبر ونهيه إياه أن يكون كصاحب الحوت دليل على أن صاحب الحوت لم يصبر الصبر اللازم»[(٣)].

ولا يعنى هذا الحطَّ من قدر يونس عَلَيْهِ السَّلَامُ، فإن فضل الله يؤتيه من يشاء، ولذلك قال ﷺ في حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: **(ما ينبغي لعبد أن يقول إني خير من يونس بن مَتَّى)**[(٤)].

«فهذا زجرٌ منه ﷺ عن أن يتخيل أحد من الجاهلين شيئا من حط مرتبة يونس

---

(١) المستفاد من قصص الأنبياء للدعوة والدعاة ١/ ٤٦٩.

(٢) التحرير والتنوير ٢٣/ ١٧٨.

(٣) أضواء البيان ٤/ ٢٤٣، جامع البيان ٢٣/ ٥٦٢.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ١٣٩﴾ [الصافات: ١٣٩] (٣٤١٣).

عَلَيْهِ السَّلَامُ من أجل ما في القرآن العزيز من قصته، فإن ذلك لم يحطَّه من النبوة مثقال ذرة»[(١)].

إن طريق الدعوة ليس هيناً ليناً، واستجابة النفوس للدعوة ليست قريبة يسيرة، فهناك ركام من الباطل يجثم ولا بد من إزالته.. فالدعوة هي الأصل لا شخص الداعية! فليضق صدره؛ ولكن ليكظم ويمض؛ وخير له أن يصبر فلا يضيق صدره بما يقولون! لأن الداعية أداة في يد الله. والله يرعى دعوته ويحفظها، فليؤد الداعية واجبه في كل الظرف، والهدى هدى الله.

ثانياً: لا أحد يستطيع أن يخرج عن إرادة الله:

قوله سبحانه: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ﴾ [الأنبياء ٨٧].

أن يونس قد خرج غضبان على قومه لعدم استجابتهم لدعوته فظن أن لن نضيق عليه، عقاباً له على مفارقته لهم من غير أمرنا، أو فظن أننا لن نقضي عليه بعقوبة معينة في مقابل تركه لقومه بدون إذننا.

فقوله: ﴿نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ﴾ بمعنى نضيق عليه ونعاقبه، يقال: قدر الله الرزق يقدره - بكسر الدال وضمها - إذا ضيقه. ومنه قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُ﴾ [الرعد: ٢٦]. وقوله: ﴿وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيۡهِ رِزۡقَهُۥ﴾ [الفجر: ١٦] أي: ضيقه عليه[(٢)].

قال ابن كثير: «فقد ذهب يونس عَلَيْهِ السَّلَامُ فركب مع قوم في سفينة فلججت بهم، وخافوا أن يغرقوا، فاقترعوا على رجل يلقونه من بينهم يتخففون منه، فوقعت القرعة على يونس، فأبوا أن يلقوه، ثم أعادوا القرعة فوقعت عليه أيضاً، فأبوا، ثم أعادوها فوقعت عليه أيضاً، قال الله تعالى: ﴿فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُدۡحَضِينَ﴾ [الصافات: ١٤١]، أي:

---

(١) شرح صحيح مسلم للنووي ١٥/ ١٣٢، وإرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ٥/ ٣٩٣.

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٥/ ٣٦٦.

وقعت عليه القرعة، فقام وتجرد من ثيابه، ثم ألقى نفسه في البحر»[١].

وقوله: ﴿فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ [الصافات: ١٤٢] «أي: ابتلعه: ﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ أي: آت بما يلام عليه من السفر بغير أمر ربه»[٢].

ثالثاً: أهمية التعرف على الله في الرخاء وأثر ذلك عند الشدة:

«فالعبد إذا كانت له مقدمة خاصة مع ربه وقد تعرف إلى ربه في حال الرخاء، أن الله يشكر له ذلك، ويعرفه في حال الشدة بكشفها بالكلية أو تخفيفها»[٣].

قال تعالى: عن يونس عليه السلام: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الصافات: ١٤٣ - ١٤٤]، «أي لولا تسبيحه، وتحميده، وكثرة عبادته لربه في وقته السابق قبل التقام الحوت له، للبث في بطنه إلى يوم يبعثون»[٤].

«أخبر الله عز وجل أن يونس كان من المسبحين، وأن تسبيحه كان سبب نجاته، ولذلك قيل: إن العمل الصالح يرفع صاحبه إذا عثر.. قال الحسن: ما كان له صلاة في بطن الحوت، ولكنه قدم عملاً صالحاً في حال الرخاء فذكره الله به في حال البلاء»[٥].

ومن هذا المعنى حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(من سره أن يستجيب الله له عند الشدائد والكرب فليكثر الدعاء في الرخاء)**[٦].

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٥/ ٣٦٦.
(٢) محاسن التأويل ٨/ ٢٢٧.
(٣) تيسير اللطيف المنان ص٢٣٨.
(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير٧/ ٣٩، وانظر: تيسير الكريم الرحمن ص ٧٠٧.
(٥) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٨/ ١٩٩.
(٦) جامع الترمذي، كتاب الدعوات، باب ما جاء أن دعوة المسلم مستجابة (٣٣٨٢)، قال أبو عيسى هذا حديث غريب، وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته رقم (٦٢٩٠).

وعن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال له: (احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده أمامك تعرف إليه في الرخاء يعرفك في الشدة)[(١)].

فعلى المؤمن - ولا سيما الداعية - أن يعمل على تقوية رصيده من الأعمال الصالحة أوقات الرخاء حتى تكون له زاداً أوقات الضيق والشدائد والكروب[(٢)].

قال الضحاك بن قيس: «اذكروا الله في الرخاء، يذكركم في الشدة؛ إن يونس عليه السلام كان عبداً صالحاً، وكان يذكر الله، فلما وقع في بطن الحوت، سأل الله؛ فقال: ﴿أَن لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَـٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧] وإن فرعون كان عبداً طاغياً ناسياً لذكر الله تعالى، فلما أدركه الغرق، قال: ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٩٠]؛ فقال الله: ﴿ءَآلْـَٔـٰنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس: ٩١]؛ فاجعل لك ذخائر خيرٍ من تقوى، تجد تأثيرها»[(٣)].

«فالإيمان ينجي من الأهوال والشدائد لقوله تعالى: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٨] أي: إذا وقعوا فيها لإيمانهم»[(٤)].

رابعاً: أهمية الدعاء لكشف الكرب:

قال تعالى: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَـٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ أَن لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَـٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧ - ٨٨].

---

(١) مسند أحمد ١/ ٣٠٧ (٢٨٠٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته رقم (٢٩٦١).
(٢) المستفاد من قصص الأنبياء للدعوة والدعاة د. عبد الكريم زيدان ١/ ٤٧٢.
(٣) زاد المسير ٤/ ٦٠.
(٤) أضواء البيان ٤/ ٢٤٤.

«يدل على أنه ما من مؤمن يصيبه الكرب والغم فيبتهل إلى الله داعياً بإخلاص إلا نجاه الله من ذلك الغم، ولا سيما إذا دعا بدعاء يونس عليه السلام [الأنبياء: ٨٧]»(١).

وقد جاء في حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (دعوة ذي النون(٢) إذ دعا بها وهو في بطن الحوت «لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين» فإنه لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب الله له)(٣).

والدعاة إلى الله من المؤمنين الموعودين بالنجاة، فعليهم أن يعمقوا فيهم هذا الإيمان فيبذلوا أقصى الجهد في العمل للدعوة إلى الله، فإن الله ميسر لهم سبل النجاة من الشدائد التي يقعون فيها(٤).

إن في رجعة ذي النون إلى ربه واعترافه بظلمه لعبرة للدعاة ينبغي أن يتدبروها، وإن في رحمة الله لذي النون واستجابة دعائه المنيب في الظلمات لبشرى للمؤمنين.

خامساً: عمل الدعاة محكوم بالشرع:

قال تعالى: عن سيدنا نوح عليه السلام: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾ [الصافات: ١٣٩ - ١٤٠]. فإن يونس عليه السلام حين انصرف عن قومه مغاضباً وصفه الله تعالى: آبقاً ومليماً، والآبق الفار إلى حيث لا يعلم به، والمليم هو الذي أتى بما يلام عليه(٥).

---

(١) أضواء البيان ٤/ ٢٤٤.

(٢) النون هو الحوت، ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر ١/ ٩٠.

(٣) مسند أحمد ١/ ١٧٠ (١٤٦٢)، وصححه الألباني في: صحيح الجامع الصغير وزيادته ١/ ٦٣٧ (٣٣٨٣).

(٤) المستفاد من قصص الأنبياء للدعوة والدعاة د. عبد الكريم زيدان ١/ ٤٧٢.

(٥) النكت والعيون للماوردي ٥/ ٦٦ - ٦٧.

فعلى الدعاة أن يخضعوا في جميع أعمالهم لحكم الشرع وإذنه، فلا يجوز لهم أن يتصرفوا في شؤون الدعوة وما يتعلق بها دون إذن من الشرع[(١)].

سادساً: جواز استعمال القرعة وقاعدة أخف الضررين:

«وفيها استعمال القرعة عند الاشتباه في مسائل الاستحقاق والحرمان إذا لم يكن مرجح سواها، وفي عمل أهل السفينة هذا العمل دليل على القاعدة المشهورة أنه يرتكب أخف الضررين لدفع الضرر الذي هو أكبر منه، ولا ريب أن إلقاء بعضهم وإن كان فيه ضرر، فعطب الجميع إذا لم يلق أحد أعظم»[(٢)].

(١) المستفاد من قصص الأنبياء للدعوة والدعاة د. عبد الكريم زيدان ١/ ٤٧١.

(٢) تيسير اللطيف المنان ص٢٣٨.

المبحث الثاني

دعوة داوود عليه السلام

المطلب الأول التعريف بداوود عليه السلام.

المطلب الثاني الصفات الدعوية لداوود عليه السلام.

المطلب الثالث أسس دعوة داوود عليه السلام.

المطلب الرابع وسائل وأساليب دعوة داوود عليه السلام.

المطلب الخامس نتيجة دعوة داوود عليه السلام.

المطلب السادس الدروس المستفادة من دعوة داوود عليه السلام.

المطلب الأول
التعريف بداوود عَلَيْهِ السَّلَامُ

اسمه: داوود بن إيشا بن عويد بن عابر بن سلمون بن نحشون بن عويناذب بن إرم بن حصرون بن فارض بن يهوذا بن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم الخليل عليهم الصلاة والسلام عبد الله ونبيه وخليفته في أرض بيت المقدس.

صفته الخَلقية: قال محمد بن إسحاق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه: كان داوود عَلَيْهِ السَّلَامُ قصيراً أزرق العينين قليل الشعر طاهر القلب ونقيه.

قومه الذين أرسل إليهم: كان نبياً رسولاً وملكاً على بني إسرائيل، قال الله ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٥١].

وقال تعالى: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [ص٢٦] لما قتل داوود جالوت أحبته بنو إسرائيل ومالوا إليه وإلي ملكه عليهم(١).

كتابه الذي أُنزل عليه: الزبور، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ [الإسراء: ٥٥].

وذُكر في الزبور أن أمة محمد هي الأمة الخاتمة، وهي أفضل الأمم، قال تعالى:

(١) ينظر: البداية والنهاية ٢/ ١٢.

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥].

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أخبر سبحانه في التوراة والزبور وسابق علمه قبل أن تكون السماوات والأرض، أن يورث أمة محمد ﷺ، ويُدخلهم الجنة، وهم الصالحون»[(١)].

المطلب الثاني

الصفات الدعوية لداوود عَلَيْهِ السَّلَامُ

اتصف داوود عَلَيْهِ السَّلَامُ بصفات عدة بجانب صفة النبوة وهي:

✧ أولاً: العلم:

قال تعالى: في نهاية قصة قتل داوود عَلَيْهِ السَّلَامُ لجالوت: ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢٥١].

قال الماوردي: «يريد بالحكمة: النبوة، ويحتمل أن الحكمة: العدل في سيرته»[(٢)].

قال ابن كثير: «﴿وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ﴾ أي: مما يشاء من العلم الذي اختص به ﷺ»[(٣)]، وقال السدي: «والذي علمه: هو صنعة الدروع ومنطق الطير، وغير ذلك من أنواع ما علمه ﷺ»[(٤)].

وقال تعالى: ﴿وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ

(١) جامع البيان ١٨/ ٥٤٩، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ٨/ ٢٤٧١.
(٢) النكت والعيون للماوردي ٤/ ١٩٨.
(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ٤٠٦.
(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٣/ ٢٤٥.

﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ۚ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٨ - ٧٩]. قال الألوسي: «آتينا كل واحد منهما طائفة من العلم لائقة به من علم الشرائع والأحكام وغير ذلك مما يختص بكل منهما كصنعة لبوس ومنطق الطير، وخصها مقاتل: بعلم القضاء[1]، وابن عطاء: بالعلم بالله عَزَّوَجَلَّ»[2].

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النمل١٥]، وقال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾ [الإسراء: ٥٥]. وقال تعالى: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾ [ص: ٢٠].

وهذا العلم اختص به الله تعالى: داوود عن غيره من الأنبياء مناسبة لحاله، ولبيئته ولقومه، فالله تعالى: يختص بعض الأنبياء ويعلمهم مالا يُعَلِّم غيرهم.

✧ ثانياً: الملك:

فكان داوود ملكاً علي بني إسرائيل ونبيهم أيضاً، فكان له الطاعة كونه نبي وكونه ملك له الطاعة على الرعية، فكان في ملكه مع نبوته قوة وإصلاحاً.

قال الله تعالى: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾ [الأنبياء٢٠]، وقال تعالى: ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ﴾ [البقرة: ٢٥١].

قال الماوردي: «يريد بالملك السلطان وكان ذلك عند موت طالوت بعد سبع

(١) وانظر: تفسير مقاتل بن سليمان ص٤٧١، ومعالم التنزيل للبغوي ٦/ ١٤٧.
(٢) روح المعاني للألوسي ١٩/ ١٦٩.

سنين من قتل جالوت على ما حكاه ابن السائب»[١]. «أي: منَّ عليه بتملكه على بني إسرائيل»[٢]، وهذا الملك كذلك من التمكين في الأرض الذي يجعله يسخر هذا التمكين في الدعوة إلى الله.

✧ ثالثاً: فصل الخطاب:

وهو القضاء وفهمه، قال الله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾ [الأنبياء٢٠].

قال ابن زيد: «الخصومات التي يخاصم الناس إليه فصل ذلك الخطاب، وفهم الكلام، وإصابة القضاء والبيِّنات»[٣].

وقال ابن كثير: «قال مجاهد والسدي: هو إصابة القضاء وفهمه، وقال مجاهد أيضا: هو الفصل في الكلام وفي الحكم»[٤]، وقال السعدي: «أي: الخصومات بين الناس»[٥].

✧ رابعاً: قبول الحق بتواضع:

كان نبي الله داوود عليه السلام ملكاً نبياً قاضياً بين الناس فيما اختلفوا فيه، ولكنه لم يكن جباراً متكبراً بما أعطاه الله، ولكن رحيماً متواضعاً، ففي قصة الحرث والغنم قال تعالى: ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَـٰهِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٨].

وقال تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ

(١) النكت والعيون للماوردي ١/ ٣٢٠.
(٢) تيسير الكريم الرحمن ص ١٠٨.
(٣) جامع البيان ٢١/ ١٧٢.
(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٧/ ٥٩.
(٥) تيسير الكريم الرحمن ص ٧١١.

ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسۡعٌ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةً وَلِىَ نَعۡجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكۡفِلۡنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلۡخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدۡ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعۡجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلۡخُلَطَآءِ لَيَبۡغِى بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمۡۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسۡتَغۡفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرۡنَا لَهُۥ ذَٰلِكَۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ وَحُسۡنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٌ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ﴾ [ص: ٢١ - ٢٦].

"**فقد أرسل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ**: لنبيه داوود عَلَيْهِ السَّلَامُ ملكين للامتحان، فدخلا عليه من غير باب المحراب، ففزع منهم نبي الله داوود عَلَيْهِ السَّلَامُ، لدخولهما عليه من غير الباب الذي منه المدخل، وقيل لأنهما دخلا عليه ليلاً»(١).

(**فقال أحد الخصمين**: نحن خصمان تعدَّى أحدنا على صاحبه بغير حق، فاقض بيننا بالعدل، ولا تَجُرْ، ولا تسرف في حكمك بالميل منك مع أحدنا على صاحبه، وأرشدنا إلى الطريق المستقيم.

ثم بدأ يذكر سبب المخاصمة فقال: ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسۡعٌ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةً وَلِىَ نَعۡجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكۡفِلۡنِيهَا﴾ أي انزل لي عنها وضمها إلي، ﴿وَعَزَّنِى فِى ٱلۡخِطَابِ﴾ أي: وكان أعز مني في مخاطبته إياي؛ لأنه إن تكلم فهو أبين منى، وإن بطش كان أشد مني فقهرني، فقال داوود عَلَيْهِ السَّلَامُ للخصم المتظلم: ﴿قَالَ لَقَدۡ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعۡجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ﴾ ثم قال: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلۡخُلَطَآءِ لَيَبۡغِى بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ﴾ أي: وإن كثير من الشركاء ليتعدى بعضهم على بعض، ثم استثنى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمۡۗ﴾ أي: وقليل ما تجد ذلك الصنف من الناس(٢).

(١) جامع البيان ٢٠/ ٥٣ - ٥٤ مختصرا.

(٢) جامع البيان ٢٠/ ٥٤ - ٧٥.

قال الطبري: «عن ابن مسعود، قال: الحرث كان كرم[١] قد أنبت عناقيده فأفسدته الغنم، قال: فقضى داوود بالغنم لصاحب الكرم، فقال سليمان غير هذا يا نبيّ الله، قال: وما ذاك؟ قال: يدفع الكرم إلى صاحب الغنم فيقوم عليه حتى يعود كما كان، وتدفع الغنم إلى صاحب الكرم فيصيب منها، حتى إذا كان الكرم كما كان دَفعت الكرم إلى صاحبه، ودَفعت الغنم إلى صاحبها»[٢].

فحكم داوود عليه السلام بحكم سليمان عليه السلام، لما رأي من رجاحة رأيه، وهذا من تواضعه عليه السلام. وأنه لا يتبع هواه في القضاء وإنما يحكم بما يرى أنه العدل، ومصداق هذا قوله تعالى: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ﴾ [ص: ٢٦]، فكان يحكم بالحق والعدل عليه السلام.

ومن هذا ما روي في الصحيحين من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: **(كَانَتْ امْرَأَتَانِ مَعَهُمَا ابْنَاهُمَا جَاءَ الذِّئْبُ فَذَهَبَ بِابْنِ إِحْدَاهُمَا، فَقَالَتْ لِصَاحِبَتِهَا: إِنَّمَا ذَهَبَ بِابْنِكِ، وَقَالَتِ الْأُخْرَى إِنَّمَا ذَهَبَ بِابْنِكِ، فَتَحَاكَمَتَا إِلَى داوود عليه السلام، فَقَضَى بِهِ لِلْكُبْرَى، فَخَرَجَتَا عَلَى سُلَيْمَانَ بْنِ داوود عليه السلام فَأَخْبَرَتَاهُ، فَقَالَ: ائْتُونِي بِالسِّكِّينِ أَشُقُّهُ بَيْنَهُمَا، فَقَالَتِ الصُّغْرَى: لَا تَفْعَلْ يَرْحَمُكَ اللهُ هُوَ ابْنُهَا، فَقَضَى بِهِ لِلصُّغْرَى)**[٣].

فكان داوود يقضي بما علمه الله، ثم إذا رأي أن الحق مع غيره رجع وآب إلى الحق أينما كان وحكم به متجرداً لله رب العالمين.

---

(١) الكرم: العنب.

(٢) جامع البيان ١٨/ ٤٧٥.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الفرائض، باب إذا ادعت المرأة ابناً (٦٧٦٩).

✧ خامساً: الشكر لنعم الله:

كان داوود عَلَيْهِ السَّلَامُ على ما فضله الله به من النعم الكثيرة، شاكراً لله ممتناً لفضله عليه، قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [النمل١٥]، وذاك من صفات الصالحين المتقين، شكر النعم والاعتراف بها للمنعم سبحانه، وقد تقدم معنى شكر النعم في قصة صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ.

✧ سادساً: العبادة والتوبة:

كان داوود من أكثر الناس عبادة لله، حتى إن رسولنا ﷺ كان يقتدي به في صلاته وصومه. ففي البخاري من حديث عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ لَهُ: (**أحب الصلاة إلى الله صلاة داود عَلَيْهِ السَّلَامُ، وأحب الصيام إلى الله صيام داود، وكان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه، وينام سدسه، ويصوم يوماً، ويفطر يوماً**)[(١)].

وقد مدحه الله تعالى: بذلك فقال تعالى: ﴿ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: ١٧]. «أي: رجَّاع إلى اللّه في جميع الأمور بالإنابة إليه، بالحب والتأله، والخوف والرجاء، وكثرة التضرع والدعاء، رجاع إليه عندما يقع منه بعض الخلل، بالإقلاع والتوبة النصوح»[(٢)].

قال الطبري: «عن مجاهد، قوله ﴿ذَا ٱلْأَيْدِ﴾ قالَ ذا القوّة في طاعة الله، وعن قتادة قال: أعطي قوّة في العبادة، وفقها في الإسلام. وقد ذُكر لنا أن داوود ﷺ كان يقوم الليل ويصوم نصف الدهر. وقوله: ﴿إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ يقول: إن داوود رَجَّاع لما يكرهه الله إلى ما يرضيه أواب، وهو من قولهم: آب الرجل إلى أهله: إذا رجع. وعن مجاهد قال: رجاع

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الجمعة، باب من نام عند السحر (١١٣١)، ومسلم، كتاب الصيام، باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به أو فوت به حقاً (١١٥٩).

(٢) تيسير الكريم الرحمن ص ٧١١.

عن الذنوب. وعن قتادة: أي كان مطيعاً لله كثير الصلاة.

قال ابن زيد: الأوّاب التوّاب الذي يؤوب إلى طاعة الله ويرجع إليها، ذلك الأوّاب، قال: والأوّاب: المطيع»[١].

وقال تعالى: ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ [ص: ٢١ - ٢٥].

وفي سجدته هذه روى البخاري وغيره واللفظ للنسائي من حديث ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَجَدَ فِي: «ص»، وَقَالَ: **(سَجَدَهَا داوود تَوْبَةً وَنَسْجُدُهَا شُكْراً)**[٢].

وهذا الذنب الذي صدر من داوود عليه السلام، لم يذكره الله لعدم الحاجة إلى ذكره، فالتعرض له من باب التكلف، وإنما الفائدة ما قصه الله علينا من لطفه به وتوبته وإنابته، وأنه ارتفع محله، فكان بعد التوبة أحسن منه قبلها[٣].

✧ سابعاً: الأكل من كسب اليد:

قال تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ﴾ [الأنبياء٨٠]، استشهد القرطبي بهذه الآية على «أكل الرجل من عمل يده، قال ﷺ: **(إن أطيب ما أكل الرجل من عمل يده، وإن نبي الله داوود كان يأكل من عمل يده)**[٤]»[٥]، وقال أبو حيان: «وفي ذلك فضل هذه الصنعة إذ أسند تعليمها إياه إليه تعالى»[٦].

(١) جامع البيان ٢١/ ١٦٨.

(٢) سنن النسائي، كتاب المساجد، باب سجود القرآن، السجود في سورة ص (٩٥٧)، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح برقم (١٠٣٨).

(٣) تيسير الكريم الرحمن ١/ ٧١١.

(٤) صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب كسب الرجل من عمل يده (٢٠٧٠).

(٥) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٨/ ١٠٨.

(٦) البحر المحيط ٨/ ١٧٩.

(قال قتادة: إنما كانت الدروع قبله صفائح، وهو أول من سردها حلقاً كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [سبأ١٠ - ١١]. أي لا توسع الحلقة فتقلق المسمار ولا تغلظ المسمار فتقد الحلقة»[١].

فرغم أن داوود كان ملكاً ولا يحتاج إلى العمل للكسب، إلا أنه كان يعمل ويكسب من عمل يده فكان يعمل حدّاداً.

قال الطبري: «ذكر أن الحديد كان في يده كالطين المبلول يصرفه في يده كيف يشاء بغير إدخال نار ولا ضرب بحديد، وقال ابن كثير: «عن ابن شوذب قال: كان داوود عليه السلام، يرفع في كل يوم درعاً فيبيعها بستة آلاف درهم: ألفين له ولأهله، وأربعة آلاف درهم يطعم بها بني إسرائيل خبز الحواري[٢].

وقال تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ﴾ [الأنبياء: ٨٠] أي: وعلمنا داوود صنعة لبوس لكم، تلبسونها وتتقون بها ما تخافون من عدو وغيره، واللبوس عند العرب: السلاح كله، درعاً كان أو جوشناً أو سيفاً أو رمحاً[٣].

✧ ثامناً: حسن الصوت بالتلاوة:

كان داوود عليه السلام أحسن الناس صوتاً، فإذا قرأ الزبور أنصت له كل شيء من انسان وجن وحيوان وجماد، حتى إن الجبال تسبح معه والطير. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/ ٢٥٠.
(٢) تفسير القرآن العظيم ٦/ ٤٩٧.
(٣) جامع البيان ١٨/ ٤٨٠.

﴿مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ﴾ [سبأ١٠]. وقال تعالى: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٨].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾ [ص١٨] قال ابن كثير: «يخبر تعالى: عما أنعم به على عبده ورسوله داوود، صلوات الله وسلامه عليه، مما آتاه من الفضل المبين، وجمع له بين النبوة والملك المتمكن، والجنود ذوي العدد والعدد، وما أعطاه ومنحه من الصوت العظيم، الذي كان إذا سبح به تسبح معه الجبال الراسيات، الصم الشامخات، وتقف له الطيور السارحات، والغاديات والرائحات، وتجاوبه بأنواع اللغات»(١).

ويقول السعدي في تفسير ذلك: «أنه طربٌ لصوت داوود، فإن الله تعالى، قد أعطاه من حسن الصوت، ما فاق به غيره، وكان إذا رجَّع التسبيح والتهليل والتحميد بذلك الصوت الرخيم الشجيِّ المطرب، طرب كل من سمعه، من الإنس، والجن، حتى الطيور والجبال، وسبحت بحمد ربها»(٢).

عن ابن عباس ومجاهد وغير واحد في تفسير هذه الآية: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾ «أي عند آخر النهار وأوله وذلك أنه كان الله تعالى: قد وهبه من الصوت العظيم ما لم يعطه أحداً بحيث إنه كان إذا ترنم بقراءة كتابه يقف الطير في الهواء يرجع بترجيعه ويسبح بتسبيحه وكذلك الجبال تجيبه وتسبح معه كلما سبح بكرة وعشياً صلوات الله وسلامه عليه. وقال الأوزاعي: حدثني عبد الله بن عامر قال: أعطي داوود من حسن الصوت ما لم يعط أحد قط حتى إن كان الطير والوحش

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٦/ ٤٩٧.

(٢) تيسير الكريم الرحمن ١/ ٦٧٦.

ينعكف حوله حتى يموت عطشاً وجوعاً، وحتى إن الأنهار لتقف. وقال وهب بن منبه: كان يقرأ الزبور بصوت لم تسمع الآذان بمثله فيعكف الجن والإنس والطير والدواب على صوته حتى يهلك بعضها جوعاً»[١].

وفي السنة المطهرة، ففي البخاري من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **(خُفِّفَ عَلَى داوود عَلَيْهِ السَّلَامُ الْقُرْآنُ فَكَانَ يَأْمُرُ بِدَوَابِّهِ فَتُسْرَجُ فَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ قَبْلَ أَنْ تُسْرَجَ دَوَابُّهُ وَلَا يَأْكُلُ إِلَّا مِنْ عَمَلِ يَدِهِ)**[٢].

والمقصود من الحديث أن داوود عَلَيْهِ السَّلَامُ خُفف وسُهل عليه قراءة كتابه فكان بين أن تسرج دابته - يوضع السراج عليها - وبين أن يركبها يقرأ القرآن كله، والمراد بالقرآن هنا الزبور كتاب داوود.

قال ابن الأثير: «قد تكرر في الحديث ذكر القراءة، والاقتراء، والقارئ، والقرآن والأصل في هذه اللفظة الجمع، وكل شيء جمعته فقد قرأته، وسمي القرآن قرآناً لأنه جمع القصص، والأمر والنهي، والوعد والوعيد، والآيات والسور بعضها إلى بعض، وهو مصدر كالغفران والكفران، وقد يطلق على الصلاة لأن فيها قراءة، تسمية للشيء ببعضه، وعلى القراءة نفسها يقال: قرأ يقرأ قراءة وقرآناً»[٣].

فعن أَبِي مُوسَى، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِأَبِي مُوسَى: **(لَوْ رَأَيْتَنِي وَأَنَا أَسْتَمِعُ لِقِرَاءَتِكَ الْبَارِحَةَ، لَقَدْ أُوتِيتَ مِزْمَاراً مِنْ مَزَامِيرِ آلِ داوود)**[٤].

---

(١) البداية والنهاية ٢/ ١٣ - ١٤.

(٢) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾﴾ (٣٤١٧).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر ٤/ ٣٠.

(٤) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن (٧٩٥).

✧ تاسعاً: الغيرة الشديدة:

كان داوود عَلَيْهِ السَّلَامُ من أشد الناس غيرة علي أهل بيته، ففي الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَة، أَنّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: (كَانَ داوود النَّبِيُّ فِيهِ غَيْرَةٌ شَدِيدَةٌ، وَكَانَ إِذَا خَرَجَ أُغْلِقَتْ الْأَبْوَابُ، فَلَمْ يَدْخُلْ عَلَى أَهْلِهِ أَحَدٌ حَتَّى يَرْجِعَ، قَالَ: فَخَرَجَ ذَاتَ يَوْمٍ وَأُغْلِقَتِ الدَّارُ، فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ تَطَّلِعُ إِلَى الدَّارِ، فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ وَسَطَ الدَّارِ، فَقَالَتْ لِمَنْ فِي الْبَيْتِ: مِنْ أَيْنَ دَخَلَ هَذَا الرَّجُلُ الدَّارَ، وَالدَّارُ مُغْلَقَةٌ؟، وَاللهِ لَتُفْتَضَحُنَّ بِداوود، فَجَاءَ داوود، فَإِذَا الرَّجُلُ قَائِمٌ وَسَطَ الدَّارِ، فَقَالَ لَهُ داوود: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا الَّذِي لَا أَهَابُ الْمُلُوكَ، وَلَا يَمْتَنِعُ مِنِّي شَيْءٌ. فَقَالَ داوود: أَنْتَ وَاللهِ مَلَكُ الْمَوْتِ فَمَرْحَباً بِأَمْرِ اللهِ، فَرَمَلَ داوود مَكَانَهُ حَيْثُ قُبِضَتْ رُوحُهُ حَتَّى فَرَغَ مِنْ شَأْنِهِ، وَطَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ، فَقَالَ سُلَيْمَانُ لِلطَّيْرِ: أَظِلِّي عَلَى داوود، فَأَظَلَّتْ عَلَيْهِ الطَّيْرُ حَتَّى أَظْلَمَتْ عَلَيْهِمَا الْأَرْضُ، فَقَالَ لَهَا سُلَيْمَانُ: اقْبِضِي جَنَاحاً جَنَاحاً)(١).

المطلب الثالث

أسس دعوة داوود عَلَيْهِ السَّلَامُ

✧ أولاً: التعريف بالله سبحانه بأسمائه وصفاته:

بعد ما قتل داوود جالوت وأحبه بنو إسرائيل وملّكوه أمرهم، دعاهم إلى عبادة الله وحده لا شريك الله، وعرّفهم ربهم، وأنه غفور رحيم، وواسع العطاء جواد كريم،

---

(١) مسند أحمد ٢/ ٤١٩ (٩٤٢٢). قال ابن كثير في البداية والنهاية ٢/ ١٦: إسناده جيد قوي رجاله ثقات، وقال الهيثمي في المجمع ٨/ ٢٠٩: فيه المطلب بن عبد الله بن حنطب وثقه أبو زرعة وغيره وبقية رجاله رجال الصحيح.

وأنه شديد العقاب للمشركين، وكان يقرأ الزبور عليهم وهم يسمعونه، فيعرفون الله بأسمائه وصفاته.

✧ **ثانياً: التعريف بالطريق الموصلة إليه:**

بيّن نبي الله داوود عَلَيْهِ السَّلَامُ لبني إسرائيل طريق النجاة والفلاح، ودعاهم لقتال أعداء الله وقاتل معهم لتكون كلمة الله هي العليا، وأوصاهم بالصلاة والصيام والذكر، وطاعة الله في كل وقت، والعدل بينهم، فأرشدهم لطريق الهداية والرشاد، وأنار لهم درب الفلاح والصلاح.

✧ **ثالثاً: بيان ما للمؤمنين من جزاء وما للكافرين من عقاب:**

كان داوود عَلَيْهِ السَّلَامُ يبيّن لقومه أنه من يطع الله ويؤدي حقه فإن الله ناصره وفاتحٌ عليه من العطاء والخير ما يشاء، وأن العصاة المشركين لهم عقاب أليم، ملعونين مطرودين من رحمة الله العلى الكبير، قال تعالى: ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِىٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴾ [المائدة: ٧٨].

المطلب الرابع
وسائل وأساليب دعوة داوود عَلَيْهِ السَّلَامُ

أولاً: القوة في الدعوة:

من المعلوم أن أغلب الأنبياء كانوا مستضعفين في قومهم، فكانت دعوتهم تحتاج للتدرج، أما في دعوة نبي الله داوود عَلَيْهِ السَّلَامُ فكان ملكاً نبياً، فجمع الله له بين العلم وهو النبوة وبين القوة وهي الملك، فكان يحكم بين الناس بالحق والعدل، ينصر المظلوم

ويعاقب الظالم، ويأمر بقتال أعداء الله ويقاتل معهم، ينشر الخير ويقهر الشر، وكان هذا من أقوي أسباب ثبات ملكه ودعوته، كما قال الله تعالى: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾ [ص٢٠].

ثانياً: التواضع بين الناس:

كان داوود عَلَيْهِ السَّلَامُ متواضعاً لرعيته، فكانوا يدخلون عليه للقضاء والحكم، كما في قصة الرجلان أصحاب الحرث والغنم كما مر معنا، فلم يكن بعيداً عنهم كحال الملوك، فكان يتفقدهم ويقضي بينهم بالحق والعدل، حتى في أبسط الخلافات التي تحصل بين قومه، فإنهم يأتونه للحكم والقضاء.

وهكذا يجب أن يكون حال الدعاة إلى الله، فلا يحسن بهم أن يكونوا في بروج مشيدة بعيدين عن الناس، وإنما يكونون بينهم يدعونهم ويسعون في حل مشاكلهم، ينصرون المظلوم ويكفّون الظالم عن ظلمه، يساعدون المحتاج، ويؤلفون بين قلوب العباد، فالدعوة إلى الله ليست كلاماً محفوظاً في الصدور يردده الدعاة كأنه ترانيم كنيسة! وإنما هو أمر بالمعروف ونهي عن المنكر وارشاد للسالكين، بحسن الكلام، وجميل الفعل.

ثالثاً: الحكمة في القول:

كان نبي الله داوود عَلَيْهِ السَّلَامُ حكيماً، فمما ورد عنه في حكمته في القول. قال عبد الله بن المبارك في كتاب «الزهد» بالإسناد عن وهب بن منبه قال: «**إنّ من حكمة ءال داوود: حقّ على العاقل ألا يغفل عن أربع ساعات: ساعة يناجي فيها ربه، وساعة يُحاسب فيها نفسه، وساعة يفضي فيها إلى إخوانه الذين يخبرونه بعيوبه ويَصْدُقونه عن نفسه،**

وساعة يُخلي بين نفسه وبين لذاتها فيما يحل ويُجمل، فإن هذه الساعة عونٌ على هذه الساعات وإحجام للقلوب. وقال حق على العاقل ألّا يظعن إلا في إحدى ثلاث: زاد لمعاده، ومرمة لمعاشه، ولذة في غير محرم»[١].

رابعاً: الوقوف والرجوع عند حدود الله:

فكما ذكرنا في قصة الحرث والغنم وقصة المرأتان اللتان فقدت إحداهما طفلها، حكم داوود عليه السلام بما علم وبما رآه الحق، ثم لما حكم سليمان عليه السلام وعلم داوود أن حكم سليمان أصوب، رجع عن حكمه وقضاءه وحكم بحكم سليمان عليه السلام، وهذا من شدة خشيته لربه، فلم تمنعه مكانة الملك والقضاء والنبوة من أن يرجع عن حكمه إذا رأي أصوب منه.

فما بالك بالداعي إلى الله هذه الأيام، وهو إنسان متواضع المقام، ليس بملك ولا نبي مرسل، فينبغي عليه الرجوع والوقوف عند حدود الله، فإن أفتي للناس بما يعلم ثم رأي الحق علي خلاف ما قال، فليتبع الحق ولا يتبع الهوى فيضله عن سبيل الله.

خامساً: القيام بأمر الله بالجهاد في سبيل الله:

كما أسلفنا فإن بني إسرائيل كانوا مستضعفين في الأرض، فأخذ الملوك أرضهم وديارهم، ولما قتل داوودُ جالوت وأصبح ملكاً عليهم، قاتل بهم أعداء الله ليستردوا أرضهم، وينشروا التوحيد بين الناس، وكان داوود يصنع الدروع القوية التي لم تكن موجودة قبله كما ذكر أهل التفسير، فاستعمل سلطته كملك، وعلم النبوة وشجاعته وحرفته لخدمة دين الله في قتال أعداء الله، فكانت من أهم وسائله لنشر الدعوة، وإعلاء الكلمة.

---

(١) الزهد والرقائق لابن المبارك ص١٠٥.

سادساً: قراءة الزبور على قومه:

كان داوود أحسن الناس صوتاً، فكانت الطيور تجتمع وتُحشر له من كل حدب وصوب، وتسبح معه الجبال، وتستمع له الحيوانات، وكان بنو إسرائيل يجتمعون في صعيد واحد ينصتون لداوود وهو يتلو الزبور، فتقشعر قلوبهم وجلودهم لما يسمعون من الذكر بصوت داوود عليه السلام. فيتأثر أكثرهم بمواعظ الزبور وما حواه من حِكَم.

سابعاً: الدعوة بالقدوة:

إن جميع الأنبياء قدوة لغيرهم، فإن الله طهر قلوبهم، وزكاهم، فأصبحوا أحسن الناس اخلاقاً وأكملهم ديناً، وداوود عليه السلام كان قدوة لقومه، في عدله بين الناس، وقضاءه بالحق فيما اختلفوا فيه، وعبادته التي مدحها رسولنا محمد ﷺ، فمدح صيامه وصلاته، وقراءته الزبور، وخشيته لله، وتوبته وإنابته، وشكره للمنعم علي ما منّ به عليه، وكان قدوة لقومه أيضاً في ترسيخ مبدأ الكسب من عمل اليد، فإن فيه بركة، فكان علي ما له من الملك عليه السلام يصنع الدروع ويتكسب منها المال، فألان الله له الحديد، وعلمه سبحانه كيف يصنع الدروع القوية كما ذكر تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ﴾ [الأنبياء: ٨٠].

ثامناً: القضاء بين الناس:

لا يتعامل الناس مع بعضهم إلا وكان بينهم الخلافات والمشاكل، فيظلم بعضهم بعضاً، ويأكل بعضهم حق بعض، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليلٌ ما هم، وكان داوود قاضياً بين الناس يأتونه لحل النزاع فيما بينهم، فكان عليه السلام يعلمهم دينهم وينشر بينهم الفضيلة، والعدل، وينهاهم عن الظلم والجور. كما في قصة أصحاب

النعجة لما تخاصموا عنده أخبرهم أن كثيراً من الشركاء يظلم بعضهم بعضاً إلا المؤمنين منهم، الذين يراقبون الله في جميع تصرفاتهم. قال لهم: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ [ص: ٢٤] فاستعمل منبر القضاء ليدعو الناس ويعلمهم دينهم.

تاسعاً: إلقاء الخطب والمواعظ:

ذكرنا أن داوود عليه السلام كان يقرأ الزبور بصوته الحسن، فكان يخطب في الناس يعلمهم دينهم، وكان يتلو عليهم من الحِكَم والمواعظ الحسنة ما يفيدهم، فمنها ما قاله لقومه: «**حقّ على العاقل ألا يغفل عن أربع ساعات: ساعة يناجي فيها ربه، وساعة يُحاسب فيها نفسه، وساعة يفضي فيها إلى إخوانه الذين يخبرونه بعيوبه ويَصْدُقونه عن نفسه، وساعة يُخلي بين نفسه وبين لذاتها فيما يحل ويُجمل، فإن هذه الساعة عونٌ على هذه الساعات وإجمام للقلوب..**» **الحديث**(١).

المطلب الخامس

نتيجة دعوة داوود عليه السلام

كان لدعوة داوود عليه السلام أثر عظيم في ثباتها عند قومه، وكانت دعوة راسخة، خصوصاً أن ابنه سليمان عليه السلام تولي بعده الملك، فكان من بعده ملكاً نبياً، فسار على هدي والده عليه السلام، وكانت العزة والنصرة لهم.. ففتحوا البلاد ونشروا الدعوة، وقصة بلقيس ملكة سبأ مع نبي الله سليمان هي امتدادٌ لرسوخ دعوة أبيه داوود عليه السلام.

(١) تقدم تخريجه.

المطلب السادس

الدروس المستفادة من دعوة داوود عَلَيْهِ السَّلَامُ

١- «أن الله يقص على نبيه محمد ﷺ أخبار من قبله لتثبيت فؤاده وتطمين نفسه، ويذكر له من عباداتهم، وشدة صبرهم وإنابتهم ما يشوق إلى منافستهم، والتقرب إلى الله الذي تنافسوا في قربه والصبر على أذى قومه، ولهذا ذكر تعالى في أول سورة «ص» ما قاله المكذبون لمحمد ﷺ وما آذوه به، قال بعدها: ﴿ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: ١٧]»[(١)].

٢- أن الله يحب القوة في طاعته، قوة البدن وقوة القلب، فمدح الله داوود عَلَيْهِ السَّلَامُ في طاعته، قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص١٧]. «مدح عظيم من الله لهذين الوصفين: قوة القلب والبدن على طاعة الله والإنابة، باطناً وظاهراً، إلى الله المستلزمة لمحبته وكمال معرفته، وأن هذين الوصفين للأنبياء على وجه الكمال، ولمن بعدهم من أتباعهم على حسب اتباعهم، والثناء من الله عليهما يقتضي الحث على جميع الأسباب التي تعين على القوة والإنابة، وأن يكون العبد رجَّاعاً إلى الله في حال السَّراء والضَّراء، وفي جميع الأحوال»[(٢)].

٣- مدح الكسب من عمل اليد وعدم سؤال الناس، فالبركة في العمل.

٤- الغيرة على الدين وأهل البيت ممدوحة، وهي من الفطرة.

(١) تيسير اللطيف المنان ص٢٤٨.

(٢) تيسير اللطيف المنان ص٢٤٩.

٥- أن القاضي أو الملك أو المفتي أو صاحب المنصب يجب أن يكون قريباً من الناس يسمع شكواهم ويعمل على حل النزاع بينهم.

٦- حسن الصوت بتلاوة القرآن له تأثير كبير في الدعوة إلى الله. فقد «أكرم الله به نبيه داود ﷺ بحسن الصوت ورخامته، وأن الجبال والطيور تسبح الله معه وتجاوبه، وذلك من زيادة درجاته ومقاماته العالية»[(١)].

٧- التواضع ممدوح ويعلي شأن صاحبه، فإذا ارتفع قدر الإنسان في الدنيا كان أكثر تواضعاً.

٨- أفضل ما يمنّ الله علي عبده أن يرزقه العلم النافع والعمل الصالح فيكون عوناً علي نشر الخير والحكم بين الناس بالعلم والحق.

٩- الاستغفار والتوبة ترفع قدر صاحبها ومنزلته في الدنيا والآخرة.

١٠- المخالطة بين الشركاء والأقارب في الأمور الدنيوية تجلب الخلافات والمشاكل والنزاعات.

١١- الرجوع عن الخطأ، وقهر النفس عن التعالي وإلزامها الحق أينما كان.

١٢- إذا كانت الدعوة تساندها القوة والملك فإنها تكون أشد وأكبر تأثيراً ورسوخا.

١٣- أن اتباع الهوى سبب للضلال عن سبيل الله وصراطه المستقيم.

١٤- أن يجعل الإنسان له محراباً يتعبد فيه إلى الله، ويقطع عنه التعلق بالدنيا ومشاغلها.

---

(١) تيسير اللطيف المنان ص٢٤٩.

١٥- أن لا يغلو الإنسان في شيء على حساب آخر، فتقسيم الوقت أمر مهم، فوقت للعبادة ووقت للعمل والتكسب ووقت للأهل والنفس، ووقت للقضاء بين الناس في النزاعات.

١٦- طاعة الله جالبة لكل خير وبركة ونعيم.

١٧- «من أكبر نعم الله على عبده أن يرزقه العلم النافع، ويعرف الحكم بين الناس في المقالات والمذاهب، وفي الخصومات والمشاحنات كما قال تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾ [ص: ٢٠].

١٨- كمال اعتناء المولى بأنبيائه وأصفيائه عندما يقع منهم بعض الهفوات بفتنة إياهم، وابتلائهم بما يزول عنهم المحذور حتى يعودوا أكمل من أحوالهم الأولى، كما جرى لداود وسليمان.

١٩- أن الأنبياء معصومون فيما يبلغون عن الله، فإن الله أمر بطاعتهم مطلقاً، ومقصود الرسالة لا يحصل إلا بذلك، وقد يجري منهم أحياناً بعض مقتضيات الطبيعة من المخالفات، ولكن الله تعالى يبادرهم بلطفه، ويتداركهم بالتوبة والإنابة.

٢٠- أن داود في أغلب أوقاته ملازماً محرابه لخدمة ربه، وله وقت يجلس فيه لحوائج الخلق، فقد أتم القيام بحق الله وحق عباده.

٢١- ينبغي استعمال الأدب في الدخول على الناس، خصوصاً الحكام والرؤساء؛ فإن الخصمين لما دخلا على داود في حالة غير معتادة، ومن غير الباب فزع منهم، واشتد عليه ذلك، ورآه غير لائق بالحال.

٢٢- لا يمنع الحاكم من الحكم بالحق سوء أدب الخصم، وفعله ما لا ينبغي.

٢٣- كمال حلم داود؛ فإنه ما غضب منهما حين جاءاه بغير استئذان، ولا انتهرهما ولا وبخهما.

٢٤- أن المنصوح ولو كان كبير القدر كثير العلم عليه أن لا يغضب ولا يشمئز، بل يبادر بقبول النصيحة والشكر لمن نصحه، ويحمد الله إذ قيض له النصيحة على يد الناصح، فإن داود لم يشمئز من قول الخصمين: ﴿خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ﴾ [ص: ٢٢] بل حكم بالحق الصرف.

٢٥- المخالطة بين الأقارب والأصحاب والمعاملين وكثرة التعلقات الدنيوية المالية موجبة للتعادي، وبغي بعضهم على بعض، وأنه لا يرد عن هذا الداء العضال إلا التقوى والصبر بالإيمان والعمل الصالح، وأن هذا من أقل شيء في الناس.

٢٦- إكرام الله لداود وسليمان بالزلفى عنده وحسن المآب، فلا يتوهم أحد أن ما جرى منهما منقص لدرجتهما عند الله، وهذا من تمام لطفه بعباده المخلصين، وأنه إذا غفر لهم وأزال عنهم أثر الذنوب، أزال الآثار المترتبة عليها حتى ما يقع في قلوب الخلق، وما ذلك على فضل الكريم بعزيز.

٢٧- أن مرتبة الحكم بين الناس مرتبة دينية تولاها رسل الله وخواص خلقه، وأن على القائم بها الحكم بالحق، وأن لا يتبع الهوى؛ فالحكم بالحق يقتضي العلم بالأمور الشرعية، والعلم بصورة القضية المحكوم بها، وكيفية إدخالها في الأحكام الشرعية الكلية، فالجاهل بواحد من هذه الأمور لا يحل له الإقدام على الحكم بين الناس.

٢٨- ومنها: أن سليمان يعد من فضائل داود، ومن منن الله عليه، قال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٣٠]

٢٩- كثرة خير الله وفضله على عبيده الأخيار يمنُّ عليهم بالأخلاق الجميلة والأعمال الصالحة، ثم يثني عليهم بها ويرتِّب عليها من الثواب أنواعاً منوعة، وهو المتفضل بالأسباب ومسبباتها»[١].

(١) تيسير اللطيف المنان ص٢٤٩ - ٢٥١ باختصار يسير.

المبحث الثالث

دعوة سليمان عليه السلام

المطلب الأول التعريف بسليمان عليه السلام.

المطلب الثاني قصص متعلقة بدعوة سليمان عليه السلام.

المطلب الثالث عظم ملك سليمان عليه السلام.

المطلب الرابع الصفات الدعوية لسليمان عليه السلام.

المطلب الخامس أسس دعوة سليمان عليه السلام.

المطلب السادس وسائل وأساليب دعوة سليمان عليه السلام.

المطلب السابع الدروس المستفادة من دعوة سليمان عليه السلام.

المطلب الأول
التعريف بسليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ

اسمه: سليمان بن داوود بن إيشا بن عويد بن عابر بن سلمون بن نحشون بن عويناذب بن إرم بن حصرون بن فارض بن يهوذا بن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم عليهم الصلاة والسلام(١).

قومه الذين أرسل إليهم: أرسله الله لبني إسرائيل، فورث الملك من أبيه داوود عَلَيْهِ السَّلَامُ، وكانت بنو إسرائيل تعرفه لما كان له من الحكمة والفطنة في عهد أبيه والقضاء في النزاعات. قال الله: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾ [النمل١٦] فورث منه الملك والنبوة(٢).

المطلب الثاني
قصص متعلقة بدعوة سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ

قص الله علينا في القرآن مجموعة من القصص عن سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ تمثل أبرز ملامح دعوته، وهي على النحو التالي(٣):

أولاً: قصص سليمان في الحكم في عهد داود عَلَيْهِ السَّلَامُ:

ففي قصة الحكم في الحرث والغنم قال تعالى: ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا

(١) قصص الأنبياء لابن كثير ٢/ ٢٨٤.
(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٦/ ١٨٢.
(٣) سيتم عرض القصص سرداً من غير التعليق الدعوي عليها، وسنبرز الجوانب الدعوية منها في المطالب التالية، عرضاً موضوعياً لها.

ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾

[الأنبياء: ٧٨-٧٩].

وفي قصة المرأتين ونزاعهما على الطفل، فعن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: (كَانَتْ امْرَأَتَانِ مَعَهُمَا ابْنَاهُمَا جَاءَ الذِّئْبُ فَذَهَبَ بِابْنِ إِحْدَاهُمَا، فَقَالَتْ لِصَاحِبَتِهَا: إِنَّمَا ذَهَبَ بِابْنِكِ، وَقَالَتِ الْأُخْرَى إِنَّمَا ذَهَبَ بِابْنِكِ، فَتَحَاكَمَتَا إِلَى داوود عليه السلام، فَقَضَى بِهِ لِلْكُبْرَى، فَخَرَجَتَا عَلَى سُلَيْمَانَ بْنِ داوود عليه السلام فَأَخْبَرَتَاهُ، فَقَالَ: ائْتُونِي بِالسِّكِّينِ أَشُقُّهُ بَيْنَهُمَا، فَقَالَتِ الصُّغْرَى: لَا تَفْعَلْ يَرْحَمُكَ اللهُ هُوَ ابْنُهَا، فَقَضَى بِهِ لِلصُّغْرَى)[١].

☜ ثانياً: قصة الجياد:

وهي الخيل، وكان سليمان عليه السلام يحب الخيل، قال تعالى: ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِيِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَىَّ ۖ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴾

[ص: ٣٠ - ٣٣].

لما عُرضت على سليمان الخيل الجياد السبق الصافنات أي: التي من وصفها الصفون: وهو رفع إحدى قوائمها عند الوقوف، وكان لها منظرٌ وجمالٌ عجيبٌ، خصوصاً للمحتاج إليها كالملوك، فما زالت تعرض عليه حتى غابت الشمس، فألهته عن صلاة المساء وذكره.

فقال ندماً على ما مضى منه، وتقرباً إلى الله بما ألهاه عن ذكره، وتقديماً لحب الله على حب غيره: ردوها وأحضروا الخيل لي مرة أخرى، فعرقبها بسيفه من سيقانها وأعناقها[٢].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الفرائض، باب إذا ادعت المرأة ابناً (٦٧٦٩).

(٢) تيسير الكريم الرحمن ص٧١٢.

وقال الطبري: «عن ابن عباس، قوله: ﴿فَطَفِقَ مَسْحًا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ﴾ يقول: جعل يمسح أعراف الخيل وعراقيبها: حباً لها. وهذا القول الذي ذكرناه عن ابن عباس أشبه بتأويل الآية، لأن نبيّ الله ﷺ لم يكن إن شاء الله ليعذب حيواناً بالعرقبة، ويهلك مالا من ماله بغير سبب، سوى أنه اشتغل عن صلاته بالنظر إليها، ولا ذنب لها باشتغاله بالنظر إليها»(١).

ثالثاً: قصة فتنة سليمان عليه السلام في ملكه:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ [ص: ٣٤ - ٣٥].

ابتلى الله سبحانه نبيه سليمان عليه السلام بأن نزع منه الملك وألقى علي كرسي عرشه جسداً يشبهه، فقيل إنه شيطان تمثل في صورة سليمان وجلس علي كرسيه وحكم قومه فترة من الزمن قصيرة، فتاب سليمان عليه السلام وأناب لربه، فتاب الله عليه وردّ عليه ملكه ورفع قدره وآتاه ملكاً لا ينبغي لأحدٍ من العالمين(٢).

ففي الحديث، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: (قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ داوود عليهما السلام: لَأَطُوفَنَّ اللَّيْلَةَ بِمِائَةِ امْرَأَةٍ تَلِدُ كُلُّ امْرَأَةٍ غُلَاماً يُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللهِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلَكُ: قُلْ إِنْ شَاءَ اللهُ، فَلَمْ يَقُلْ وَنَسِيَ فَأَطَافَ بِهِنَّ وَلَمْ تَلِدْ مِنْهُنَّ إِلَّا امْرَأَةٌ نِصْفَ إِنْسَانٍ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: لَوْ قَالَ إِنْ شَاءَ اللهُ لَمْ يَحْنَثْ وَكَانَ أَرْجَى لِحَاجَتِهِ)(٣)، وفي رواية (.. لَوْ قَالَ: إِنْ شَاءَ اللهُ لَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ فُرْسَاناً أَجْمَعُونَ)(٤).

(١) جامع البيان ٢١/ ١٩٦.

(٢) تيسير الكريم الرحمن ١/ ٧١٢، وانظر الرويات في جامع البيان ٢١/ ١٩٦ وما بعدها.

(٣) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب قول الرجل: لأطوفن الليلة على نسائي (٥٢٤٢).

(٤) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والوصايا، باب من طلب الولد للجهاد (٢٨١٩)، ومسلم، كتاب الأيمان، باب الاستثناء (٣٢٧٦).

رابعاً: قصة النملة:

بينما سليمان وجنوده يسيرون وكانوا سيمرّون على وادٍ به نمل، فلما رأت نملة جيش سليمان وعلمت انه سيمر على واديهم حذرت باقي النمل وقالت ادخلوا المساكن واحتموا بها حتى لا يصيبكم سليمان وجنوده وهم لا يعلمون بكم ولا يرون مساكنكم فيحطمونكم بغير قصد منهم. وفي هذا التفات لأنها نملة مؤمنة وتعلم أن نبي الله سليمان لم يكن ليحطم منازلهم بقصد منه ظلماً لها، وانما هو نبيٌ عادل لا يظلم فإن صدر منه أن حطّم مساكن النمل فيكون بغير قصد أو بغير علم منه، فلما سمع سليمان قولها تبسم ضاحكاً وهذا تواضعٌ منه فإنه تبسّم ولم يغضب علي عادة الملوك، وبين القرآن الكريم أنه تبسّم ضاحكاً، وإلا فإنه يقال تبسّم تبسُّم المغضب، او تبسُّم المستهزئ، فالقرآن الكريم وصف وصفاً بديعاً حين قال حاكياً عن سليمان عليه السلام أنه تبسم ضاحكاً[1]، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ١٨ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكٗا مِّن قَوۡلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النمل: ١٨ - ١٩].

وأصاب سليمانَ عليه السلام وقومَه قحطٌ فأجدبوا، فخرج سليمان في قومه ليدعو الله ويستسقوا الماء، فبينما هو في طريقه إذ مرّوا بنملة علي ظهرها رافعة يدها إلى الله تدعوه أن يسقيهم الماء، فلما سمعها سليمان عليه السلام أمر القوم بالرجوع فإن الله ساقيهم بإذنه سبحانه ثم بفضل دعاء هذه النملة، فقد ورد في الحديث الصحيح، من حديث

(١) الجامع لأحكام القرآن ١٣/ ١٦٩.

أَبي هُرَيْرَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: (خَرَجَ نَبِيٌّ مِنَ الأَنْبِيَاءِ يَسْتَسْقِي، فَإِذَا هُوَ بِنَمْلَةٍ رَافِعَةٍ بَعْضَ قَوَائِمِهَا إِلَى السَّمَاءِ، فَقَالَ: ارْجِعُوا فَقَدِ اسْتُجِيبَ لَكُمْ مِنْ أَجْلِ شَأْنِ النَّمْلَةِ)[1].

خامساً: قصة الهدهد وملكة سبأ:

حكى القرآن تفصيلاً قصة هدهد سليمان عليه السلام مع ملكة سبأ وما حصل من أخبارهم. قال تعالى: ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيۡرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلۡهُدۡهُدَ أَمۡ كَانَ مِنَ ٱلۡغَآئِبِينَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي وَأَسۡلَمۡتُ مَعَ سُلَيۡمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [النمل٢٠ - ٤٤].

المطلب الثالث

عظم ملك سليمان عليه السلام

أنعم الله علي نبيه سليمان عليه السلام بملك لن يكون لأحد من بعده، قال الله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ﴾ [ص: ٣٥] ومن هذا الملك ما يلي:

أولاً: تسخير الريح:

سخر الله لسليمان عليه السلام الريح تجري بأمره، وتأتمر بحكمه، فتذهب حيث شاء إلي أي بلد شاء، فكانت تحمله الريح أو تحمل ما أراد من مكان إلى مكان آخر كما يريد سليمان عليه السلام. قال تعالى: ﴿فَسَخَّرۡنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦ رُخَآءً حَيۡثُ أَصَابَ﴾ [ص: ٣٦].

(١) المستدرك على الصحيحين للحاكم ١/ ٣٢٦ (٣٢٥)، وقال الحاكم هذا الإسناد صحيح ولم يخرجاه.

ثانياً: إسالة النحاس له:

أعطي الله لنبيه سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ عيناً تجري بالنحاس المذاب، يستعملها في البناء والسلاح والدروع وفيما شاء من تصاريف الحياة، فكانت نعمة عظيمة يسرها الله له لتقوّي ملكه وجيشه. قال الله تعالى: ﴿وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ﴾ [سبأ: ١٢] قال الطبري: «أذبنا له عين النحاس وأجريناها له كما تجري عين الماء»(١).

ثالثاً: تسخير الجن والشياطين له:

كانت الجن والشياطين مسخرة لسليمان، فكانت تأتمر بأمره ولا تخرج عن طاعته، وكانت صور تسخيرها متعددة كما يلي:

١- في البناء:

فكانت تبني المحاريب وهي القصور والمساجد، وتبني التماثيل التي من نحاس وزجاج، وتبني جفان كالجواب ومعناه حفر بقعة من الأرض ليستقر بها الماء الوفير فالجواب جمع جابية وهو الحوض الذي يستقر فيه الماء، وتبني قدور راسيات وهي القدور الكبيرة الحجم العظيمة التي لا تتحرك من مكانها لعظمها وجودتها(٢)، قال تعالى: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ﴾ [سبأ: ١٣].

٢- الغوص في البحار:

فكان لسليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ طائفة من الشياطين غواصون في البحار يستخرجون مما فيها من اللآلئ والجواهر والأشياء النفيسة التي لا توجد إلا فيها(٣). قال تعالى: ﴿وَٱلشَّيَٰطِينَ

---

(١) جامع البيان ٢٠/ ٣٦٣.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٦/ ٥٠٠.

(٣) تفسير القرآن العظيم ٧/ ٧٣.

﴿كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ﴾ [ص: ٣٧]، وقال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعۡمَلُونَ عَمَلٗا دُونَ ذَٰلِكَۖ وَكُنَّا لَهُمۡ حَٰفِظِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٢].

٣- القدرة على عقابها:

فكان سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ يقدر بإذن الله علي عقاب الجن والشياطين، فمن يعصيه يعذبه سليمان ويعاقبه على ما صدر منه، فكانت الجن والشياطين تخافه وتهابه. قال الله تعالى: ﴿وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلۡأَصۡفَادِ﴾ [ص: ٣٥] أي: موثقون في الأغلال والأكبال ممن قد تمرد وعصى وامتنع من العمل وأبى أو قد أساء في صنيعه واعتدى[١].

وقال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلۡجِنِّ مَن يَعۡمَلُ بَيۡنَ يَدَيۡهِ بِإِذۡنِ رَبِّهِۦۖ وَمَن يَزِغۡ مِنۡهُمۡ عَنۡ أَمۡرِنَا نُذِقۡهُ مِنۡ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [سبأ: ١٢].

وفي صحيح ابن حبان من حديث عَائِشَةَ، أَنّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى شَيْطَاناً وَهُوَ فِي الصَّلاةِ، فَأَخَذَهُ فَخَنَقَهُ حَتَّى وَجَدَ بَرْدَ لِسَانِهِ عَلَى يَدِهِ، ثُمَّ قَالَ ﷺ: (لَوْلا دَعْوَةُ أَخِي سُلَيْمَانَ، لأَصْبَحَ مُوثَقاً حَتَّى يَرَاهُ النَّاسُ)[٢].

٤- في الحروب:

فكانت الجن والشياطين جنوداً في جيش سليمان تقاتل معه لإعلاء كلمة الله، قال تعالى: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيۡمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ وَٱلطَّيۡرِ فَهُمۡ يُوزَعُونَ﴾ [النمل: ١٧].

رابعاً: فهم منطق الحيوانات وتسخيرها له:

علّم اللهُ نبيه سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ لغة الطير والوحش والحشرات، فكان يفهم كلامهم

(١) تفسير القرآن العظيم ٧/ ٧٣.

(٢) صحيح ابن حبان ١/ ١٤٨ (٢٣٥٠) قال شعيب الأرناؤوط إسناده قوي.

ويأمرهم فيطيعون أمره، ولا يعصونه، ﴿وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمۡنَا مَنطِقَ ٱلطَّيۡرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيۡءٍۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡمُبِينُ﴾ [النمل: ١٦].

قال ابن كثير: «أخبر سليمان بنعم الله عليه، فيما وهبه له من الملك التام، والتمكين العظيم، حتى إنه سخر له الإنس والجن والطير. وكان يعرف لغة الطير والحيوان أيضاً، وهذا شيء لم يعطه أحد من البشر - فيما علمناه - مما أخبر الله به ورسوله»[1].

المطلب الرابع

الصفات الدعوية لسليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ

أولاً: الملك:

ورث سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ أباه داوود في الملك والنبوة، قال تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيۡمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾ [النمل: ١٦] فكان له من الملك العظيم ما لا ينبغي أن يكون لأحدٍ من بعده.

ثانياً: الحزم:

فكان عَلَيْهِ السَّلَامُ حازماً يهابه قومه، فلم يكن مستهتراً أو متساهلاً رغم عِظم ملكه وتعدد أجناس قومه، فإنه مع انشغاله تفقد الهدهد فقال أين الهدهد إني أفقده ولا أراه بينكم، وهذا فيه دلالة على حزمه وعلمه بشؤون قومه، ومعرفته كل أمرٍ كبير أو صغير في رعيته، قال سبحانه: ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيۡرَ فَقَالَ مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلۡهُدۡهُدَ أَمۡ كَانَ مِنَ ٱلۡغَآئِبِينَ﴾ [النمل: ٢٠].

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٦/ ١٨٢.

ثالثاً: القوة:

من مظاهر قوته عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه كان يحكم أجناس متعددة. يحكمهم ولا يعصون أمره، فكان يحكم الإنس والجن والطير، فكانوا لا يعصون أمره، طائعين له، قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [سبأ: ١٢].

رابعاً: العزة:

حكم سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ قومه بالعدل والحق، وكان له قوة عظيمة، ساعدته علي نشر الدين، فكان عزيزاً، ينصر الدين ويعزه، وفي هذا لما جاءت رسل بلقيس إليه بالهدايا الثمينة استرضاءً له، رفضها وذكر نعم الله عليه وأنه يملك ما هو أفضل مما يملكون، ثم أخبرهم أنهم إما أن يأتونه مسلمين أو يرسل عليهم جنوداً لا يستطيعون الصمود أمامهم. قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ [النمل٣٦ - ٣٧].

خامساً: الهيبة:

كان سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ مهاباً في قومه، يخافونه، ويهابونه، حتى إنه لما مات، كان متكئاً على عصاه، فلم يستطع أحد أن يتقدم منه هيبة واجلالاً. يقول تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ﴾ [سبأ: ١٤].

يقول السعدي: «فلم يزل الشياطين يعملون لسليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ، كل بناء، وكانوا قد

موهوا على الإنس، وأخبروهم أنهم يعلمون الغيب، ويطلعون على المكنونات، فأراد الله تعالى: أن يُرِيَ العباد كذبهم في هذه الدعوى، فمكثوا يعملون على عملهم، وقضى الله الموت على سليمان عليه السلام، واتَّكأ على عصاه، وهي المنسأة، فصاروا إذا مروا به وهو متكئ عليها، ظنوه حيّاً، وهابوه.

فغدوا على عملهم كذلك سنة كاملة على ما قيل، حتى سلطت دابة الأرض على عصاه، فلم تزل تأكل منها، حتى باد وسقط سليمان عليه السلام وتفرقت الشياطين وتبينت الإنس أن الجن ﴿لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ﴾ وهو العمل الشاق عليهم، فلو علموا الغيب، لعلموا موت سليمان، الذي هم أحرص شيء عليه، ليسلموا مما هم فيه»[1].

سادساً: التواضع:

كان سليمان عليه السلام على ما له من عظيم الملك متواضعاً. ففي قصة النملة لما سمع سليمان قولها تبسم ضاحكاً وهذا تواضعٌ منه فإنه تبسّم ولم يغضب علي عادة الملوك، ولفت القرآن الكريم من أنه تبسّم ضاحكاً، وإلا فإنه يقال تبسّم تبسُّم المغضب، او تبسُّم المستهزئ، فالقرآن الكريم وصف وصفاً بديعاً حين قال حاكياً عن سليمان عليه السلام أنه تبسم ضاحكاً[2]، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَـٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَـٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَـٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ [النمل١٨ - ١٩].

(١) تيسير الكريم الرحمن ١/ ٦٧٦.
(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٣/ ١٦٩.

سابعاً: العدل:

العدل سمة رئيسية للأنبياء أجمعين، وهو قوام الملك وأساسه، ومن عدله عَلَيْهِ السَّلَامُ ما حصل في قصة النملة من إنها قالت أن سليمان ربما يحطم منازل النمل وهو لا يعلم، فإن علم أن هذا المكان به منازلهم فلن يحطمها، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ [النمل: ١٨].

وقصة الهدهد عندما افتقده وغضب منه قال لأعذبنه إلا لو جاءني بعذر، فإن أتى بالعذر فلا لوم عليه وهذا من كمال عدله عَلَيْهِ السَّلَامُ، قال تعالى: ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيۡرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلۡهُدۡهُدَ أَمۡ كَانَ مِنَ ٱلۡغَآئِبِينَ ٢٠ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابٗا شَدِيدًا أَوۡ لَأَاْذۡبَحَنَّهُۥٓ أَوۡ لَيَأۡتِيَنِّي بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ﴾ [النمل ٢٠ – ٢١].

ثامناً: الحكمة في القضاء:

أنعم الله على نبيه سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ بنعمة الفهم والفطنة والذكاء والحكمة، فكان يقضي بين الناس بفطنة وحكمة تعجب منها العقول، ففي قصة الحرث والغنم قال الله واصفاً نبيه بما منّ عليه به من الفهم والحكمة، قال سبحانه: ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ إِذۡ يَحۡكُمَانِ فِي ٱلۡحَرۡثِ إِذۡ نَفَشَتۡ فِيهِ غَنَمُ ٱلۡقَوۡمِ وَكُنَّا لِحُكۡمِهِمۡ شَٰهِدِينَ ٧٨ فَفَهَّمۡنَٰهَا سُلَيۡمَٰنَۚ وَكُلًّا ءَاتَيۡنَا حُكۡمٗا وَعِلۡمٗا﴾ [الأنبياء: ٧٩].

وفي قصة المرأتين اللتين ضاع طفل إحداهما، واختلفتا في الطفل الآخر لمن يكون. فقال لهما ائتوني بسكين أشق الطفل الآخر نصفين فأعطي كل واحدة منكما نصفاً، وكان يريد بهذا أن يختبر مشاعر الأمومة الصادقة التي ستكون موجودة حتماً في إحدى المرأتين، فلما قال هذا بكت المرأة الصغرى وقالت يرحمك الله لا تفعل،

هو ابنها، وأرادت بذلك أن تحفظ طفلها من القتل وإن كانت ستعطيه للأخرى، فعلم سليمان أنها أمه حقاً فأعطاه لها. فانظر إلى حكمته وفهمه عليه السلام، والحديث هو ما روي في الصحيحين من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: (كَانَتْ امْرَأَتَانِ مَعَهُمَا ابْنَاهُمَا جَاءَ الذِّئْبُ فَذَهَبَ بِابْنِ إِحْدَاهُمَا، فَقَالَتْ لِصَاحِبَتِهَا: إِنَّمَا ذَهَبَ بِابْنِكِ، وَقَالَتِ الْأُخْرَى إِنَّمَا ذَهَبَ بِابْنِكِ، فَتَحَاكَمَتَا إِلَى داوود عليه السلام، فَقَضَى بِهِ لِلْكُبْرَى، فَخَرَجَتَا عَلَى سُلَيْمَانَ بْنِ داوود عليهما السلام فَأَخْبَرَتَاهُ، فَقَالَ: ائْتُونِي بِالسِّكِّينِ أَشُقُّهُ بَيْنَهُمَا، فَقَالَتِ الصُّغْرَى: لَا تَفْعَلْ يَرْحَمُكَ اللهُ هُوَ ابْنُهَا، فَقَضَى بِهِ لِلصُّغْرَى)[(١)].

تاسعاً: التوبة والرجوع إلى الله:

مدح الله نبيه سليمان عليه السلام بصفة الأوب. وهو كثرة الرجوع والتوبة، فكان تواباً أواباً عليه السلام. قال الله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَـٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٣٠]، قال الطبري: «إنه رجّاع إلى طاعة الله توّاب إليه مما يكرهه منه. وقيل: إنه عُنِي به أنه كثير الذكر لله والطاعة وعن ابن عباس ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ قال: الأواب: المسبّح. وعن قتادة قال: كان مطيعاً لله كثير الصلاة[(٢)].

عاشراً: الشكر لنعم الله:

كان سليمان عليه السلام على ما فضله الله به من النعم الكثيرة، شاكراً لله ممتناً لفضله عليه، قال الله ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾﴾ [النمل: ١٥]. وذاك من صفات الصالحين المتقين، شكر النعم والاعتراف بها للمنعم سبحانه، وقد تقدم معنى شكر النعم في قصة صالح عليه السلام.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) جامع البيان ٢١/ ١٩٢.

المطلب الخامس
أسس دعوة سليمان عليه السلام

أولاً: التعريف بالله سبحانه بأسمائه وصفاته:

في زمن سليمان عليه السلام انتشر الدين حتي بلغ الآفاق، وكانت دعوة سليمان عليه السلام قوية راسخة، حرص فيها نبي الله أن يعلم قومه أمور دينهم ويعرفهم ربهم بأسمائه وصفاته، ومن قوة دعوته عليه السلام نجد أنها وصلت حتي للطير، ففي قصة الهدهد دليل واضح على انتشار العلم عن الله، فاستنكر الهدهد علي قوم سبأ أن يعبدوا الشمس من دون الله، الله الذي يعلم كل شيء، يعلم السر والعلن، فانظر كيف أن الهدهد يعرف الله ويعرف أسماءه وصفاته، فما بالك بالمؤمنين من قوم سليمان عليه السلام، قال الله حاكياً عمّا قاله الهدهد ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [النمل: ٢٦].

ثانياً: التعريف بالطريق الموصلة إليه سبحانه:

مما ذُكر عن نبي الله سليمان عليه السلام في تعريفه للناس الطريق الموصلة لله سبحانه، ما ذكره لملكة سبأ من الكتاب الذي أرسله إليهم فقال لهم أن يأتوا إليه مسلمين وأن لا يستكبروا فإن الكبر طريق الضلال، والاستسلام لله هو طريق الله المستقيم، الموصل لرضاه سبحانه. قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ﴾ [النمل: ٣١].

ثالثاً: بيان ما للمؤمنين من جزاء وما للكافرين من عقاب:

قال الله سبحانه حاكياً عن سليمان عليه السلام: ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٤٠] بيّن سليمان عليه السلام لقومه جزاء الشاكر المؤمن وجزاء الكافر الجاحد. فأخبرهم أن من شكر الله بعبادته إياه وطاعته فيما يرضاه فإن الله مكافئه على طاعته وإيمانه، وأن من كفر وجحد وأشرك فإن الله غني عنه وله في الآخرة عذاب أليم.

المطلب السادس
وسائل وأساليب دعوة سليمان عليه السلام

أولاً: القوة في الدعوة:

كان سليمان عليه السلام مثل أبيه داوود عليه السلام في قوة دعوته ورسوخها، فكلاهما كان ملكاً نبيّاً. فنشر سليمان دعوة ربه بما آتاه الله من القوة والملك، فلم يستطع أحدٌ مخالفته، وكان قومه ينعمون بالعدل وانتشار الدين.

ثانياً: الحزم مع المخالفين:

نجد أن سليمان عليه السلام كان حازماً حاسماً مع المخالفين، ففي دعوته لقوم سبأ دعاهم أن يأتوه مسلمين دون تكبر عليه، ولما فكروا في إعطائه الهدايا الثمينة كي يتنازل عن قضيته في نشر الدين، حسم أمره معهم وكان حازماً في خطابه لهم وتهديده إياهم. إن لم يأتوه مسلمين ليدخلن بلادهم ويخرجهم منها، ويجعلهم أذلة صاغرين. وكان النصر والعزة له عليه السلام.

✧ ثالثاً: التثبت من الأخبار المنقولة:

رغم أن سليمان يعلم أن قومه يخافونه ويهابونه، ولا يتجرؤون على الكذب عليه، إلا أنه لما أتاه الهدهد بخبر قوم سبأ، قال اذهب برسالتي هذه إليهم كي نتثبت من صحة كلامك، فلم يكن متسرعاً خفيف الرأي، ولكن كان حكيماً رشيداً، فأراد التثبت قبل أن يتخذ القرار بشأن الهدهد، فلم يظلمه ويكذبه. ولم يذهب أيضاً بجنوده لمملكة سبأ يقاتلهم مباشرة، ولكن أرسل الرسالة ليتمكن من اختيار القرار العادل بعده. قال تعالى: ﴿۞ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ [النمل: ٢٨].

✧ رابعاً: إبهار المخالف بما وصل له المسلمون من العلم:

من المعروف أن في زمن سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ كانت تحدث العجائب التي لم تحدث بعده، كاستعمال الجن في البناء والغوص في البحار وغيره مما ذكرنا، فكان عَلَيْهِ السَّلَامُ يبهر المخالفين بما أنعم الله علي المسلمين من علم وخير، فلما علم سليمان بقدوم ملكة سبأ، أراد أن يخبرها بما وصل إليه المسلمون من علم في كل مجال، فأتى بعرشها في لمح البصر، وصنع الصرح الممرد من قوارير الذي يخطف الأذهان روعته وبديع تشييده، فلما رأت بلقيس ما وصل سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ من العلم علمت أنه نبيٌ صادق، وأن النجاة في اتباعه، فآمنت بالله رب العالمين. قال الله تعالى: ﴿قَالَ نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ ۖ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ ۚ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ ۖ

﴿فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ۚ قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ۗ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [النمل: ٤٤].

✧ خامساً: التحدث بنعمة الله:

كان سليمان عليه السلام متحدثاً بنعمة الله عليه، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ ۖ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾ [النمل١٥ - ١٦].

قال الزمخشري في تفسيره: «وَقالَ «يا أَيُّهَا النَّاسُ» تشهيراً لنعمة الله، وتنويهاً بها، واعترافاً بمكانها، ودعاء للناس إلى التصديق بذكر المعجزة التي هي علم منطق الطير، وغير ذلك مما أوتيه من عظائم الأمور[(١)].

✧ سادساً: بناء بيت المقدس:

بنى سليمان بيت المقدس، راجياً بذلك أن يكون زاداً للمسلمين، ينتفعون به ويكون قبلة لهم يصلون فيه، وقد ورد في الحديث الصحيح عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ **(أَنَّ سُلَيْمَانَ بْنَ داوود عليه السلام لَمَّا بَنَى بَيْتَ الْمَقْدِسِ سَأَلَ اللهَ عز وجل خِلَالاً ثَلَاثَةً: سَأَلَ اللهَ عز وجل حُكْماً يُصَادِفُ حُكْمَهُ فَأُوتِيَهُ، وَسَأَلَ اللهَ عز وجل مُلْكاً لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ فَأُوتِيَهُ، وَسَأَلَ اللهَ عز وجل حِينَ فَرَغَ مِنْ بِنَاءِ الْمَسْجِدِ أَنْ لَا يَأْتِيَهُ أَحَدٌ لَا يَنْهَزُهُ إِلَّا الصَّلَاةُ فِيهِ أَنْ يُخْرِجَهُ مِنْ خَطِيئَتِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ)**[(٢)].

---

(١) الكشاف للزمخشري ٣/ ٣٥٣.

(٢) سنن النسائي، كتاب المساجد، باب فضل المسجد الأقصى والصلاة فيه (٦٩٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٠٨٦).

✧ سابعاً: إرسال الرسائل للملوك لدعوتهم إلى الإسلام:

ويتضح هذا المعنى جلياً في قصة سبأ، حين أرسل سليمان لهم خطاباً فيه دعوتهم للإسلام، فلما حاولوا الزيغ أرسل لهم خطاباً آخر مع رسولهم تهديداً لهم كي يرجعوا إلى رشدهم. قال تعالى: ﴿ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ [النمل: ٢٨]. وقال سبحانه: ﴿ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ [النمل: ٣٧].

✧ ثامناً: الاهتمام بالجيش والسلاح:

وصف ربنا جيش سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ فقال سبحانه: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ [النمل١٧]. وقال تعالى: ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [النمل٢٠].

قال ابن كثير: «أي: وجمع لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير يعني: ركب فيهم في أبهة وعظمة كبيرة في الإنس، وكانوا هم الذين يلونه، والجن وهم بعدهم يكونون في المنزلة، والطير ومنزلتها فوق رأسه، فإن كان حراً أظلته منه بأجنحتها. وقوله: ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ أي: يكف أولهم على آخرهم؛ لئلا يتقدم أحد عن منزلته التي هي مرتبة له. قال مجاهد: جعل على كل صنف وزعة، يردون أولاها على أخراها، لئلا يتقدموا في المسير، كما يفعل الملوك اليوم»(١).

✧ تاسعاً: التقدم العلمي واستغلال ثروات البر والبحر:

كان سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ حريصاً على أن تكون دولة الإسلام هي الأولى في كل شيء، فاهتم بالعمران والسلاح واستخراج الثروات من البر والبحر، فأسال الله له عيناً تجري

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٦/ ١٨٣.

بالنحاس المذاب ليستعملها في بناءه وسلاحه، وسخر له الجن والشياطين تغوص في أعماق البحار تأتيه بأثمن ما حواه من اللؤلؤ والمرجان، ثم هو عليه السلام سخر كل هذا لخدمة دين الله، ونشره بين الأمم. قال تعالى: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ﴾ [ص: ٣٧]، وقال سبحانه: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣].

المطلب السابع

الدروس المستفادة من دعوة سليمان عليه السلام

١- سار سليمان علي نهج أبيه داوود عليهما السلام في حكم بني إسرائيل، وانتشر الدين في بقاع الأرض، فدانت له الملوك، والبلاد والعباد، فأعز الله دينه وأظهره على الناس، وانتشر الأمن والعدل والخير، وكان المسلمون مع سليمان عليه السلام أعلم الناس في وقتهم، وأشدهم حرصاً علي الخير والدعوة، فعمروا الأرض وسخروا ما آتاهم الله من فضله لخدمة الإسلام، إذ إن الأنبياء جميعاً دينهم الإسلام كما ذكرنا، ولو اختلفت شرائعهم وأحكامهم، فكان سليمان عليه السلام نعم العبد لله، ونعم الملك علي قومه. صلوات الله وسلامه عليه وعلى نبينا وقدوتنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين.

٢- إذا صلح الملك صلحت الرعية وذلك أن الملك له السلطة والقوة التي تمكنه من إقامة العدل ونشر الدين.

٣- شكر نعم الله موجب لزيادتها، وجحد النعم موجب لزوالها.

٤- من صفات الملك أن يكون متثبتاً للأخبار غير متسرع في اتخاذ القرار.

٥- التواضع والرحمة لمن هو دونك من كمال الأخلاق، فحتي النملة الضعيفة تواضع سليمان عليه السلام معها، وتبسم ضاحكاً من قولها.

٦- العزة بالدين سبب للتمكين، فكان سليمان عزيزاً بدينه مع قوم سبأ، فلم يعط الدنية لهم وإن عظمت مملكتهم، وكان غايته نشر الدين فلم يلتفت إلى غير ذلك.

٧- تذكر نعم الله دائماً حين يري الإنسان نعيم غيره، فلما عرضت رسل بلقيس علي سليمان هدايا ثمينة تذكر نعم الله وقال ما آتاني الله خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون.

٨- التوبة والرجوع إلى الله سبب لحصول النعمة والرفعة في الدنيا والآخرة، فلما تاب وأناب سليمان لربه، أعطاه الله ملكاً لا ينبغي لأحدٍ من بعده، وكان قبل ذلك عنده من الملك مثل ما كان لغيره، ولكن بعد التوبة أعطاه الله ما لم يحصل لغيره.

٩- التحدث بنعم الله ونسب كل فضل إليه سبحانه من كمال العبودية لله، فمهما حصل للإنسان من خير عظيم يعجب منه الناس، فلا بد لنسبة كل فضل وخير إلى الله سبحانه، ولا يغتر الإنسان بما معه فالذي أعطاه قادر على أخذه في أي وقت.

١٠- مهما بلغ ملك الانسان وما معه من زخرف الحياة الدنيا، فلا يجعل في قلبه حباً ولا تعلقاً إلا لله سبحانه، فسليمان عليه السلام لما شاهد الخيول وهي تجري أمامه وأشغلته عن صلاته ندم واستغفر وأنكر على نفسه أن يحب رؤية الخيل ومشاهدتها أكثر من حب الله وطاعته وعبادته.

١١- «كل ما أشغل العبد عن طاعة مولاه فهو مشؤوم فليفارقه، وليقبل على ما هو أنفع.

١٢- يؤخذ من أن سليمان لما أتلف الخيل الجياد - التي ألهته عن طاعة الله - سخَّر الله له الريح والشياطين: أن من ترك شيئاً لله عوَّضه الله خيراً منه.

١٣- أن سليمان كان ملكاً نبيّاً مباح له أن يفعل ما يريد، ولكنه لكماله لا يريد إلا الخير والعدل، وهذا بخلاف النبي العبد، فإنه لا يكون له إرادة مستقلة، بل إرادته تابعة لمراد الله منه، فلا يفعل ولا يترك إلا تبعاً للأمر، كحال نبينا محمد ﷺ.

١٤- أن الله أعطى سليمان ملكاً عظيماً، فيه أمور لا يمكن أن تدرك بالأسباب، وإنما هي من تقدير الملك الوهاب مثل تسخير الريح تبعاً لأمره، وتسخير الشياطين، وكون جنوده من الإنس والجن والطير، وأن الطيور كانت تخدمه الخدمة العظيمة، يرسلها للجهات توصل منه الأخبار، وتأتيه بأخبار تلك الجهات، وقد أعطاها الله من الفهم ومعرفة أحوال الآدميين ما قص الله علينا نبأه في هذه القصة، وكذلك الذي عنده علم من الكتاب حين استعد أن يأتيه بعرش ملكة سبأ قبل أن يرتد إليه طرفه، وهذه آيات أنبياء، فلهذا مهما بلغ الخلق في الترقي في علوم الطبيعة والمهارة بالمخترعات فلن يصلوا إلى ما أُعطيه سليمان.

١٥- أنه ينبغي للملوك والرؤساء أن يسألوا عن أحوال الأمراء والرؤساء والرجال المتميزين، ولا يكتفوا بمجرد السؤال، بل يختبرونهم ويختبرون معرفتهم للأمور وعقولهم، كما فعل سليمان مع ملكة سبأ: امتحنها ليستدل على كمال عقلها

ورجاحته، ولم يكتف بالسؤال، وهذا فيه للملوك فوائد عظيمة، وهم محتاجون لهذا أشد الحاجة، وتمام الملك أن يدير دفته الرجال الكاملون»[(١)].

١٦- في قوله تعالى عن ملكة سبأ: ﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ﴾ [النمل: ٤٣] «أي: العقائد التي نشأت عليها، والمذاهب الفاسدة تسيطر على عقل العاقل، وتذهب لب اللبيب حتى يقيض له من الأسباب المباركة ما يبين له الحق، ويمن عليه باتباعه»[(٢)].

---

(١) تيسير اللطيف المنان ص٢٥١ - ٢٥٣.

(٢) تيسير اللطيف المنان ص٢٤٦.

المبحث الرابع

دعوة هارون عليه السلام

المطلب الأول التعريف بهارون عليه السلام.

المطلب الثاني الصفات الدعوية لهارون عليه السلام.

المطلب الثالث أسس دعوة هارون عليه السلام.

المطلب الرابع وسائل وأساليب دعوة هارون عليه السلام.

المطلب الخامس الدروس المستفادة من دعوة هارون عليه السلام.

المطلب الأول
التعريف بهارون عليه السلام

اسمه: هارون بن عمران بن قاهث بن عازر بن لاوى بن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم عليه السلام[(١)].

قومه الذين أُرسل إليهم: هم بنو إسرائيل، قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَـٰرُونَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ﴾ [المؤمنون٤٥].

ولادته: وذكر ابن كثير من قصة ولادته عليه السلام، أن فرعون لما أمر بقتل الولدان عاماً وتركهم عاماً، وُلد هارون عليه السلام، في السنة التي يتركون فيها الولدان[(٢)] فكان هارون عليه السلام نبيّاً داعياً وهادياً إلى صراط الله المستقيم.

نبوته: أرسل الله موسى عليه السلام لبني إسرائيل، فدعى موسى ربه أن يجعل له مساعداً ومناصراً من أهله وهو أخوه هارون عليه السلام، فسأل الله أن يجعله نبياً، ويشركه في أمر الدعوة إلى الله، وتبليغ رسالته. فاستجاب الله له، فلا يوجد أخاً له فضلٌ علي أخيه كفضل موسى علي هارون عليهما السلام، قال تعالى: ﴿وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَـٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴿٣٢﴾ كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا﴾ [طه: ٢٩ - ٣٥]، فاستجاب الله له فقال: بقوله: ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَـٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ۚ بِـَٔايَـٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَـٰلِبُونَ﴾ [القصص٣٥].

---

(١) قصص الأنبياء لابن كثير ٢/ ٣.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٦/ ٢٢٠ - ٢٢١.

المطلب الثاني
الصفات الدعوية لهارون عليه السلام

❑ أولاً: فصاحة اللسان:

تميز هارون عليه السلام بفصاحة اللسان، وهي من أهم الأشياء في الدعوة إلى الله تعالى، فلحسن العبارة تأثيره أقوي في النفوس، قال تعالى: ﴿وَأَخِي هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِيٓ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ﴾ [القصص: ٣٤].

ومعنى ردءاً أي: وزيراً ومعيناً ومقوّياً لأمري يصدقني فيما أقوله، ويبين عني ما أكلمهم به فإنه أفصح مني لساناً، ويفهم عني ما لا يفهمون[١].

❑ ثانياً: الأدب في الحديث:

وذلك حتى في وقت الشدة، قال تعالى: ﴿قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓ﴾ [طه: ٩٤]، وقال: ﴿قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِي وَكَادُواْ يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٥٠].

ففي هذا الأسلوب أدب التلطف في الرد على الغضبان، ومناداته بما يرقق قلبه من أسباب تهدئته.

وقوله في الجواب ﴿يَبْنَؤُمَّ﴾ نداء لقصد الترقيق والاستشفاع[٢]، فترقق له بذكر

(١) أصول الدعوة د. عبد الكريم زيدان ٢/ ١٤.
(٢) التحرير والتنوير ١٦/ ٢٩٢.

الأم، مع أنه شقيقه لأبويه؛ لأن ذكر الأم ههنا أرق وأبلغ في الحنو والعطف(١)، لأن قرابة الأم أشد عطفاً وحناناً من قرابة الأب(٢).

❑ ثالثاً: الشجاعة والإقدام وعدم الخوف:

فقد أمر الله تعالى موسى وهارون عليهما السلام بالذهاب إلى فرعون الطاغية بشجاعة وعدم خوف، حين قال موسى وأخيه هارون: ﴿رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفۡرُطَ عَلَيۡنَآ أَوۡ أَن يَطۡغَىٰ﴾ [طه: ٤٥] فقال لهما الله: ﴿قَالَ لَا تَخَافَآۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦].

وقال: ﴿قَالَ كَلَّاۖ فَٱذۡهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسۡتَمِعُونَ﴾ [الشعراء: ١٥].

وكذلك يبرز هذا الأمر في اضطهاد بني إسرائيل لهارون عليه السلام بعد ما ذهب لموسى عليه السلام للقاء ربه، وكادوا أن يقتلوه بسبب أنه لم يكن ليسكت عن الباطل الذي يفعلونه، فقد اتخذوا عجلاً صنعه السامري من حليهم، فعبدوه من دون الله، فرغم هذا وعظهم ونصحهم ودعاهم هارون عليه السلام ولم يخش في الله لومة لائم وهذا من قوة الإيمان والشجاعة، حتى وصل بهم الأمر أنهم اقتربوا من قتله فتوقف لحكمة وليس عن جبن وخوف، قال تعالى: ﴿قَالَ ٱبۡنَ أُمَّ إِنَّ ٱلۡقَوۡمَ ٱسۡتَضۡعَفُونِي وَكَادُواْ يَقۡتُلُونَنِي فَلَا تُشۡمِتۡ بِيَ ٱلۡأَعۡدَآءَ وَلَا تَجۡعَلۡنِي مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٥٠].

❑ رابعاً: العبادة والذكر:

ذكر الله وعبادته هو سبيل مرضاته، ولذا كان الأنبياء أعبد الناس في الأرض، بجانب دعوتهم قومهم وصبرهم علي الأذي في سبيل الله، قال تعالى، عن موسى عليه السلام: ﴿هَٰرُونَ

(١) تفسير القرآن العظيم ٣/ ١٥٩.

(٢) أضواء البيان ٤/ ٩٢.

أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ﴿٣١﴾ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ﴿٣٢﴾ كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا ﴿٣٣﴾ وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرٗا﴾ [طه: ٢٩ - ٣٥].

فاستجاب الله طلب موسى ووجه موسى وهارون عليهما السلام بكثرة ذكره ودعائه، فقال تعالى: ﴿ٱذۡهَبۡ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكۡرِي﴾ [طه٤٢]، «يقول: ولا تضعفا في أن تذكراني فيما أمرتكما ونهيتكما، فإن ذكركما إياي يقوي عزائمكما، ويثبت أقدامكما، لأنكما إذا ذكرتماني، ذكرتما مني عليكما نعماً جمة، ومنناً لا تحصى كثرة»[(١)]. فلا تنيا في ذكري فهو عدتكما وسلاحكما وسندكما الذي تأويان منه إلى ركن شديد.

❑ خامساً: حسن الظن في الله وعدم اليأس:

فقد أمر الله تعالى موسى وهارون عليهما السلام أمراً مباشراً بحسن الظن وعدم اليأس، بقوله: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ﴾ [طه٤٤] أي: اذهبا إليه غير يائسين من هدايته، راجيين أن يتذكر ويخشى، فالداعية الذي ييأس من اهتداء أحد بدعوته لا يبلغها بحرارة، ولا يثبت عليها في وجه الجحود والإنكار، وإن الله ليعلم ما يكون من فرعون؛ ولكن الأخذ بالأسباب في الدعوات وغيرها لا بد منه، والله يحاسب الناس على ما يقع منهم بعد أن يقع في عالمهم، وهو عالم بأنه سيكون.

فقوله: «﴿لَّعَلَّهُۥ﴾ قال القاضي: أي باشرا الأمر على رجائكما وطمعكما أنه يثمر ولا يخيب سعيكما. فإن الراجي، مجتهد والآيس متكلف»[(٢)].

(١) جامع البيان ١٨/ ٣٢١.

(٢) محاسن التأويل ٧/ ١٢٧.

المطلب الثالث

أسس دعوة هارون عَلَيْهِ السَّلَامُ

فكانت أسس دعوة موسى وهارون واحدة تقوم على:

☜ أولاً: الأمر بتوحيد الله والتعريف بالله سبحانه:

ويظهر هذا في قوله: ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾ [طه٤٧]، وقوله: ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٦] «أي أرسلنا إليك لتؤمن به وبنا وتنقاد لعبادته وتذعن لتوحيده»[١].

«أفرده مريداً به الجنس الصالح للاثنين، إشارة بالتوحيد إلى أنهما في تعاضدهما واتفاقهما كالنفس الواحدة»[٢].

فهي المواجهة القوية الصريحة بحقيقة التوحيد منذ اللحظة الأولى، بلا تدرج فيها ولا حذر، فهي حقيقة واحدة لا تحتمل التدرج والمداراة.

ومن هذا قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى﴾ [طه: ٩٠].

أي: «إنما اختبر الله إيمانكم ومحافظتكم على دينكم بهذا العجل الذي أحدث فيه الخوار، ليعلم به الصحيح الإيمان منكم من المريض القلب، الشاكّ في دينه.

وقوله: ﴿وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى﴾ يقول: وإن ربكم الرحمن الذي

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ص٥٨٩.

(٢) نظم الدرر ٥/ ٣٥٢.

يعم جميع الخلق نعمه، فاتَّبعوني على ما آمركم به من عبادة الله، وترك عبادة العجل، وأطيعوا أمري فيما آمركم به من طاعة الله، وإخلاص العبادة له»[(١)].

☜ ثانياً: رفع الظلم عن المظلومين:

لاستنقاذ بني اسرائيل المظلومين من فرعون، وملئه، فقد أمر الله تعالى موسى وهارون بذلك في قوله: ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ﴾ [طه: ٤٧]. وقال: ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الشعراء: ١٦ – ١٧].

فقوله: ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ «ليتحرروا من عبوديتك وعذابك المهين»[(٢)].

«﴿وَلَا تُعَذِّبْهُمْ﴾ فكف عنهم عذابك وارفع عنهم يدك ليعبدوا ربهم ويقيموا أمر دينهم»[(٣)].

«﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ أي بإطلاقهم من الأسر والعبودية، وتسريحهم معنا إلى وطننا فلسطين ﴿وَلَا تُعَذِّبْهُمْ﴾ أي بإبقائهم على ما هم عليه من التسخير والتذليل في الأمور الشاقة»[(٤)].

ففي هذه الحدود كانت رسالتهما إلى فرعون، لاستنقاذ بني إسرائيل، والعودة بهم إلى عقيدة التوحيد، وإلى الأرض المقدسة التي كتب الله لهم أن يسكنوها.

---

(١) جامع البيان ١٨/ ٣٥٨.
(٢) محاسن التأويل ٧/ ٤٥٠.
(٣) تيسير الكريم الرحمن ص٥٨٩.
(٤) محاسن التأويل ٣/ ٢٤٥.

المطلب الرابع

وسائل وأساليب دعوة هارون عليه السلام

أولاً: الدعوة بالحكمة:

أراد هارون عليه السلام أن يجمع شتات القوم علي كلمة سواء، فكان يتخير بليغ الكلام ليدعو قومه. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى﴾ [طه: ٩٠]. في قولي: ﴿ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٢].

كان هارون عليه السلام حكيماً في أفعاله، فلما ذهب موسى عليه السلام لميقات ربه، واتخذ قومه من بعده العجل، دعاهم هارون عليه السلام فلم يستجيبوا له، فلما رجع موسى عليه السلام قال له هارون أن ما حمله على أن لا يشدد عليهم هو خشيته في أن يكون سبباً في التفرقة بينهم وزعزعة الصف.

فكانت الحكمة من السكوت على الإنكار بعد بذلك الجهد في أمرين:

الأول: قال تعالى: ﴿قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى﴾ [طه: ٩٤]. «حيث تركتهم وليس عندهم راع ولا خليفة فإن هذا يفرقهم ويشتت شملهم»[(١)].

الثاني: ﴿قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾﴾ [الأعراف: ١٥٠].

(١) تيسير الكريم الرحمن ص٥١٢.

«**قال الجشمي**: تدل الآية على أن الأمر بالمعروف قد يسقط في حال الخوف على النفس، وفي الحال الذي يعلم أنه لا ينفع»[(١)].

وهكذا نجد هارون يعرض وجهة نظره في صورة الطاعة لأمر موسى حسب تقديره وأنه خشي إن هو عالج الأمر بالعنف أن يتفرق بنو إسرائيل شيعاً، بعضها مع العجل، وبعضها مع نصيحة هارون. وقد أمره بأن يحافظ على بني إسرائيل ولا يحدث فيهم أمراً. فهي كذلك طاعة الأمر من ناحية أخرى.

ثانياً: الموعظة الحسنة:

اتسم قلب هارون عليه السلام بالرأفة والرحمة ويظهر هذا في دعوته لقومه لما خالفوه وافتتنوا بالعجل. فرغبهم في التوبة وذكرهم برحمة الله لتلين قلوبهم ويطيعوه.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى﴾ [طه: ٩٠].

«فهارون عليه السلام سلك في هذا الوعظ أحسن الوجوه، لأنه زجرهم عن الباطل، أوّلا بقوله ﴿إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ﴾ ثم دعاهم لمعرفة الله تعالى ثانياً بقوله: ﴿وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ ثم دعاهم ثالثاً إلى معرفة النبوة بقوله تعالى: ﴿فَٱتَّبِعُونِى﴾ ثم دعاهم إلى الشرائع رابعاً بقوله: ﴿وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى﴾ وهذا هو الترتيب الجيّد. لأنه لا بد قبل كل شيء في إماطة الأذى عن الطريق، وهو إزالة الشبهات. ثم معرفة الله تعالى، فإنها هي الأصل. ثم النبوة ثم الشريعة»[(٢)].

---

(١) محاسن التأويل ٣/ ٢٤٥.

(٢) محاسن التأويل ٧/ ١٤٣.

ثالثاً: القول اللين:

فقد أمر الله تعالى موسى وهارون عليهما السلام أمراً مباشراً باللين في الدعوة، بقوله: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ﴾ [طه٤٤] فإن الملوك الظالمين أمثال فرعون لا يقبلون إلا لين الكلام معهم.

«أمرهما بما ينبغي لكل آمر بالمعروف من الأخذ بالأحسن فالأحسن والأسهل فالأسهل»(١)، «لما كان اللين سبباً للتذكرة والخشية أمرهما به لتقوم عليه الحجة فهذا الرجاء المتعلق بكلامه.. فالكلام المنفر لا يتوقع منه إجابة ولا إنابة والكلام اللين المرغب يتوقع من كل من سمعه الإجابة والإنابة»(٢).

«والمقصود من دعوة الرسل حصول الاهتداء لا إظهار العظمة وغلظة القول بدون جدوى. فإذا لم ينفع اللين مع المدعوّ وأعرض واستكبر جاز في موعظته الإغلاظ معه»(٣).

رابعاً: القدوة الحسنة:

من أعظم وأنفع وسائل الدعوة وأساليبها القدوة الحسنة، ولذا وجه الله نبيه موسى وأخيه هارون عليهما السلام لهذا الأسلوب بقوله: ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوۡمِكُمَا بِمِصۡرَ بُيُوتٗا وَٱجۡعَلُواْ بُيُوتَكُمۡ قِبۡلَةٗ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [يونس٨٧].

فالتعبير بلفظ ﴿وَٱجۡعَلُواْ بُيُوتَكُمۡ قِبۡلَةٗ﴾ فيه إشارة إلى أن تكون بيوتهم محل أنظار المؤمنين يتبعونهم في كل شيء، وذلك لأن استعلاء فرعون على قوم موسى كان

(١) نظم الدرر ٥/ ٢٠.
(٢) الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان لامام ابن القيم الجوزية ص٦٢ باختصار.
(٣) التحرير والتنوير ١٦/ ٢٢٥.

من القوة بمكان، فجلوس موسى عليه السلام مع قومه وتعليمهم وإقامة العبادة جماعة معهم قد يكون متعذراً، كما يدل عليه سياق الآيات، ولكن الدعوة والتعليم والتوجيه وإقامة الشعائر لا تقف عند تلك المشكلة، بل التعليم والتوجيه بالقدوة هو المرحلة المتبعة إلى أن يقضي الله الأمر.

☜ خامساً: الترغيب والترهيب:

قال تعالى: ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ [طه: ٤٧ - ٤٨].

فهنا توجيه من الله مباشر لموسى وهارون بأن يجمعا بين الترغيب والترهيب في دعوة فرعون، فكان الترغيب في قوله: قال تعالى: ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ أما الترهيب فكان في قوله: قال تعالى: ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾.

☜ سادساً: الحرص على الجماعة وعدم التفرق:

قال تعالى: ﴿قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى﴾ [طه: ٩٢ - ٩٤]. أي: «﴿إِنِّى خَشِيتُ﴾ إن فارقتهم واتبعتك، ﴿أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ فرقت جماعتهم، وذلك أنه لو لحق بموسى لصاروا أحزاباً، حزب يسيرون معه، وحزب يتخلفون عنه من الإيمان والإنكار على عبدة العجل، وحزب

مع السامري، فلا يؤمن أن يصيروا فِي الخلاف إلى التسافك»[١]، «﴿وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ لم تحفظ وصيتي في حسن الخلافة عليهم»[٢].

فاعتذر هارون بأنه خشي التفريق بين بني إسرائيل.

المطلب الخامس

الدروس المستفادة من دعوة هارون عليه السلام

- «الداعي المسلم لا يتردد أبداً في الاستعانة بكفاءة غيره من المسلمين وقدرته في مجال الدعوة، وسيكون مسروراً جداً إذا ما وجد مسلماً ذا قدرة وكفاءة وأمانة في أمور الدعوة مع رغبته في الإسهام في هذا المجال، وإذا ما أحس الداعي بضيق في صدره من عمل المسلم الكفء في الدعوة إلى الله، فإن إخلاصه لا بد أن يكون مشوباً بحب السمعة والرياء فليسارع إلى تنقية إخلاصه، وفسح المجال للكفء الأَمين بالإسهام في جهاد الدعوة إلى الله تعالى»[٣].

- «والاستعانة إذا كانت بأولي القربى من أهل النسب، أو التربية، أو الصحبة القديمة كانت أكمل؛ لما يقع في ذلك من مجانسة خلقهم لخلقه، فتتم المشاكلة في الاستعانة»[٤].

---

(١) التفسير الوسيط للواحدي ٣/ ٢١٩.

(٢) الوجيز للواحدي ٣/ ٢١٩.

(٣) أصول الدعوة د. عبد الكريم زيدان ٢/ ١٤.

(٤) مقدمة ابن خلدون ص٣١٩.

- لا بد للدعاة من السماع لبعضهم، وتلمس الأعذار لبعضهم.. والتروي في الحكم على المواقف.. وضبط الانفعالات.

- للأخ أن يعاتب أخاه المسلم، ولكن بعيداً عن سمع المتربصين بالإسلام، وشماتتهم، حفظاً على سمعة الدعوة وهيبة الدعاة.

- الحفاظ على جمع الناس على كلمة سواء، وعدم التفريق بينهم من الحكمة البالغة.

- لا بد للمجتمع من وجود دعاة وقيادة دعوية تضبط حركة الدعوة وتقوم على شؤون المدعوين وتثبيتهم وحمايتهم من الشبهات والشهوات، وتردهم إلى الحق متى ضلوا الطريق.

- الشجاعة في قول الحق رغم الخوف من عاقبته من صفات الأنبياء فالتحلي بها واجب.

- فصاحة اللسان وبلاغة المقال من وسائل الدعوة العظيمة التي يجب الحرص عليها.

- حرص الأخ على نفع إخوانه دليل نقاء القلب، وصفوة الفكر.

المبحث الخامس

دعوة زكريا عليه السلام

المطلب الأول التعريف بزكريا عليه السلام وقومه.

المطلب الثاني الصفات الدعوية لزكريا عليه السلام.

المطلب الثالث أسس دعوة زكريا عليه السلام.

المطلب الرابع وسائل وأساليب دعوة زكريا عليه السلام.

المطلب الخامس الدروس المستفادة من دعوة زكريا عليه السلام.

المطلب الأول
التعريف بزكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ وقومه

هو زكريا بن برخيا ويقال زكريا بن دان، ويقال: زكريا بن لدن بن مسلم بن صدوق بن حشبان بن داوود بن سليمان بن مسلم بن صديقة بن برخيا بن بلعاطة بن ناحور بن شلوم بن بهناشاط بن اينا من بن رحبعام بن سليمان بن داوود، وهو أبو يحيى النبي عَلَيْهِ السَّلَامُ من بني إسرائيل[١].

وكان عَلَيْهِ السَّلَامُ نجّاراً، كما أخبر بذلك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فعن أبي هريرة، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **(كان زكرياء نجاراً)**[٢].

المطلب الثاني
الصفات الدعوية لزكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ

أولاً: أنه رحمة الله:

قال تعالى: ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ﴾ [مريم: ٢]، فتكون الرحمة عبارة عن زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ، لأن كل نبي رحمة لأمته[٣]، بإرساله إليهم لتبليغهم دين الله تبارك وتعالى، وإخراجهم من الظلمات إلى النور.

(١) البداية والنهاية ٢/ ٥٦.
(٢) صحيح مسلم كتاب الفضائل، باب في فضائل زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ (٢٣٧٩).
(٣) فتح القدير للشوكاني ٣/ ٣٧٩.

ثانياً: أنه من الصالحين:

قال تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ [الأنعام: ٨٥]، فوصفه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: أنه كان صالحاً في نفسه، مصلحاً لغيره.

ثالثاً: أنه كثير الدعاء لربه:

امتاز زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ بكثرة دعاءه وتضرعه إلى الله تعالى، وإلحاحه على الله تعالى: في مسألته، وهذا مما يحبه الله في عبده، أن يدعوه ويلح عليه في الدعاء.

قال تعالى: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [آل عمران: ٣٨]، وقال تعالى: ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ﴿٢﴾ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا﴾ [مريم: ٢ - ٥]، وقال تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٩].

إنه الأدب مع الله والاعتراف بنعم الله، وحسن العرض لما هو مهموم به.

فمن أدبه في الدعاء قال: ﴿رَبِّ هَبْ لِي﴾ «فجاء الطلب بلفظ الهبة لأن الهبة إحسان محض ليس في مقابلة شيء وهو يناسب ما لا دخل فيه للوالد لكبر سنه ولا للوالدة لكونها عاقرة لا تلد»[1].

«وإنما كان خفياً لأن زكريا رأى أنه أدخل في الإخلاص مع رجائه أنّ الله يجيب دعوته لئلا تكون استجابته مما يتحدث به الناس»[2]، إنه يناجي ربه بعيداً عن عيون

(١) روح المعاني ٣/ ١٤٤.

(٢) التحرير والتنوير ١٦/ ٦٢.

الناس، بعيداً عن أسماعهم، في عزلة يخلص فيها لربه، ويكشف له عما يثقل كاهله ويكرب صدره، كل هذا في خضوع في الدعاء وإظهار الذل والمسكنة والضعف والحاجة لله تعالى.

وفي قوله: ﴿وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ صورة من صور الأدب مع الله في الدعاء، «فالمعنى إنك عودتني أجابتك وإسعافك ولم تشقني بالرد والحرمان فهو توسل إليه تعالى: بما سلف من إجابته وإحسانه»(١).

رابعاً: كثرة الصلاة:

قال تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [آل عمران: ٣٩]، وقال تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم: ١١].

ففي هاتين الآيتين دليل على ملازمة زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ لمحرابه الذي كان في مسجده عَلَيْهِ السَّلَامُ.

خامساً: مسارعته في الخيرات وخشيته من الله تعالى:

قال تعالى: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

«أي كانوا يبادرون في كل باب من الخير. وإيثار «في» على «إلى» للإشارة إلى ثباتهم واستقرارهم في أصل الخير»(٢).

وهي من الصفات الحميدة، والتي أثنى الله بها عليه وعلى أهل بيته، فما أروع

(١) بدائع الفوائد ٣/ ٤.

(٢) محاسن التأويل ٧/ ٢٢٠.

صورة بيت زكريا الذي يتبارى فيه الزوجان في المسارعة للخيرات.. زوجة تعين زوجها، وزوج يعين زوجته.

سادساً: كفالته لمريم:

قال تعالى عن مريم عَلَيْهَا السَّلَامُ: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٣٧].

فقوله: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ أي ضمها إليه، وجعله الله كافلاً لها وضامناً لمصالحها، وقائماً بتدبير أمورها[(١)].

المطلب الثالث
أسس دعوة زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ

أغلب الآيات والأحاديث الواردة في سيرة زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ تبين كيف أنه دعا الله عَزَّ وَجَلَّ أن يرزقه الغلام، وكيف أن الله تعالى: استجاب لدعائه، رغم عدم إمكانية ذلك بالأسباب الدنيوية، ولكن شاء الله أن يصلح له زوجه، ليُرزق بعد ذلك بيحيى عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولم يذكر لنا ذكر شيء من دعوة زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ لقومه.

ولكن كما أسلفنا، فهو كغيره من الأنبياء، أساس دعوته هو توجيه الناس ليعبدوا الله وحده ولا يشركوا به شيئاً، وليؤمنوا بالدار الآخرة، وبيوم الحساب، وبالجنة والنار، وغير ذلك من الأسس التي تقوم عليها دعوة جميع الأنبياء المرسلين إلى أقوامهم.

(١) محاسن التأويل ٢/ ٣١٢.

المطلب الرابع

وسائل وأساليب دعوة زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ

أولاً: حرص زكريا على إبلاغ دعوته بكل وسيلة:

بعد استجابة الله تبارك وتعالى: دعاء زكريا، طلب زكريا أن يجعل الله له آية، ﴿قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً﴾ [آل عمران: ٤١] فقال تعالى: ﴿قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ۗ وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ﴾ [آل عمران: ٤١].

أي أن لا تقدر على تكليمهم ﴿ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا﴾ أي إشارة بيد أو رأس[١].

ثم قال تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم١١]. فقد «حُبِس زكريا عن الكلام، فدعا بالإشارة. فالداعية لا يتوقف.. إن أُغلقَ في وجههِ بابٌ، فَتَحَ باباً آخر!» وعلى هذا رباه ربه جل وعلا»[٢].

ثانياً: الأمر بذكر الله تعالى:

قال تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم: ١١]، فخرج زكريا على قومه من مصلاّه وهو منطلق اللسان بذِكر الله ولا يستطيع أن يكلِّم الناس، فأشار الى قومه ان سبِّحوا اللهَ صباحاً ومساء[٣].

والتسبيح في العشي والإبكار يفيد أنه تسبيح طوال النهار وطرفاً من الليل، وكانت

---

(١) محاسن التأويل ٢/ ٣١٥.

(٢) من تدبرات الشيخ محمد الغرير – مجموعة ليدبروا آياته.

(٣) تيسير التفسير لإبراهيم القطان ٢/ ٣٩١.

دعوة قومه للتسبيح معه، لأنه ذلك الولي الذي جعله رضياً سيكون مصدر خير لهم، ولأنه يكون خلفاً من الإيمان بالأسباب والمسببات إلى الإيمان بالله الفعال لما يريد(١).

فقد أمره الله تعالى: بالتسبيح فقال: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ﴾ [آل عمران٤١]، فقام بذلك ودعا إليه قومه: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُواْ بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ فكان صالحاً مصلحاً يحب لقومه ما يحب لنفسه ويرضى لهم ما يرضى الله به عنه.

«**قال محمد بن كعب**: لو رخص الله لأحد في ترك الذكر لرخص لزكريا لأنه منعه من الكلام وأمره بالذكر»(٢).

ثالثاً: عمل الخير وكفالة الناس تعليماً ونفقة:

قال تعالى: عن مريم عليها السلام: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٣٧].

قال ابن كثير: «يخبر ربنا أنه تقبلها من أمها نذيرة، وأنه ﴿وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾ أي: جعلها شكلاً مليحاً ومنظراً بهيجاً، ويسر لها أسباب القبول، وقرنها بالصالحين من عباده تتعلم منهم الخير والعلم والدين. ولهذا قال: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ وفي قراءة: ﴿وكفلها زكريا﴾ بتشديد الفاء ونصب زكريا على المفعولية، أي جعله كافلاً لها.

قال ابن إسحاق: وما ذاك إلا أنها كانت يتيمة. وذكر غيره أن بني إسرائيل أصابتهم سنة جدب، فكفل زكريا مريم لذلك. ولا منافاة بين القولين. والله أعلم.

(١) زهرة التفاسير لأبي زهرة ٩/ ٤٦١٧.
(٢) محاسن التأويل ٢/ ٣١٥.

وإنما قدر الله كون زكريا كافلها لسعادتها، لتقتبس منه علماً جماً نافعاً وعملاً صالحاً؛ ولأنه كان زوج خالتها، وقيل: زوج أختها»[(١)].

فقوله: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ أي ضمها إليه، وجعله الله كافلاً لها وضامناً لمصالحها، وقائماً بتدبير أمورها[(٢)].

رابعاً: حرصه على ذرية صالحة تخلفه في دعوته:

قال تعالى: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَاءِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ [مريم٥ - ٦].

فقد علّم الله تعالى: زكريا علماً ورثه من أجداده الأنبياء، وأراد أن يرزقه الله بالولد كي يرث هذا العلم وينشره للناس، فقد «سأله نسلاً يورِّثه علمَه، لا من يورِّثه مالَه، فأعراض الدنيا أهون عند الأنبياء من أن يشفقوا عليها!»[(٣)].

فزكريا «خاف أن لا يقوم أحد بعده مقامه في الدعوة إلى الله والنصح لعباد الله، وأن يكون في وقته فرداً ولا يخلف من يشفعه ويعينه»[(٤)].

«فيطلب الولي الصالح، الذي يحسن الوراثة، ويحسن القيام على تراثه وتراث النبوة من آبائه وأجداده، لأنه يخشى من بعده. يخشاهم ألا يقوموا على تراثه بما يرضاه. وتراثه هو دعوته التي يقوم عليها، وأهله الذين يرعاهم. وماله الذي يحسن تدبيره وإنفاقه في وجهه. وهو يخشى الموالي من ورائه على هذا التراث كله، ويخشى

(١) تفسير القرآن العظيم ٢/ ٣٦.
(٢) محاسن التأويل ٢/ ٣١٢.
(٣) الذريعة إلى مكارم الشريعة للراغب الأصفهاني ص١٧٩.
(٤) تيسير الكريم الرحمن ص٥٣٠.

ألا يسيروا فيه سيرته»[١] وهذا الحرص من زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ يشير للهم الدعوي الذي غرسه الله تعالى: في قلبه.

وهنا استجاب الله دعاءه ورزقه بيحيى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وكان من أول التوجيهات التي تلقاها يحيى من الله تعالى: كان توجيهاً للعلم والتعلم والجد فيه، ليرضي ربه ووالده وتستمر دعوته، فقال تعالى: ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ [مريم١٢] فقد أمر الله تعالى: يحيى من صغره أن يحرص ويجتهد في طلب العلم وأن يأخذه بقوة.

المطلب الخامس

الدروس المستفادة من دعوة زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ

١- أهمية الدعاء واللجوء إلى الله تعالى، وعدم اليأس أو القنوط من رحمة الله، فالله تعالى لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء.

٢- الذرية الطيبة لزكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ من ثمرات دعوته ودعاءه لله تعالى، فها هي زوجه قد أصلحها الله، وها هو ابنه وولده قد جعله الله نبياً من الصالحين[٢].

٣- الدعاء هو العبادة، وهو أكثر ما يميز الله به عباده بعضهم عن بعض، فكثير الدعاء معروف لأهل السماء، أقرب لإجابة الدعاء، قلبه معلق بخالق الأرض والسماء، فتجده مطمئن القلب، هادئ البال، طاهر السريرة، نازلةٌ عليه السكينة، وهذا من آكد ما يكون للدعاة إلى الله على وجه الخصوص.

٤- الذرية الصالحة من أهم أسباب إعانة العبد على طاعة الله عَزَّوَجَلَّ، وعلى الدعوة

(١) تيسير الكريم الرحمن ص٥٣٠.
(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٤/ ٧٧.

إلى الله تعالى، فتكون بمثابة الدافع والمعين بعد الله تعالى على دعوته ورسالته في تبليغ دين الله تعالى إلى الناس.

٥- العمل الصالح، والوفاء، وإكرام أهل الله تعالى، وأهل عبادته، جزاء ذلك كله يكون بالمثل، فلما تكفّل زكريا عليه السلام بمريم، وأنبتها وقام على شؤونها، كان جزاء ذلك أن وهبه الله نبياً صالحاً وهو يحيى عليه السلام وجعل فيه من الصلاح والسؤدد والحكمة ما يثلج صدر أبيه زكريا عليه السلام.

٦- محل إجابة الدعوات، وتفريج الكربات، وتنفيذ الرغبات، هي محاريب الصلوات، فهي محل نزول الرحمات، من رب الأرض والسماوات، لذا ينبغي لكل مسلم - فضلاً عن داعيه -، أن يكون هذا هو ملاذه، ومستقرُّه ومئآله إن استطاع إل ذلك سبيلاً.

٧- الله قادر على كل شيء وأنه سبحانه لا يعجزه شيء، فقد أكرم الله زكريا بما خرق به العادة أن وهب له الولد رغم كبره وعقم زوجته، «فكما أنه تعالى قدر وجود الأولاد بالأسباب التي منها التناسل، فإذا أراد أن يوجدهم من غير ما سبب فعل، لأنه لا يستعصي عليه شيء»[(١)]، فالله تعالى لا يحتاج إلى سبب بل الله يَفْعَلُ ما يَشاءُ لا يعجزه شيء ولا يتعاظمه أمر.

٨- من سارع في الخيرات سارع الله له في استجابة دعائه، فقد وصفه الله من الذين يسارعون في الخيرات.

٩- المؤهلات المطلوبة لإجابة الدعاء وتحصيل ولاية الله، هي في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا

(١) تيسير الكريم الرحمن ص١٢٩.

﴿خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

١٠- "امتن الله سبحانه على زكريا حيث قال: ﴿وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓ﴾ [الأنبياء: ٩٠] قال بعض العلماء: ينبغي للرجل أن يجتهد إلى الله في إصلاح زوجته»[١].

١١- كان أبو بكر الصديق يقول في خطبه: أما بعد: «فإني أوصيكم بتقوى الله، وأن تثنوا عليه بما هو أهله، وأن تخلطوا الرغبة بالرهبة، وتجمعوا الإلحاف بالمسألة؛ فإن الله ﷻ أثنى على زكريا وأهل بيته، فقال: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠]»[٢]. فالمنهج الحق للمؤمن الموفق في عباداته، بل في حياته أن يكون بين الخوف والرجاء، فلا يطغى أحدهما على الآخر، وهذا هو هدي الأنبياء وسلف الأمة.

---

(١) مجموع الفتاوى ٢٥/ ٣٢٤.

(٢) مصنف ابن أبي شيبة ٧/ ٩١ (٣٤٤٣١)، والمستدرك على الصحيحين ٢/ ٤١٥ (٣٤٤٧)، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد.

المبحث السادس

دعوة يحيى عليه السلام

المطلب الأول التعريف بيحيى عليه السلام وقومه.

المطلب الثاني الصفات الدعوية ليحيى عليه السلام.

المطلب الثالث أسس دعوة يحيى عليه السلام.

المطلب الرابع وسائل وأساليب دعوة يحيى عليه السلام.

المطلب الخامس الدروس المستفادة من دعوة يحيى عليه السلام.

المطلب الأول
التعريف بيحيى عَلَيْهِ السَّلَامُ وقومه

هو يحيى بن زكريا النبي عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وُلد يحيى عَلَيْهِ السَّلَامُ قبل ميلاد المسيح بستة أشهر، يقول كعب الأحبار: كان يحيى حسن الصورة والوجه، لين الجناح، قليل الشعر، قصير الأصابع، طويل الأنف، مقرون الحاجبين، رقيق الصوت، كثير العبادة، قوياً في طاعة الله تعالى(١)، فقيل: إن أتراب يحيى -أي أقرانه - قالوا له وهو صغير: اذهب معنا نلعب، قال لهم: ما للعب خلقت(٢).

وكان يعظ الناس، ويقف لهم في أعيادهم، ومجامعهم، ويدعوهم إلى الله تعالى، يقول تعالى: ﴿يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا﴾ [مريم: ١٢](٣).

قال ابن حجر: «وقد قُتل يحيى عَلَيْهِ السَّلَامُ بسبب امرأة أراد ملكهم أن يتزوجها، فقال له يحيى: إنها لا تحل لك، لكونها ابنة امرأته. فتوصّلت إلى الملك حتى قتل يحيى، قال ابن إسحاق: كان ذلك قبل أن يرفع عيسى، وروى أصل هذه القصة الحاكم في المستدرك من حديث عبد الله بن الزبير، وروى أيضاً من حديث بن عباس أن دم يحيى كان يفور حتى قتل عليه بختنصر من بني إسرائيل سبعين ألفاً، فَسَكَن»(٤).

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ٢/ ٦٤٧ (٤١٥٠).

(٢) أخرجه أحمد في الزهد ص٩٠، وعبد الرزاق في تفسيره ٢/ ٦ (١٧٤٣)، والطبري في جامع البيان ٨/ ٣١٥ (٢٣٥٤٨)، وزاد السيوطي في الدر ٥/ ٤٨٥ لابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) ينظر: تهذيب الأسماء واللغات للنووي ٢/ ١٥٣.

(٤) ذكر القصتين ابن حجر في فتح الباري ٦/ ٤٦٨-٤٦٩.

المطلب الثاني
الصفات الدعوية ليحيى عليه السلام

◆ **أولاً: أنه سيداً وحصوراً:**

قال تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [آل عمران: ٣٩]، أي: أن الله يبشرك يا زكريا بيحيى ابناً لك، ﴿مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾، يعني: بعيسى ابن مريم، ومعني قوله: ﴿وَسَيِّدًا﴾، أي: وشريفاً في العلم والعبادة، وقوله: ﴿وَحَصُورًا﴾ يعني بذلك: ممتنعاً من جماع النساء[١].

«**أي:** عظيماً عند الله، وعند الخلق لما جبله الله عليه من الأخلاق الحميدة، والعلوم العظيمة، والأعمال الصالحة، أي: ممنوعاً بعصمة الله وحفظه، ووقايته من مواقعة المعاصي؛ فوصفه الله بالتوفيق لجميع الخيرات، والحماية من السيئات والزلات، وهذا غاية كمال العبد[٢].

◆ **ثانياً: أنه نبيٌ من الصالحين:**

قال تعالى: ﴿وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [آل عمران: ٣٩]، فإنه يعني: رسولاً لربه إلى قومه، ينبئهم عنه بأمره ونهيه، وحلاله وحرامه، ويبلغهم عنه ما أرسله به إليهم[٣].

---

(١) جامع البيان ٦/ ٣٧١ - ٣٧٦.

(٢) تيسير اللطيف المنان ص٢٦٦.

(٣) جامع البيان ٦/ ٣٦٠.

ويشهد لهذا قوله تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ [الأنعام: ٨٥].

◆ ثالثاً: أنه لم يكن له من قبل سميّا:

قال تعالى: ﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٧]، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لم يسم أحد يحيى قبله»، وعنه أيضاً أنه قال: «لم تلد العواقر مثله ولداً»، وعن مجاهد قال: سميّاً أي: «مثلاً»، وعن سعيد بن جبير قال: «شبيهاً»[(١)].

◆ رابعاً: أخذ الكتاب بقوة:

قال تعالى: ﴿يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ ۖ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ [مريم: ١٢].

قال ابن سعدي: «أمره الله أن يأخذ الكتاب بقوة، أي: بجد واجتهاد، وذلك بالاجتهاد في حفظ ألفاظه، وفهم معانيه، والعمل بأوامره ونواهيه، هذا تمام أخذ الكتاب بقوة، فامتثل أمر ربه»[(٢)].

فقد نودي ليحمل العبء وينهض بالأمانة في قوة وعزم، لا يضعف ولا يتهاون ولا يتراجع عن تكاليف الوراثة.

◆ خامساً: آتاه الله الحكم صبياً:

قال تعالى: ﴿يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ ۖ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ [مريم: ١٢]، أي النبوة، وهذا قول أكثر المفسرين، وقال قتادة: أعطى النبوة وهو ابن ثلاث سنين، وقيل: المراد من الحكم هو العلم، فقرأ التوراة، وهو صغير.

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ٧/ ٢٣٩٩.

(٢) تيسير الكريم الرحمن ص ٤٩٠.

وعن بعض السلف قال: من قرأ القرآن قبل أن يبلغ، فهو ممن أوتي الحكم صبياً، وفي الآية قول ثالث رواه أبو وائل: وهو أن يحيى قيل له وهو صغير: تعال نلعب، فقال: «ما للعب خلقت»، فهو معنى قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا﴾[1].

«**قال المفسرون:** أعطي يحيى العلم بكتاب الله في حال صباه»[2]، أي: «أي فهم التوراة والعلم والاجتهاد في الخير»[3].

قال معمر بن راشد: «بلغني أن الصبيان قالوا ليحيى بن زكريا: اذهب بنا نلعب، قال: ما للعب خلقت! اللعب ليس محرماً على الإطلاق؛ لكن من نعم الله على العبد أن يدرك علة خلقه مبكِّراً»[4].

◆ **سادساً: أنه رَضيٌّ:**

قال تعالى: ﴿وَٱجۡعَلۡهُ رَبِّ رَضِيّٗا﴾ [مريم٦] أي: لا جباراً ولا غليظاً، ولا متبطراً ولا طموعاً، فالرضي الذي يرضى ويُرضي. وينشر ظلال الرضا فيما حوله ومن حوله.

«**أي:** عبداً صالحاً ترضاه وتحببه إلى عبادك، مرضيّاً عند الله وعند خلقه، وهذا أفضل ما يكون من الأولاد، ومن رحمة الله بعبده؛ أن يرزقه ولداً صالحاً، جامعاً لمكارم الأخلاق ومحامد الشيم»[5].

◆ **سابعاً: الرحمة:**

قال تعالى: ﴿وَحَنَانٗا مِّن لَّدُنَّا﴾ [مريم: ١٣] «قولان؛ أحدهما: تعطف الله ﷻ عليه بالرحمة، والقول الآخر: ما أعطيه من رحمة الناس حتى يخلصهم من الكفر والشرك»[6].

(١) تفسير القرآن للسمعاني ٣/ ٢٨٢، وسبق تخريج الخبر.
(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٦/ ٥٥.
(٣) محاسن التأويل ٧/ ٨٨.
(٤) جامع البيان ١٨/ ١٥٥، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ٧/ ٢٤٠٠، والدر المنثور ٢٢/ ١٠.
(٥) تيسير الكريم الرحمن ٤٨٩.
(٦) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١١/ ٨٧.

آتاه الحنان هبة لدنِّية لا يتكلفه ولا يتعلمه؛ إنما هو مطبوع عليه ومطبوع به، والحنان صفة ضرورية للداعية المكلف برعاية القلوب والنفوس، وتأليفها واجتذابها إلى الخير في رفق.

◆ ثامناً: التزكية:

قال تعالى: ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً﴾ [مريم: ١٣].

أي: «طهر قلبه وتزكى عقله، وذلك يتضمن زوال الأوصاف المذمومة، والأخلاق الرديئة، وزيادة الأخلاق الحسنة، والأوصاف المحمودة»[(١)].

فآتاه الطهارة والعفة ونظافة القلب والطبع؛ يواجه بها أدران القلوب ودنس النفوس، فيطهرها ويزكيها.

◆ تاسعاً: التقوى:

قال تعالى: ﴿وَكَانَ تَقِيًّا﴾ [مريم١٣] أي: موصولاً بالله، متقياً له، مراقباً له، يخشاه ويستشعر رقابته عليه في سره ونجواه، ذلك هو الزاد الذي آتاه الله يحيى في صباه، ليخلف أباه كما توجه إلى ربه وناداه نداء خفياً. فاستجاب له ربه ووهب له غلاماً زكياً.

قال قتادة: إن يحيى عَلَيْهِ السَّلَامُ لم يعص الله قط بصغيرة ولا بكبيرة ولا هم بامرأة، وقال مجاهد: كان طعام يحيى العشب وكان للدمع في خده مجار ثابتة[(٢)].

(١) تيسير الكريم الرحمن ص٤٩٠.

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لا بن عطية ٤/ ٧ – ٨.

◆ عاشراً: برُّه بوالديه:

قال تعالى: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا﴾ [مريم: ١٤]، لما ذكر تعالى: طاعته لربه، وأنه خلقه ذا رحمة وزكاة وتُقى، عطف بذكر طاعته لوالديه وبره بهما، ومجانبته عقوقهما، قولاً وفعلاً وأمراً ونهياً، ولهذا قال: ﴿وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا﴾[١].

«كان براً بوالديه، مسارعاً في طاعتهما ومحبتهما، غير عاق بهما ﴿وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا﴾ أي: لم يكن مستكبراً عن طاعة ربه وطاعة والديه، ولكنه كان لله ولوالديه متواضعاً متذللاً يأتمر لما أمر به، وينتهي عما نهي عنه، لا يعصي ربه، ولا والديه»[٢].

◆ الحادي عشر: التواضع:

أثنى الله على يحيى بقوله: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا﴾ [مريم١٤]، فرباه الله تعالى: «فلم يكن متجبراً متكبراً عن عبادة الله، ولا مترفعاً على عباد الله، ولا على والديه، بل كان متواضعاً، متذللاً مطيعاً، أواباً لله على الدوام، فجمع بين القيام بحق الله، وحق خلقه»[٣].

◆ الثاني عشر: رزقه السلامة والإسلام:

فقد «حصلت له السلامة من الله، في جميع أحواله، مبادئها وعواقبها، قال تعالى: ﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم١٥] وذلك يقتضي سلامته من الشيطان، والشر، والعقاب في هذه الأحوال الثلاثة وما بينها، وأنه سالم من النار

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٥/ ٢١٧.
(٢) جامع البيان ١٨/ ١٦٠.
(٣) تيسير الكريم الرحمن ص٤٩١.

والأهوال، وأنه من أهل دار السلام، فصلوات الله وسلامه عليه وعلى والده وعلى سائر المرسلين، وجعلنا من أتباعهم، إنه جواد كريم»[(١)].

المطلب الثالث
أسس دعوة يحيى عليه السلام

ورد عن النبي ﷺ حديث يعد جامعاً لأسس دعوة يحيى عليه السلام، فعن الحارث الأشعري، أن النبي ﷺ قال: (إن الله أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات أن يعمل بها ويأمر بني إسرائيل أن يعملوا بها، وإنه كاد أن يبطئ بها، فقال عيسى: إن الله أمرك بخمس كلمات لتعمل بها وتأمر بني إسرائيل أن يعملوا بها، فإما أن تأمرهم، وإما أنا آمرهم، فقال يحيى: أخشى إن سبقتني بها أن يخسف بي أو أعذب، فجمع الناس في بيت المقدس، فامتلأ المسجد وقعدوا على الشرف، فقال: إن الله أمرني بخمس كلمات أن أعمل بهن، وآمركم أن تعملوا بهن:

أولهن أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، وإن مثل من أشرك بالله كمثل رجل اشترى عبداً من خالص ماله بذهب أو ورق، فقال: هذه داري وهذا عملي فاعمل وأد إلي، فكان يعمل ويؤدي إلى غير سيده، فأيكم يرضى أن يكون عبده كذلك؟

وإن الله أمركم بالصلاة، فإذا صليتم فلا تلتفتوا فإن الله ينصب وجهه لوجه عبده في صلاته ما لم يلتفت،.

وآمركم بالصيام، فإن مثل ذلك كمثل رجل في عصابة معه صرة فيها مسك، فكلهم يعجب أو يعجبه ريحها، وإن ريح الصائم أطيب عند الله من ريح المسك.

(١) تيسير الكريم الرحمن ص٤٩١.

وآمركم بالصدقة فإن مثل ذلك كمثل رجل أسره العدو، فأوثقوا يده إلى عنقه وقدموه ليضربوا عنقه، فقال: أنا أفديه منكم بالقليل والكثير، ففدى نفسه منهم،.

وآمركم أن تذكروا الله فإن مثل ذلك كمثل رجل خرج العدو في أثره سراعاً حتى إذا أتى على حصن حصين فأحرز نفسه منهم، كذلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر الله)[(١)] الحديث.

وعليه فتكون أسس دعوته عليه السلام إجمالاً:

- عبادة الله وحده وعدم الإشراك به شيئاً.
- الأمر بالصلاة.
- الأمر بالصيام.
- الأمر بالصدقة.
- الأمر بذكر الله تعالى: على جميع الأحول.

المطلب الرابع
وسائل وأساليب دعوة يحيى عليه السلام

أولاً: أسلوب الرفق واللين:

قال تعالى: ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا﴾ [مريم: ١٣ - ١٤]، وفيه إشارة إلى رحمة يحيى عليه السلام بقومه، وكيف كان رفيقاً

(١) جامع الترمذي، باب ما جاء في مثل الصلاة والصيام والصدقة (٢٨٦٣)، وقال هذا حديث حسن صحيح غريب، وأحمد في المسند ٢٨/ ٤٠٤ (١٧١٧٠)، وصححه الألباني والأرنؤوط.

بهم، ليِّنٌ معهم، فلم يكن متجبراً عليهم ولا عصياً لله تعالى فيهم، بل كما ذكرنا كان رحيماً بهم خافضاً لجناحه معهم.

ثانياً: أسلوب ضرب الأمثال:

وقد كان عَلَيْهِ السَّلَامُ يستخدم المثل لتقريب المعنى، ولإيضاح المغزى، من الأوامر والنواهي، كما جاء في حديث الحارث الأشعري السابق ذكره، وجاء فيه **(وإن مثل من أشرك بالله كمثل رجل اشترى عبداً من خالص ماله بذهب أو ورق، فقال: هذه داري وهذا عملي فاعمل وأد إلي، فكان يعمل ويؤدي إلى غير سيده، فأيُّكم يرضى أن يكون عبده كذلك؟)**[1] إلى آخر الحديث.

ثالثاً: أسلوب الأمر المباشر:

كما جاء في الحديث أنه قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: **(إن الله أمرني بخمس كلمات أن أعمل بهن، وآمركم أن تعملوا بهن...)**[2] الحديث.

فأمْرُه لقومه بما أمره الله تعالى: به من هذه الأمور الخمس، هو من أساليبه عَلَيْهِ السَّلَامُ في دعوته لقومه، بأن أخبرهم بما أمره به ربه، ثم ثنَّى عليه هذا الأمر مباشرةً، وكلفهم به وأمرهم بامتثاله هم كذلك.

رابعاً: الخطابة:

فقد كان عَلَيْهِ السَّلَامُ إذا أراد إبلاغ الناس بأمر مهم وعاجل، أخذ يجمع الناس، فيقوم فيهم خطيباً، فيبين لهم ما أمرهم الله تعالى: به، وما نهاهم عنه من أمور دينهم ودنياهم وآخرتهم، كما جاء في الحديث: **(فجمع الناس في بيت المقدس، فامتلأ المسجد**

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

وقعدوا على الشرف، فقال: إن الله أمرني بخمس كلمات أن أعمل بهن، وآمركم أن تعملوا بهن...)[(١)] الحديث.

○ خامساً: الاستعانة بالقوة العلمية والإيمانية لحماية الدعوة:

قال تعالى: ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ [مريم: ١٢]، وهذه الآية تدل بشكل مباشر على القوة في الدين والإيمان، وعلى التمسك بشرائع الإسلام المنزل من عند الله تعالى، فدعوةٌ بلا قوة عليمة وإيمانية، دعوةٌ سهلةُ الاستئصال، قريبة المنال، محدودة المجال، ولذلك أمر الله تعالى: نبيه يحيى عَلَيْهِ السَّلَامُ بأن يأخذ هذا الكتاب وهذه التشريعات، يأخذها بالقوة اللازمة لحفظها ولتمكين الدعاة من نشرها، وحملها للناس دون عوائق وموانع تحول دون هذا الأمر.

المطلب الخامس

الدروس المستفادة من دعوة يحيى عَلَيْهِ السَّلَامُ

١- من أفضل نتائج دعوته عَلَيْهِ السَّلَامُ تخليد الله عَزَّ وَجَلَّ ذكره إلى قيام الساعة، حيث جعله الله أسوةً لمن بعده، في حلمه ورحمته وحكمته، في الدعوة إلى الله.

٢- كان لذكر سيرته عَلَيْهِ السَّلَامُ في القرآن الكريم، وعلى لسان سيدنا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هدف مهم جداً، وهو أن يعلم كل من يقوم على أمر الدعوة إلى الله تعالى، أن له أسلافٌ في هذا الطريق، واجهوا ما واجهوا من الصعاب والعقبات، والامتحانات والاختبارات

---

(١) تقدم تخريجه.

من الله تعالى، ليرفع الله لهم بها درجاتهم، ولمحص بها قلوبهم، فعلى كل داعية أن يضع سِيَر هؤلاء الأنبياء العظماء أمام ناظريه وبين يديه دائماً، فيسهل عليه بحول الله تعالى: كل عسير، وتكون عوناً له على المسير.

٣- من أهم أسباب صلاح الأبناء هو صلاح الآباء، فلما كان زكريا عليه السلام متصفاً بالصلاح الذي وصفه الله تعالى: به، كان نتاج ذلك ابن صالح، ونبي من أنبياء الله تعالى:، وهو يحيى عليه السلام.

٤- على الداعية التنويع في وسائل وأساليب دعوته إلى الله تعالى، فلا يقصر على هيئة أو صورة واحدة يلتزمها، بل يغير ويبدل وينوع، فأفهام الناس مختلفة، وعقولهم متفاوتة، وعلى الداعية استيعاب الجميع بلا استثناء.

٥- المبادرة لامتثال أمر الله تعالى، من أهم ما يميز الداعية الصادق في دعوته، فالتسويف والتأجيل والتأخير عموماً، وفي العمل الدعوي خصوصاً، يفوِّت كثير من المصالح والمحاسن التي قد لا يمكن للداعية تحصيلها بعد ذلك، ولكن المبادرة والمسارعة في تبليغ دين الله تعالى بالقدر اللازم والواجب له، له ثمراته ونتائجه المرضية لله تعالى، والموَفِّية لحق الدعوة إلى الله.

الفصل السادس

أنبياء أشار إليهم القرآن

ويتضمن خمسة مباحث:

المبحث الأول: دعوة إدريس عليه السلام.

المبحث الثاني: دعوة يوشع بن نون عليه السلام.

المبحث الثالث: دعوة ا ذو الكفل عليه السلام.

المبحث الرابع: دعوة إلياس عليه السلام.

المبحث الخامس: دعوة اليسع عليه السلام.

المبحث الأول

دعوة إدريس عليه السلام

المطلب الأول التعريف بإدريس عليه السلام.

المطلب الثاني الصفات الدعوية لإدريس عليه السلام.

المطلب الأول
التعريف بإدريس عَلَيْهِ السَّلَامُ

إدريس عَلَيْهِ السَّلَامُ **هو:** خنوخ بن يرد بن مهلائيل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدَم(١)، وكان أول بني آدم أعطي النبوة بعد آدم وشيث عَلَيْهِمَا السَّلَامُ(٢)، ويذكر عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن إدريس هو إلياس عَلَيْهِ السَّلَامُ(٣).

والصحيح أن الياس غير إدريس؛ لأن الله تعالى ذكره في سورة الأنعام حيث قال: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الأنعام: ٨٤ - ٨٥].

وسواء قلنا إن الضمير في قوله: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ﴾ لنوح أو لإبراهيم عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، فإن إبراهيم من ذرية نوح، ومن كان من ذرية إبراهيم فهو من ذرية نوح لا محالة، وإدريس جد نوح فكيف يكون من ذريته(٤).

وإدريس عَلَيْهِ السَّلَامُ قد مر به النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليلة المعراج وهو بالسماء الرابعة فسلم عليه فقال: **(مرحباً بك من أخ ونبي)**(٥).

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ١/ ٢٣٣.
(٢) البداية والنهاية ١/ ٩٩.
(٣) جامع البيان ٢١/ ١٠٤، وذكره البخاري تعليقاً في ترجمته لباب ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ في كتاب أحاديث الأنبياء.
(٤) فتح الباري ٦/ ٣٧٥، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري القسطلاني ٥/ ٣٣٠.
(٥) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة (٣٢٠٧).

المطلب الثاني
الصفات الدعوية لإدريس عليه السلام

لم تُذكر لنا وقائع تبرز صفات إدريس عليه السلام، إلا أنه عز وجل قد وصفه بـ:

➢ أولاً: الصديقية:

قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيّٗا﴾ [مريم: ٥٦].

فالصديقية وصف جامع للتصديق التام، والعلم الكامل، واليقين الثابت، والعمل الصالح[١]، والصدِّيق هو الذي لازم الصدق في كل قول وفعل وعمل وسلوك[٢].

➢ ثانياً: المنزلة الرفيعة:

قال تعالى: ﴿وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم: ٥٧] أي: رفع الله ذكره في العالمين، ومنزلته بين المقربين، فكان عالي الذكر، عالي المنزلة،[٣] أو المراد السماء الرابعة حيث مر به النبي صلى الله عليه وسلم. وعلى أي المعاني فإن الله رفع من منزلة الدعاة إلى سبيله وأعلى من شأنهم في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [فُصِّلَت: ٣٣].

➢ ثالثاً: الصبر:

قال تعالى: ﴿وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِدۡرِيسَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٥].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ص ٤٩٦.

(٢) إدريس وهود وصالح عليهم السلام، عقيل حسين ص٢١.

(٣) تيسير الكريم الرحمن ص ٤٩٦.

فدل على أنهم وفوا صفة الصبر حقها، وقاموا بها كما ينبغي، والصبر من أهم وأبرز صفات الدعاة إلى الله، فهي سلاحهم في مواجهة أعداء الدعوة ومكائدهم، وبلسم ما يحل بهم من مشاق وأذى في طريق دعوتهم.

رابعاً: الصلاح:

قال تعالى ﴿وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُم مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٦].

فوصف سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بالصلاح كل من سبق من الأنبياء؛ ومنهم إدريس عَلَيْهِ السَّلَامُ، فيشمل ذلك صلاح القلب، بمعرفة الله ومحبته، والإنابة إليه كل وقت، وصلاح اللسان، بأن يكون رطباً من ذكر الله، وصلاح الجوارح، باشتغالها بطاعة الله وكفها عن المعاصي[١].

«**والصالح**: القائم بحقوق الله وحقوق عباده، ولفظ «الصالح» خلاف الفاسد؛ فإذا أطلق فهو الذي أصلح جميع أمره فلم يكن فيه شيء من الفساد؛ فاستوت سريرته وعلانيته وأقواله وأعماله على ما يرضي ربه»[٢] [٣].

(١) تيسير الكريم الرحمن ص ٥٢٩.

(٢) مجموع الفتاوى ٧/ ٥٨.

(٣) ينظر التفصيل في صفات إدريس عَلَيْهِ السَّلَامُ في: إدريس وهود وصالح عَلَيْهِمُ السَّلَامُ لعقيل حسين ص١٩ - ١٣٢.

المبحث الثاني

دعوة يوشع بن نون

لم يصل لنا عن دعوة يوشع بن نون إلا ما ذكره الله تعالى عنه في سورة البقرة، وسنحاول تدبره، وذلك من خلال مطلبين:

المطلب الأول التعريف بيوشع عليه السلام وذكره في القرآن.

المطلب الثاني معالم دعوة يوشع عليه السلام الدعوية.

المطلب الأول
التعريف بيوشع عَلَيْهِ السَّلَامُ وذكره في القرآن

✧ أولاً: التعريف بيوشع عَلَيْهِ السَّلَامُ وقومه:

هو يوشع بن نون بن افراييم بن يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم الصلاة والسلام.

وقيل: أن يوشع هو ذو الكفل ابن أخت موسى وتلميذه الذي سار معه في طلب الخضر وهو الذي افتتح بلقاء مدينة الجبارين بعد موسى وقتل الجبابرة فجنح عليه الليل وقد بقيت منهم بقية فدعا ربه أن يحبس عليه الشمس حتى يفرغ منهم[1].

وقومه هم بنو إسرائيل، نبي نبأه الله بعد النبي موسى، وقيل: أنه نبئ في حياة موسى.

✧ ثانياً: الآيات الواردة في قصة يوشع بن نون:

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ

(١) البدء والتاريخ للمقدسي ٣/ ٩٧.

وَٱلۡجِسۡمِۖ وَٱللَّهُ يُؤۡتِي مُلۡكَهُۥ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ لَهُمۡ نَبِيُّهُمۡ
إِنَّ ءَايَةَ مُلۡكِهِۦٓ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَبَقِيَّةٞ مِّمَّا
تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحۡمِلُهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لَّكُمۡ إِن كُنتُم
مُّؤۡمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلۡجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبۡتَلِيكُم بِنَهَرٖ فَمَن شَرِبَ مِنۡهُ
فَلَيۡسَ مِنِّي وَمَن لَّمۡ يَطۡعَمۡهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ ٱغۡتَرَفَ غُرۡفَةَۢ بِيَدِهِۦۚ فَشَرِبُواْ مِنۡهُ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۚ
فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ قَالُواْ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلۡيَوۡمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦۚ قَالَ
ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةٗ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ
وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا
وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذۡنِ ٱللَّهِ
وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُۗ وَلَوۡلَا
دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّفَسَدَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضۡلٍ عَلَى
ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾ [البقرة: ٢٤٦ - ٢٥١].

المطلب الثاني
معالم دعوة يوشع عليه السلام الدعوية

دعوة الأنبياء تتأسس من العقيدة بتوحيد الله وحده لا شريك له، فكذلك كان نبي الله يوشع، كان على هذا الأساس الأصيل.

من خلال ما ذُكر من الآيات، يمكن استنباط مجموعة من المعالم الدعوية نجملها في النقاط التالية:

✧ أولاً: أهمية وجود قيادة للعمل الدعوي وخصوصاً الجهاد:

ظهر ذلك من قولهم: ﴿ٱبۡعَثۡ لَنَا مَلِكٗا نُّقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ﴾ «فالأمير يحتاج إليه في أمر الجهاد لتدبير أمورهم... قد ذكر أهل علم المعاملة أنه ينبغي في الأسفار أن يجعل أهل السفر لهم أميراً ودليلاً وإماماً. وهذا محمود. إذ بذلك ينقطع الجدال وينتظم أمورهم. ويلزم مثل هذا في كل أمر يحتاج فيه إلى ترداد في الآراء»[(١)].

✧ ثانياً: الأصل عدم تمني لقاء العدو:

وذلك في قول الله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلۡمَلَإِ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰٓ إِذۡ قَالُواْ لِنَبِيّٖ لَّهُمُ ٱبۡعَثۡ لَنَا مَلِكٗا نُّقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ قَالَ هَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُواْ﴾

يقول الإمام البقاعي: «فيه إشعار لهذه الأمة بأن لا تطلب الحرب ابتداء، وإنما تدافع عن منعها من إقامة دينها؛ كما قال سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ﴾ [الحج: ٣٩]، فحق المؤمن أن يأبى الحرب ولا يطلبه فإنه إن طلبه فأوتيه عجز كما عجز هؤلاء حين تولوا إلا قليلاً»[(٢)].

وكان الرسول يُعَلِّمُ أصحابه ويوجِّهُهُم فيقول لهم مربياً: (لاَ تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ، وَسَلُوا اللهَ الْعَافِيَةَ)[(٣)].

---

(١) محاسن التأويل ٢/ ١٨٧.

(٢) نظم الدرر ١/ ٤٧٠.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب كان النبي ﷺ إذا لم يقاتل أول النهار أَخَّر القتال حتى تزول الشمس (٢٨٠٤)، ومسلم، كتاب الجهاد، باب كراهة تمني لقاء العدو والأمر بالصبر عند اللقاء (١٧٤٢).

✧ ثالثاً: عدم الاغترار بحماس المدعوين:

حماسة الأعداد الكبيرة قد تخدع الدعاة لو أخذوا بمظهرها، فيجب أن يضعوها على محك التجربة قبل أن يخوضوا بهم الصعاب.. فقوله تعالى: ﴿هَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُواْۖ﴾ إنها كلمة التأكد، فما يجوز أن تكون كلمات الدعاة وأوامرهم موضع تردد أو عبث أو تراخ.

فالتولي سمة ينبغي للدعاة أن يكونوا منها على حذر، وأن يحسبوا حسابها في الطريق الوعر، كي لا تفاجؤوا بها، فيتعاظموها! فهي متوقعة من الأعداد البشرية التي لم تبلغ تربيتها الإيمانية مبلغاً عالياً من التدريب.. وهي خليقة بأن تصادف الدعوة والدعاة في أي جيل.. فيحسن الانتفاع فيها بتجربة بني إسرائيل.

✧ رابعاً: أهمية تحديد دوافع وأهداف ومقاصد الجهاد:

هذا التحديد منهم لطبيعة القتال، وأنه في ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ يدل على شعورهم بأنهم أهل دين وعقيدة وحق، وأن أعداء هم على ضلالة وكفر وباطل.. وهذا الوضوح وهذا الحسم هو نصف الطريق إلى النصر. فلا بد للمؤمن أن يتضح في حسه أنه على الحق وأن عدوه على الباطل ولا بد أن يتجرد في حسه الهدف.. في سبيل الله.

ولكن بعد التأكد «أنبأ سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ أنهم أسندوا ذلك إلى غضب الأنفس على الإخراج، وإنما يقاتل في سبيل الله من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا»(١).

✧ خامساً: خطورة التولي بعد فرض الجهاد:

فقد قال الله تعالى عنهم: ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقِتَالُ تَوَلَّوۡاْ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۚ وَٱللَّهُ

(١) نظم الدرر ١/ ٤٧٢.

﴿عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: «لما فرض عليهم القتال، ورأوا الحقيقة، ورجعت أفكارهم إلى مباشرة الحرب: ﴿...﴾ أي: اضطربت نياتهم، وفترت عزائمهم. وهذا شأن الأمم المتنعمة، المائلة إلى الدعة؛ تتمنى الحرب أوقات الأنفة، فإذا حضرت الحرب كَعّت وانقادت لطبعها»(١).

وقد ختم الله الآية بقوله: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ فقد «سألوا البلاء وكان من حقهم سؤال العافية، ثم لما أجيبوا إلى ما سألوا أعرضوا عنه فكفوا حيث ينبغي المضاء ومضوا حيث كان ينبغي الكف فعصوا الله الذي أوجبه عليهم، فجمعوا بين عار الإخلاف وفضيحة العصيان وخزي النكوص عن الأقران وقباحة الخذلان للإخوان»(٢).

إن الذي يعرف أنه على الحق، وأن عدوه على الباطل.. ثم يتولى ولا ينهض بتبعة الحق الذي عرفه في وجه الباطل الذي عرفه.. إنما هو من الظالمين المجزيين بظلمهم.. ظالم للحق الذي خذله وهو يعرف أنه الحق، ثم يتخلى عنه للمبطلين!.

✧ سادساً: الحذر من حظوظ النفس:

فقد اعترضوا على طالوت بقولهم: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ﴾ «قال الحراليّ: فثنّوا اعتراضهم بما هو أشد وهو الفخر بما ادعوه من استحقاق الملك على من ملّكه الله عليهم. فكان فيه حظ من فخر إبليس حيث قال حين أمر بالسجود لآدم: ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢]»(٣).

(١) المحرر الوجيز لابن عطية ١/ ٣٣١.
(٢) نظم الدرر ١/ ٤٧٢.
(٣) محاسن التأويل ٢/ ١٨٧.

فقد يصطفي الله من عباده علماء، ودعاة، وعباداً، وفقراء، وتجاراً وملوكاً؛ فلا يكن الداعية حاسداً لأحد منهم.

وليحذر الداعية من التطلع إلى المناصب إرضاءً لنفسه فإنها فتنة وإن ابتلي بها فاستعان بالله عليها.

✧ سابعاً: القيادة في الدين اصطفاء:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰهُ عَلَيۡكُمۡ وَزَادَهُۥ بَسۡطَةٗ فِي ٱلۡعِلۡمِ وَٱلۡجِسۡمِۖ وَٱللَّهُ يُؤۡتِي مُلۡكَهُۥ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ﴾

«فثمرة الآية أن النبوة والإمامة لا تستحق بالإرث وأن الغنى، والصيانة من الحرف الدنيئة؛ لا تشترط في أمير ولا إمام ولا قاضٍ»[1].

والمعنى: «لا تستبعدوا تملكه عليكم لفقره وانحطاط نسبه عنكم؛ لأن ملاك الأمر هو اصطفاء الله تعالى، وقد اصطفاه واختاره، وهو سبحانه أعلم بالمصالح لكم»[2].

«فكبَّر قَدْرَه في باطنه بالعلم وفي ظاهره باشتداد الجسم، وهذا شأنه سبحانه فيما يريد تكميله من خلقه»[3]، ولذا ختم الله الآية بقوله: ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ﴾ «ما اختاره فهو المختار، وليس لأحد معه خيرة، فهو يفعل بما له من السعة في القدرة والعلم ما قد لا تدركه العقول ولا تحتمل وصفه الألباب والفهوم، ويؤتي من ليس له مال من خزائن رزقه ما يشاء»[4].

(١) محاسن التأويل ٢/ ١٨٠.
(٢) روح المعاني ٢/ ٢٦٧.
(٣) الصواعق المرسلة ٤/ ١٣٧٦.
(٤) نظم الدرر ١/ ٤٧٣.

✧ ثامناً: جماع صفات القائد الناجح:

قال تعالى: ﴿وَزَادَهُۥ بَسۡطَةٗ فِي ٱلۡعِلۡمِ وَٱلۡجِسۡمِۖ﴾

قوله: ﴿بَسۡطَةٗ فِي ٱلۡعِلۡمِ عَلَيۡكُمۡ﴾ أي: «الذي به تحصل المكنة في التدبير والنفاذ في كل أمر، وهو يدل على اشتراط العلم في الملك، وفي تقديمه أن الفضائل النفسانية أشرف من الجسمانية وغيرها»[(١)].

«في تقديم البسطة في العلم على البسطة في الجسم إيماء إلى أن الفضائل النفسانية أعلى وأشرف من الفضائل الجسمانية، بل يكاد لا يكون بينهما نسبة لا سيما ضخامة الجسم ولهذا حمل بعضهم البسطة فيه هنا على الجمال أو القوة لا على المقدار كطول القامة»[(٢)].

«فالعمدة وفور العلم ليتمكن به من معرفة الأمور السياسية، وجسامة البدن ليكون أعظم خطراً في القلوب، وأقوى على كفاح الأعداء ومكابدة الحروب»[(٣)].

فطالوت كان «أتم علماً وقامة منكم؛ ومن ههنا ينبغي أن يكون الملك ذا علم، وشكل حسن، وقوة شديدة في بدنه ونفسه»[(٤)].

«**فيشترط في الأمير ونحوه**: القوة على ما تولاه. فيكون سليماً من الآفات، عالماً بما يحتاج إليه، لأن الله تعالى ذكر البسطة في العلم والجسم»[(٥)].

---

(١) نظم الدرر ١/ ٤٧٣.
(٢) روح المعاني ٢/ ٢٦٧.
(٣) روح المعاني ٢/ ٢٦٧.
(٤) تفسير القرآن العظيم ١/ ٢٨٥.
(٥) محاسن التأويل ٢/ ١٨٠.

✧ تاسعاً: مشروعية اختبار الداعية للمتعاونين معه في الدعوة:

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ ۚ فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾

دلت هذه التجربة على أن النية الكامنة وحدها لا تكفي ولا بد من التجربة والتدريب العملي.. لا بد من قوة كامنة تقف أمام القوة الظاهرة الغالبة، وهذه القوة الكامنة لا تكون إلا في الإرادة، الإرادة التي تضبط الشهوات، وتصمد للحرمان والمشاق، وتستعلي على الضرورات والحاجات، وتؤثر الطاعة وتحتمل تكاليفها، فتجتاز الابتلاء بعد الابتلاء..

فكان من الخير ومن الحزم أن ينفصلوا عن الجيش الزاحف، لأنهم بذرة ضعف وخذلان وهزيمة. والجيوش ليست بالعدد الضخم، ولكن بالقلب الصامد، والإرادة الجازمة، والإيمان الثابت المستقيم على الطريق.

✧ عاشراً: أهمية التربية الإيمانية لجلب التأييد الإلهي:

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ أي: «لا عبرة بكثرة العدد إنما العبرة بالتأييد الإلهي، والنصر السماوي، فإذا جاءت الدولة فلا مضرة في القلة والذلة، وإذا جاءت المحنة فلا منفعة في كثرة العدد والعدة»(١).

إن طول التفكير في الله والدار الآخرة يورث الثبات واليقين بالله وبنصره، فالقلب الذي يتصل بالله تتغير موازينه وتصوراته لأنه يرى الواقع الصغير المحدود بعين تمتد وراءه إلى الواقع الكبير، وإلى أصل الأمور كلها وراء الواقع الصغير المحدود.. إنها

---

(١) مفاتيح الغيب ٦/ ٥١٣.

التجربة الحاسمة. تجربة الاعتزاز بقوة أخرى أكبر من قوة الواقع المنظور. وهذه لا يصمد لها إلا من اكتمل إيمانهم، فاتصلت بالله قلوبهم وأصبحت لهم موازين جديدة يستمدونها من واقع إيمانهم.

✧ الحادي عشر: أهمية الصبر والثبات في طريق الدعوة:

﴿وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ «فأعظم جالب لمعونة الله: صبر العبد لله»[١].

ولذلك كان من دعائم: ﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾ وهو تعبير يصور مشهد الصبر فيضاً من الله يفرغه عليهم فيغمرهم، وينسكب عليهم سكينة وطمأنينة واحتمالاً للمشقة.

✧ الثاني عشر: أهمية الدعاء في طريق الدعوة:

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٠].

«فسألوه النصر وذلك بأن يقوي عزائمهم ويشجعهم ويصبرهم ويثبتهم ويلقي في قلوب أعداهم الخور والخوف والرعب فيحصل النصر[٢].

«هذه الآية تدل على أن من حزبه أمر فإنه ينبغي له سؤال المعونة من الله، والتوفيق، والانقطاع إليه تعالى»[٣].

فالدعاء عند الشدائد، وإظهار الافتقار والحاجة لله من أهم أسباب النصر، فهذه النفوس توجه إلى الله لأنها تحس أن ميزان القوى ليس في أيدي الكافرين، إنما هو في

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ص١٠٨.

(٢) شفاء العليل ١/ ٦٤ ١/ ٤١٢.

(٣) محاسن التأويل ٢/ ١٨٣.

يد الله وحده. فطلبت منه النصر، ونالته من اليد التي تملكه وتعطيه.. وهكذا تتغير التصورات والموازين للأمور عند الاتصال بالله حقاً.

فالذي يفرغ الصبر، ويثبت الأقدام، وينصر على أهل الكفر هو الله سبحانه، فلا بد أن تتوجه له القلوب بالدعاء والتضرع.

و (فيه حسن الترتيب؛ حيث طلبوا أولاً: إفراغ الصبر على قلوبهم عند اللقاء، وثانياً: ثبات القدم والقوة على مقاومة العدو؛ حيث إن الصبر قد يحصل لمن لا مقاومة له، وثالثاً: العمدة والمقصود من المحاربة؛ وهو النصرة على الخصم»[(١)].

✧ الثالث عشر: اعتماد الداعية على ربه، وعدم اعتماده على نفسه:

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٠].

«على العاقل المعتقد جهله بالعواقب وشمول قدرة ربه أن لا يثق بنفسه في شيء من الأشياء، ولا يزال يصفها بالعجز وإن ادعت خلاف ذلك، ويتبرأ من حوله وقوته إلى حول مولاه وقوته ولا ينفك يسأله العفو والعافية»[(٢)].

✧ الرابع عشر: النصر والتوفيق من الله وحده:

قال تعالى: ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٥١].

حقيقة لا بد بأن تملأ قلب الداعية بالسلام والطمأنينة واليقين.. إنه عبد الله. اختاره الله لدوره. وهذه منة من الله وفضل. وهو يؤدي هذا الدور المختار، ثم يكرمه

---

(١) روح المعاني ٢/ ١٧٢.

(٢) نظم الدرر ١/ ٤٨٣.

الله – بعد كرامة الاختيار – بفضل الثواب.. ولولا فضل الله ما فعل، ولولا فضل الله ما أثيب.. ويؤكد النص هذه الحقيقة: ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾.. ليعلمها المؤمنون أو ليزدادوا بها علماً، فالدعاة تحت قدرة الله يفعل الله بهم ما يريد، وينفذ بهم ما يختار.. بإذنه.. ليس لهم من الأمر شيء، ولا حول لهم ولا قوة ولكن الله يختارهم لتنفيذ مشيئته، فيكون منهم ما يريده بإذنه، «فلا ينبغي لمن علم ذلك أن يفتر عن ذكره ويرضى بقضائه»[(١)].

✧ الخامس عشر: التأكيد على سنة التدافع بين الحق والباطل:

قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥١].

«أخبر الله تعالى في هذه الآية أنه لولا دفعه بالمؤمنين في صدور الكفرة على مر الدهر ﴿لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾؛ لأن الكفر كان يطبقها ويتمادى في جميع أقطارها، ولكنه تعالى لا يخلي الزمان من قائم بحق، وداع إلى الله ومقاتل عليه، إلى أن جعل ذلك في أمة محمد ﷺ إلى قيام الساعة، له الحمد كثيراً»[(٢)].

فالله تعالى: «يكف من ظلم الظلمة إما بعضهم ببعض أو بالصالحين وقليل ما هم ويسبغ عليهم غير ذلك من أثواب نعمه ظاهرة وباطنة»[(٣)].

---

(١) نظم الدرر ١/ ٤٧٩.
(٢) المحرر الوجيز ١/ ٣٣٧.
(٣) نظم الدرر ١/ ٤٨١.

المبحث الثالث

دعوة ذي الكفل عليه السلام

يمكن إجمال دعوة ذي الكفل عليه السلام في النقاط التالية:

المطلب الأول التعريف بذي الكفل عليه السلام.

المطلب الثاني الصفات الدعوية لذي الكفل عليه السلام.

المطلب الأول

التعريف بذي الكفل عليه السلام

قال ابن كثير: «الظاهر من ذكره في القرآن العظيم بالثناء عليه مقروناً مع هؤلاء السادة الأنبياء أنه نبي عليه من ربه الصلاة والسلام وهذا هو المشهور، وقد زعم آخرون أنه لم يكن نبيّاً وإنما كان رجلاً صالحاً وحكماً مقسطاً عادلاً»(١).

وقال أبو حيان: «قَالَ الْأَكْثَرُونَ: هُوَ نَبِيٌّ»(٢).

وقد استدل الرازي على كون ذي الكفل نبيّاً بأدلة ثلاثة، هي:

"**الأول:** أن ذا الكفل يحتمل أن يكون لقباً، وأن يكون اسماً، والأقرب أن يكون مفيداً؛ لأن الاسم إذا أمكن حمله على ما يفيد، فهو أولى من اللقب. إذا ثبت هذا، فيقال: «الكفل» هو النصيب، قال تعالى: ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾ [الحديد: ٢٨] والظاهر أن الله تعالى إنما سماه بذلك على سبيل التعظيم، فوجب أن يكون ذلك الكفل، هو كفل الثواب، فهو إنما سمي بذلك؛ لأن عمله وثواب عمله، كان ضعف عمل غيره، وضعف ثواب غيره، ولقد كان في زمنه أنبياء، ومن ليس بنبي لا يكون أفضل من الأنبياء.

الثاني: أنه تعالى قرن ذكره بذكر إسماعيل وإدريس، والغرض ذِكْرُ الفضلاء من عباده؛ ليُتأسى بهم، وذلك يدل على نبوته.

الثالث: أن السورة ملقبة بسورة الأنبياء، فكل من ذكره الله تعالى فيها فهو نبي»(٣).

---

(١) البداية والنهاية ١/ ٢٥٩.

(٢) البحر المحيط ٧/ ٤٦٠.

(٣) مفاتيح الغيب ٢٢/ ١٧٧..

وقال القاسمي: في قوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ إِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ وَكُلّٞ مِّنَ ٱلۡأَخۡيَارِ﴾ أي: «بالنبوة والرسالة، للهداية والإصلاح»[١].

وقال السعدي: «أي: واذكر هؤلاء الأنبياء بأحسن الذكر، وأثن عليهم أحسن الثناء، فإن كلاً منهم من الأخيار الذين اختارهم الله من الخلق، واختار لهم أكمل الأحوال، من الأعمال، والأخلاق، والصفات الحميدة، والخصال السديدة»[٢].

والمذكور عن ذي الكفل عليه السلام أنه كان من الصابرين والأخيار، هكذا ذكره ربنا سبحانه في كتابه، ولا نعلم عنه غير ذلك، وليست له قصة تذكر، وما يذكره الإخباريون والمفسرون فكله منقول عن أهل الكتاب؛ فالله أعلم بحقيقة ذلك.

المطلب الثاني

الصفات الدعوية لذي الكفل عليه السلام

قال تعالى: ﴿وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِدۡرِيسَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٥].

وقال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ إِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ وَكُلّٞ مِّنَ ٱلۡأَخۡيَارِ﴾ [ص: ٤٨].

لم يذكر الله تعالى تفاصيل ووقائع تبرز صفات ذي الكفل عليه السلام، إلا أنه عز وجل وصفه بعدة صفات نبرزها فيما يلي[٣]:

(١) محاسن التأويل ٨/ ٢٦٧.

(٢) تيسير الكريم الرحمن ص ٧١٥.

(٣) ينظر التفصيل هذه الصفات في: أيوب وذو الكفل وإلياس واليسع عليهم السلام من وحي القرآن، عقيل حسين: ص٩٧ - ١١٨.

أولاً: تكفل بما عهد إليه، ووفى بكل ما كلف به:

وهذا دليل على قيامه بأمر الدعوة والبلاغ أتم القيام، لأن ذلك هو موضوع رسالته التي كلف بها والقضية التي بعث بها، وكان عَلَيْهِ السَّلَامُ يكفل لكل إنسان بحاجته، فقصده أصحاب الحاجات فسهل بذلك اتصاله بهم ودعوتهم إلى الله تعالى[١].

ثانياً: الصبر:

لقد ذكر الله تعالى ذا الكفل عَلَيْهِ السَّلَامُ بعد أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ الذي ضرب به المثل في الصبر، فألحق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ النظير بالنظير، حيث ذكر مجموعة من الأنبياء ومنهم ذو الكفل عَلَيْهِ السَّلَامُ ووصفهم بالصبر، فقال تعالى: ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٥]. فدل على أنهم وفوا صفة الصبر حقها، وقاموا بها كما ينبغي.

ثالثاً: الصلاح:

قال تعالى: ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٥ - ٨٦]، فوصف سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بالصلاح كل من سبق من الأنبياء ومنهم ذا الكفل عَلَيْهِ السَّلَامُ، ويشمل ذلك صلاح القلب، بمعرفة الله ومحبته، والإنابة إليه كل وقت، وصلاح اللسان، بأن يكون رطباً من ذكر الله، وصلاح الجوارح، باشتغالها بطاعة الله وكفها عن المعاصي.

ثم بصبرهم وصلاحهم، أدخلهم الله برحمته، وجعلهم مع إخوانهم من المرسلين، وأثابهم الثواب العاجل والآجل، ولو لم يكن من ثوابهم، إلا أن الله تعالى نوه بذكرهم في العالمين، وجعل لهم لسان صدق في الآخرين، لكفى بذلك شرفاً وفضلاً[٢].

---

(١) دعوة الرسل عَلَيْهِمُ السَّلَامُ د. أحمد غلوش ص ٢٥٣.

(٢) تيسير الكريم الرحمن ص ٥٢٩، والرّحمة في قوله تعالى: ﴿رَحْمَتِنَا﴾ [الأنبياء: ٨٦] فيها ثلاثة أقوال: =

رابعاً: الخيرية:

قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ إِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ وَكُلّٞ مِّنَ ٱلۡأَخۡيَارِ﴾ [ص: ٤٨].

أي: الذين اختارهم اللّه من الخلق، واختار لهم أكمل الأحوال، من الأعمال، والأخلاق، والصفات الحميدة، والخصال السديدة[١].

وخيرية الرسول تكون لنفسه، وتكون أيضاً للناس فينصحهم ويرشدهم، ويحاول إصلاح أحوالهم ويبصرهم بما يجب عليهم لله تعالى[٢].

= أحدها: أنها الجنة، وقاله ابن عباس.
والثاني: النبوَّة، قاله مقاتل.
والثالث: النّعمة والموالاة. زاد المسير لابن الجوزي: ٣/ ٢٠٨.

(١) تيسير الكريم الرحمن ص ٧١٥.

(٢) دعوة الرسل عليهم السلام د. أحمد غلوش ص٢٥٣.

المبحث الرابع

دعوة إلياس عليه السلام

✧ أولاً: التعرف بإلياس عليه السلام:

قَالَ عُلَمَاء النّسَب هُوَ: إلْيَاس النشبي، وَيُقَال: ابْن ياسين بن فنحَاص بن الْعيزَار بن هَارُون بن عمرَان[1].

وأكثر المفسرين متفقون على أنه نبي من أنبياء بني إسرائيل، وهو إلياس بن ياسين من ولد هارون أخي موسى عليه السلام[2].

كَانَ إرْسَاله إِلَى أهل بعلبك غربي دمشق، فَدَعَاهُمْ إِلَى الله عز وجل وَأَن يترْكُوا عبَادَة صنم لَهُم كَانُوا يسمونه «بعلاً».

✧ ثانياً: دعوته قومه:

ورد فيه قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴿١٢٥﴾ اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصافات: ١٢٣ - ١٣٢].

وقال تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ [الأنعام: ٨٥].

---

(١) قصص الأنبياء لابن كثير ٢/ ٢٤١.

(٢) مفاتيح الغيب ٢٦/ ٣٥٣.

فهنا «يمدح تعالى عبده ورسوله، إلياس عليه السلام، بالنبوة والرسالة، والدعوة إلى الله، وأنه أمر قومه بالتقوى، وعبادة الله وحده، ونهاهم عن عبادتهم، صنماً لهم يقال له «بعل» وتركهم عبادة الله، الذي خلق الخلق، وأحسن خلقهم، ورباهم فأحسن تربيتهم، وأدرَّ عليهم النعم الظاهرة والباطنة، وأنكم كيف تركتم عبادة من هذا شأنه، إلى عبادة صنم، لا يضر، ولا ينفع، ولا يخلق، ولا يرزق، بل لا يأكل ولا يتكلم؟» وهل هذا إلا من أعظم الضلال والسفه والغي؟

﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ فيما دعاهم إليه، فلم ينقادوا له، قال الله متوعداً لهم: ﴿فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ أي يوم القيامة في العذاب، ولم يذكر لهم عقوبة دنيوية. ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ أي: الذين أخلصهم الله، ومنَّ عليهم باتباع نبيهم، فإنهم غير محضرين في العذاب، وإنما لهم من الله جزيل الثواب ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ﴾ أي: على إلياس ﴿فِي الْآخِرِينَ﴾ ثناء حسناً. ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ إِلْ يَاسِينَ﴾ أي: تحية من الله، ومن عباده عليه ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ فأثنى الله عليه كما أثنى على إخوانه صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين»[1].

فقد دعاهم إلى التوحيد، إذ قال لقومه ألا تتقون «أي ألا تخافون الله، وقال الكلبي ألا تخافون عبادة غير الله»[2].

وفي قوله تعالى: ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ﴾ [الصافات: ١٢٥]، «جيء بذكر صفة الله دون اسمه العَلَم تعريضاً بتسفيه عقول الذين عبدوا بَعلاً بأنهم تركوا عبادة الرب المتصف بأحسن الصفات وأكملها وعبدوا صنماً ذاته وخش[3]، فكأنه

(١) قصص الأنبياء لابن كثير ٢/ ٢٤١.

(٢) مفاتيح الغيب ٢٦/ ٣٥٣.

(٣) الوخش: الرديئ من كل شيء.

قال: أتَدْعون صنماً بشعاً جمع عنصري الضعف وهما المخلوقية وقبح الصورة، وتتركون من له صفة الخالقية والصفات الحسنى»(١).

وقال تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [الصافات: ١٢٧ - ١٢٨]، «وذلك لأن قومه ما كذبوه بكليتهم، بل كان فيهم من قبل ذلك التوحيد فلهذا قال تعالى: إلا عباد الله المخلصين يعني الذين أتوا بالتوحيد الخالص فإنهم لا يحضرون»(٢).

«وفي قصة إلياس إنباء بأن الرسول عليه أداء الرسالة، ولا يلزم من ذلك أن يشاهد عقاب المكذِّبين»(٣).

وفيها أن التفكر في المعبود سبباً لهداية القلب، فعندما دعى إلياس قومه إلى عبادة الله الخالق وترك عبادة الصنم المخلوق، تفكر بعض القوم فيما يفعلون فوجدوا أن الفطرة والعقل تأمرهم إلى التوجه لله سبحانه وترك عبادة ما سواه.

---

(١) التحرير والتنوير ٢٣/ ١٦٧.
(٢) مفاتيح الغيب ٢٦/ ٣٥٣.
(٣) التحرير والتنوير ٢٣/ ١٧٠.

المبحث الخامس

دعوة اليسع عَلَيْهِ السَّلَامُ

قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ إِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلۡأَخۡيَارِ﴾ [ص: ٤٨].

وقال سبحانه: ﴿وَإِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطٗاۚ وَكُلّٗا فَضَّلۡنَا عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ٨٦﴾ [الأنعام: ٨٦].

قال ابن كثير: «اليسع وهو الأسباط بن عدي بن شوتلم بن أفراثيم بن يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ. ويقال هو ابن عم إلياس النبي عَلَيْهِمَا السَّلَامُ.

وعن الحسن قال: كان بعد إلياس اليسع عَلَيْهِمَا السَّلَامُ. فأرسله الله إلى نفس قوم إلياس عَلَيْهِ السَّلَامُ وهم أهل بعلبك غربي دمشق، فمكث ما شاء الله أن يمكث يدعوهم إلى الله مستمسكاً بمنهاج إلياس وشريعته حتى قبضه الله عَزَّ وَجَلَّ إليه»[1].

فيظهر لنا والله أعلم أنه كان متمسكاً بمنهج إلياس عَلَيْهِ السَّلَامُ في دعوته من الحكمة والجدال والمناظرة بالعقل والمنطق.

«بعد موت اليسع عَلَيْهِ السَّلَامُ مرج أمر بني إسرائيل وعظمت منهم الخطوب والخطايا وقتلوا من قتلوا من الأنبياء وسلط الله عليهم بدل الأنبياء ملوكاً جبارين يظلمونهم ويسفكون دماءهم وسلط الله عليهم الأعداء من غيرهم أيضاً وكانوا إذا قاتلوا أحداً من الأعداء يكون معهم تابوت الميثاق الذي كان في قبة الزمان كما تقدم ذكره في قصة

(١) البداية والنهاية ٢/ ٦ باختصار.

داوود عليه السلام فكانوا ينصرون ببركته وبما جعل الله فيه من السكينة والبقية مما ترك آل موسى وآل هارون فلما كان في بعض حروبهم مع أهل غزة وعسقلان غلبوهم وقهروهم على أخذه فانتزعوه من أيديهم فلما علم بذلك ملك بني إسرائيل في ذلك الزمان مالت عنقه فمات كمداً وبقي بنو إسرائيل كالغنم بلا راع حتى بعث الله فيهم نبيّاً من الأنبياء يقال له شمويل فطلبوا منه أن يقيم لهم ملكاً ليقاتلوا معه الأعداء فكان من أمرهم ما ذكرناه في قصة داوود عليه السلام الله»(١).

فالاستمساك بحبل الله وكتابه يجلب كل بركة وعز ونصر، والابتعاد عن الشريعة والدين يجلب الهموم والمآسي والهزائم، ويسلب الملك من أصحابه.

وقد وصف الله سبحانه النبي اليسع عليه السلام بصفتين:

١ – **أنه من الأخيار**: وهذا يدل على ما سبق ذكره في الأنبياء قبله، والخيرية تشمل خيرية الصفات، وخيرية الأعمال والأخلاق.

١ – **أنه من الأخيار**: وهذا الاختيار والتفضيل نوعان: اختيار اصطفاء ورفعة من الله عز وجل له.

واختيار مكتسب قام به عمل العبد نفسه، وارتقى به وتزكَّى عند ربه حتى فاق عالمي زمانه في عبادته واعتقاده وأعماله وبرِّه وإحسانه.

---

(١) البداية والنهاية ٢/ ٦.

الفصل السابع

قصص دعوية لأتباع الأنبياء في القرآن

ويتضمن سبعة مباحث:

المبحث الأول: قصة أصحاب الكهف عليه السلام.

المبحث الثاني: قصة الخضر عليه السلام.

المبحث الثالث: قصة ذو القرنين عليه السلام.

المبحث الرابع: قصة لقمان عليه السلام.

المبحث الخامس: قصة مؤمن ياسين عليه السلام.

المبحث السادس: قصة مؤمن آل فرعون عليه السلام.

المبحث السابع: قصة غلام أصحاب الأخدود عليه السلام.

المبحث الأول

قصة أصحاب الكهف

المطلب الأول التعريف بأصحاب الكهف.

المطلب الثاني الفوائد الدعوية من قصة أصحاب الكهف.

المطلب الأول
التعريف بأصحاب الكهف

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: إنهم قوم هربوا من ملكهم حين دعاهم إلى عبادة الأصنام، فمروا براع له كلب يتبعهم على دينهم، فآووا إلى كهف يتعبدون، وكان منهم رجل يبتاع لهم أرزاقهم من المدينة إلى أن جاءهم يوماً فأخبرهم أنهم قد ذكرهم الملك، فتعوذوا بالله من الفتنة، فضرب الله على آذانهم وأمر الملك، فسد عليهم الكهف، وهو يظنهم أيقاظاً، وقد توفى الله أرواحهم، وفاة النوم وكلبهم قد غشيه ما غشيهم[١].

وقيل: كان أصحاب الكهف أبناء ملوك الروم، رزقهم الله الإسلام، فتفردوا بدينهم، واعتزلوا قومهم، حتى انتهوا إلى الكهف، فضرب الله على سمخانهم[٢] فلبثوا دهراً طويلاً، حتى هلكت أمتهم، وجاءت أمة مسلمة، وكان ملكهم مسلماً[٣].

قال وهب: «هم فتية من الروم دخلوا الكهف قبل المسيح، وضرب الله سبحانه على آذانهم فيه، فلما بعث المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ أخبر بخبرهم، ثم بعثهم الله بعد المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ في الفترة بينه وبين النبيّ ﷺ»[٤].

فأصحاب الكهف «فتية وفقهم الله، وألهمهم الإيمان، وعرفوا ربهم، وأنكروا ما عليه قومهم من عبادة الأوثان، وقاموا بين أظهرهم معلنين فيما بينهم عقيدتهم، خائفين

(١) المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ٢/ ١٥١.
(٢) السِّماخ: هو ثقب الأذن الذي يدخل فيه الصوت، انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر ٢/ ٣٩٨.
(٣) تاريخ الرسل والملوك ٢/ ٩.
(٤) المعارف لابن قتيبة الدينوري ١/ ٥٤.

من سطوة قومهم»[١] بين الله تعالى قصتهم في سورة الكهف، قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتَ
أَنَّ أَصْحَابَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟
رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ
سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴿١٢﴾ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ
نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟
فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَٰٓؤُلَآءِ
قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ
ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾ وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ
رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾ ۞ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن
كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ
ٱللَّهِ ۗ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا
وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ۚ لَوِ ٱطَّلَعْتَ
عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟
بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ
فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم
بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ
يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾ وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ
وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ۖ فَقَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا ۖ

(١) تيسير اللطيف المنان ص٢٨٧.

رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِٱلْغَيْبِۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا﴾ الكهف: «٩ - ٢٢».

المطلب الثاني

الفوائد الدعوية من قصة أصحاب الكهف

١- أهمية دراسة ما يفيد من قصص السابقين، وذلك في قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ﴾ [الكهف: ٩]. إشارة إلى أهمية تسجيل قصص السابقين لما فيها من عبرة وعظة، فالرقيم هو اللوح الذي سجلت عليه قصتهم.

٢- «لفت لعقول السائلين عن الاشتغال بعجائب القصص إلى أن الأولى لهم الاتعاظ بما فيها من العِبر والأسباب وآثارها، ولذلك ابتدئ ذكر أحوالهم بقوله: ﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُواْ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ [الكهف: ١٠]»(١).

٣- لفتت القصة النظر إلى الاهتمام بالشباب في دعوتهم وفي توجيههم للدعوة وتربيتهم على مناهجها، فهم عماد الدعوة ومستقبلها قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾.

٤- «ذكر تعالى أنهم فتية، وهم الشباب، وهم أقبل للحق، وأهدى للسبيل من

(١) التحرير والتنوير ١٥/ ٢٥٩.

الشيوخ الذين قد عتوا وانغمسوا في دين الباطل، ولهذا كان أكثر المستجيبين لله تعالى ولرسوله ﷺ شباباً، وأما المشايخ من قريش فعامتهم بقوا على دينهم، ولم يسلم منهم إلا القليل»[(١)].

٥- «أنهم شبان ليسوا بكثيري العدد فليست لهم أسنان استفادوا بها من التجارب والتعلم ما اهتدوا إليه من الدين والدنيا، ولا كثرة حفظوا بها ممن يؤذيهم أيقاظاً ورقوداً»[(٢)].

٦- أهمية لجوء المؤمن لله تعالى في كل أحواله، قال تعالى: ﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ مع أنهم هاجروا وهربوا بدينهم من الكفر وأهله.

٧- أهمية الهجرة في سبيل الحفاظ على الدين، قال تعالى: ﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ «هذه الآية صريحة في الفرار بالدين، وهجرة الأهل والبنين، والقرابات، والأصدقاء، والأوطان، والأموال خوف الفتنة وما يلقاه الإنسان من المحنة، وقد خرج النبي ﷺ فاراً بدينه، وكذلك أصحابه.. وهجروا أوطانهم، وتركوا أرضهم، وديارهم، وأهاليهم، وأولادهم، رجاء السلامة بالدين والنجاة من فتنة الكافرين»[(٣)].

٨- قصة أصحاب الكهف نموذج لإيثار الإيمان على باطل الحياة وزخرفها، والالتجاء إلى رحمة الله في الكهف، هرباً بالعقيدة أن تمس.. تعرض نموذجاً للإيمان

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/ ٧٢.

(٢) نظم الدرر ٤/ ٤٤٨.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ١٣/ ٢١٦.

في النفوس المؤمنة، كيف تطمئن به، وتؤثره على زينة الأرض ومتاعها، وتلجأ به إلى الكهف حين يعز عليها أن تعيش به مع الناس.

٩- أهمية تثبيت الدعاة بعضهم البعض عند البلاء، قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾ وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾﴾ فإن الرفقة الصالحة من أسباب الهداية والثبات على الدين.. خصوصاً عندما يجري بينهم نقاش، وتذكير دائم بهدفهم وغايتهم.

١٠- أهمية أخذ الحيطة والحذر، قال تعالى: ﴿وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾. [الكهف٢٠]. ففي الآية «الحث على التحرز، والاستخفاء، والبعد عن مواقع الفتن في الدين، واستعمال الكتمان في ذلك على الإنسان وعلى إخوانه في الدين»[(١)].

١١- الاحتراز عن الأمور الضارة، وكتمان السر الذي تضر إذاعته ضرراً عامّاً أو خاصّاً، كلُّ ذلك من كمال العقل[(٢)]، فكلما كان المؤمن على حذر من عداوة الكفار؛ كان في مأمن من شرهم..

١٢- التوكل لا ينافي أخذ الأسباب، قال تعالى: ﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا﴾ [الكهف: ١٦] فهؤلاء صحبوا كلبهم ونفقتهم، وأخذوا حذرهم مع توكلهم على الله تعالى.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ص ٤٧٢.

(٢) تيسير الكريم الرحمن ص ١٦٥.

١٣- الحذر من العجب وسؤال الله الثبات على الهداية، قال تعالى: ﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُواْ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ [الكهف: ١٠]. حيث «دخلوا الكهف وطلبوا من الله أن يجعل لهم من ذلك العمل رشداً، مع كونه عملاً صالحاً، فما أكثر ما يقصر الإنسان فيه، أو يرجع على عقبيه، أو يورثه العجب والكبر»[١].

١٤- **لا يكفي القول بل لا بد من العمل**: قال تعالى: ﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا﴾ [الكهف: ١٤]. فالقيام حركة تدل على العزم والثبات.

١٥- طلب الثبات من الله، قال تعالى: ﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ [الكهف: ١٤]. أي: «بالصبر والتثبيت، وقويناهم بنور الإيمان حتى صبروا على هجران دار قومهم، ومفارقة ما كانوا فيه من العز، وخصب العيش، وفروا بدينهم إلى الكهف»[٢].

أي «قويناها بالصبر على المجاهدة. وشجعناهم على محاربة الشيطان والفرار بالدين إلى بعض الغيران. ومخالفة النفس وهجر المألوفات الجسمانية واللذات الحسية والقيام بكلمة التوحيد»[٣]. فقط ربط الله على قلوبهم فإذا هي ثابتة راسخة، مطمئنة إلى الحق الذي عرفت. معتزة بالإيمان الذي اختارت.

١٦- لا يقبل ادعاء إلا بالدليل، قال تعالى: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ [الكهف: ١٥] فهذا

(١) تفسير محمد بن عبد الوهاب ص ٢٤٢.
(٢) معالم التنزيل ٣/ ١٧.
(٣) محاسن التأويل ٧/ ٩.

هو طريق الاعتقاد: أن يكون للإنسان دليل قوي يستند إليه، وبرهان له سلطان على النفوس والعقول. وإلا فهو الكذب الشنيع، لأنه الكذب على الله.

لابد لكل فكرة أو مبدأ من دليل أو برهان، وإلا سقط في أول لقاء وكان ضعيفاً، ولن تقنع أحدا بفكرتك إن لم تؤيدها بالنور الساطع الذي يكشف الغشاوة عن العيون، وينير سبيل الحق.

١٧- ولفظة ﴿يَنشُرۡ﴾ تشير إلى السعة والانفساح. فإذا الكهف فضاء فسيح رحيب وسيع تنتشر فيه الرحمة والرفق واللين والرخاء والارتفاق.. إن هنالك عالماً آخر في جنبات القلب المغمور بالإيمان، المأنوس بالرحمن، عالماً تظلله الرحمة والرفق والاطمئنان والرضوان حمى الله أوسع وأرحب، ولو أوى الإنسان إلى كهف خشن ضيق، فمن ثمرة الإيمان أن أصبح الكهف الذي لا يعد للسكنى منشوراً بالرحمة والتهيئة والارتفاق؛ فاعلم أن الأمر كله لله، وأن الأمور بحقائقها، لا بما يراه أهل الدنيا منها.

١٨- الثقة بالله، قال تعالى: ﴿فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَيُهَيِّئۡ لَكُم مِّنۡ أَمۡرِكُم مِّرۡفَقٗا﴾ [الكهف: ١٦] «وهذا الجزم من آثار الربط على قلوبهم بما علموا من قدرته على كل شيء، وحمايته من لاذ به لجأ إليه وعبده وتوكل عليه، ففعلوا ذلك ففعل الله ما رجوه فيه[١].

١٩- «إن ملكهم لما دعوه إلى الإيمان بالله أبى عليهم وتهددهم وتوعدهم... وأجلهم لينظروا في أمرهم لعلهم يرجعون عن دينهم الذي كانوا عليه... فإنهم في تلك

(١) نظم الدرر ٤/ ٤٥١.

النظرة توصلوا إلى الهرب منه والفرار بدينهم من الفتنة... ففي هذه الحال تشرع العزلة عن الناس، ولا تشرع فيما عداها لما يفوت بها من ترك الجماعات والجمع»[(١)].

٢٠- هم فتية تبين لهم الهدى في وسط ظالم كافر، ولا حياة لهم في هذا الوسط إن هم أعلنوا عقيدتهم وجاهروا بها، وهم لا يطيقون كذلك أن يداروا القوم ويداروهم، ويعبدوا ما يعبدون من الآلهة على سبيل التقية ويخفوا عبادتهم لله. والأرجح أن أمرهم قد كشف. فلا سبيل لهم إلا أن يفروا بدينهم إلى الله.

٢١- «لا سبيل إلى نيل الهداية إلا من الله؛ فهو الهادي، المرشد لمصالح الدارين[(٢)] فاسألها ممن يملكها، واستعذ به من الضلال والغواية

٢٢- فائدة صحبة الأخيار، فقد «شملت كلبَهم بركتُهم، فأصابه ما أصابهم من النوم على تلك الحال. وهذا فائدة صحبة الأخيار، فإنه صار لهذا الكلب ذِكْر وخبر وشأن![(٣)] إذا كان بعض الكلاب قد نال هذه الدرجة العليا بصحبته ومخالطته الصلحاء والأولياء - حتى أخبر الله تعالى بذلك في كتابه -، فما ظنك بالمؤمنين الموحدين، المخالطين المحبين للأولياء والصالحين؟ بل في هذا تسلية وأنس للمقصرين، المحبين للنبي - وآله خير آل[(٤)].

٢٣- تحري الطيبات، وذلك من قوله تعالى: ﴿فَٱبۡعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمۡ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ فَلۡيَنظُرۡ أَيُّهَآ أَزۡكَىٰ طَعَامٗا فَلۡيَأۡتِكُم بِرِزۡقٖ مِّنۡهُ﴾ ففي الآية «جواز أكل

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/ ٧٣.

(٢) تيسير الكريم الرحمن ٤٧٢.

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٥/ ١٤٤.

(٤) الجامع لأحكام القرآن ١٣/ ٢٣٢.

الطيبات والمطاعم اللذيذة إذا لم تخرج إلى حد الإسراف المنهي عنه، وخصوصاً إذا كان الإنسان لا يلائمه إلا ذلك»[١].

٢٤- «مشروعية استجادة الطعام واستطابته بأقصى ما يمكن، لصيغة التفضيل. فإن الغذاء الأزكى المتوفر فيه الشروط الصحية يفيد الجسم ولا يتعبه ولا يكدره. ولذلك يجب طبّاً الاعتناء بجودته وتزكيته، كما فصّل في قوانين الصحة[٢].

٢٥- في قصة أصحاب الكهف تكرر رد العلم إلى الله، قال تعالى: ﴿قَالُواْ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾، ﴿رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ﴾ وقال تعالى: ﴿قُل رَّبِّيٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾، وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُواْ﴾ لأن العبرة هو العلم بثباتهم وتبرؤهم مما عليه قومهم، وأما غيره فالجهل به لا يضر.

٢٦- الأدب فيمن اشتبه عليه العلم أن يرده إلى عالمه، وأن يقف عند حده[٣]، فهو توجيه الإنسان إلى أن يحكم بما يعلم ولا يتعداه، وما لا علم له به فليدع أمره إلى الله.

٢٧- تحقيق الأمور العظيمة يحتاج إلى حكمة وتلطف ورفق وأناة مهما كانت قوة ومنزلة صاحبها.

٢٨- فما يفلح من يرتد عن الإيمان إلى الشرك، وإنها للخسارة الكبرى، قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُواْ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓاْ إِذًا أَبَدًا﴾ [الكهف: ٢٠]، ولذا لم يأمنوا من أنفسهم عند الشدَّةِ الرجوعَ إلى الكُفر![٤].

(١) تيسير الكريم الرحمن ٤٧٣.
(٢) محاسن التأويل ٧/ ١٥.
(٣) تيسير الكريم الرحمن ص ٤٧٣.
(٤) الأمر بالعُزلة في آخر الزمان لابن الوزير اليماني ص٥٥.

٢٩- «اتخاذ المساجد على القبور، والصلاة فيها منهي عنه؛ لأن ذلك ذريعة إلى عبادة صاحب القبر، أو شبيهٌ بفعل من يعبدون صالحي ملتهم»[(١)]، فالعاطفة والحماس في عمل الخير لا يكفيان؛ فلا بد من التقيد بأحكام الشرع؛ فبناء المساجد على القبور محرم.

٣٠- «من فرَّ بدينه من الفتن سلمه الله منها، وأن من حرص على العافية عافاه الله، ومن أوى إلى الله آواه الله وجعله هداية لغيره، ومن تحمل الذل في سبيله وابتغاء مرضاته كان آخر أمره وعاقبته العز العظيم من حيث لا يحتسب»[(٢)].

٣١- لا تجادل إلا فيما عندك فيه علم، هذا منهج الإسلام في صيانة الطاقة العقلية أن تبدد في غير ما يفيد، وفيه وألا يقفو المسلم ما ليس له به علم وثيق.

٣٢- لا تجادل أهل الكتاب في شأن أصحاب الكهف، إلا جدالاً ظاهراً ليناً غير متعمقٍ فيه، وتفويض العلم إلى الله سبحانه، من غير تجهيلٍ لهم، ولا تعنيفٍ بهم، في الرد عليهم[(٣)].

٣٣- في قوله تعالى: ﴿قُل رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا قَلِيلٞ﴾ «إرشادٌ إلى أن الأحسن في مثل هذا المقام رَدُّ العلم إلى الله تعالى؛ إذ لا احتياج إلى الخوض في مثل ذلك بلا علم، لكن إذا اطلعنا على أمرٍ قلنا به، وإلا وقَفْنا»[(٤)].

٣٤- «المنع من استفتاء من لا يصلح للفتوى؛ إما لقصوره في الأمر المستفتى فيه، أو لكونه لا يبالي بما تكلم به، وليس عنده ورع يحجزه... وفي الآية أيضاً دليل على أن الشخص قد يكون منهياً عن استفتائه في شيء دون آخر، فيستفتى فيما هو أهل له، بخلاف غيره؛ لأن الله لم ينه عن استفتائهم مطلقاً، إنما نهى عن استفتائهم في قصة

(١) التحرير والتنوير ١٥/ ٢٩٠.
(٢) تيسير الكريم الرحمن ص٤٧٣.
(٣) محاسن التأويل ٧/ ١٨.
(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/ ٧٧.

أصحاب الكهف، وما أشبهها»[١]. فإذا أردتَ أن تستفتي في شؤون دينك فابحث عن الأصلح في عبادته وعلمه.

٣٥- الإنسان لا ينبغي أن يستفتي من ليس أهلاً للإفتاء، حتى وإن زعم أن عنده علماً فلا تستفته إذا لم يكن أهلاً[٢].

٣٦- قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ﴾ [الكهف: ١٣]، هؤلاء الفتية لما آثروا أصل الإيمان شكر الله تعالى إيمانهم، فزادهم من الهدى المتضمن للعلم النافع والعمل الصالح[٣].

٣٧- كل من يجاهد في ذات الله، توحيداً وإيماناً، لابد وأن يهدى إلى سبل الهداية وشرائع الإيمان، التي تكمل له إيمانه، الذي يعطيه الهمة العالية لنشر دين الله تبارك وتعالى في أقطار الدنيا.

٣٨- كانت لهؤلاء الفتية أعمال قلبية أثمرت ذوق حلاوة الإيمان، من أخصها محبة الله تعالى، وإيثارها على غيرها، حيث أثمر وجدانهم هذا تعريفاً ودعوةً إلى التوحيد، والقيام بواجب الدعوة في ذات الله تعالى.

٣٩- قولهم: ﴿رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أول ما يجب من مطالب الرسل الضرورية - والدعاة من بعدهم -، مطلب التعريف بالله تعالى رباً ومعبوداً وبأسمائه وصفاته، وعلى هذه المعرفة تبنى مطالب الرسالة الأخرى وشرائعها المختلفة.

٤٠- لما بدأ الفتية بواقعهم يصفونه، ويشخصون خطورة الشرك في قومهم، دل ذلك على فقههم بأحوال هذا الواقع، وإدراكهم بحال قومهم، وأن أول ما يجب عليهم هو دعوتهم إلى توحيد الله تعالى.

(١) تيسير الكريم الرحمن ص ٤٧٤.

(٢) تفسير الكهف لابن عثيمين ص٤٤.

(٣) تأملات قرآنية في سورة الكهف - سلسلة مقالات د. فتحي الموصلي منشورة على موقع ملتقى أهل التفسير.

٤١- التجاء الفتية إلى الكهف لم يكن هرباً من الخلق، بل التجاء نصر وتمكين، وهو من باب الإنابة إلى الله تعالى والفرار إليه، فالحفاظ على بيضة الدعوة من أن تستأصل، وعلى التوحيد من أن يندثر مع أهله؛ من أولى أولويات الدعاة إلى الله تعالى.

٤٢- قدمت لنا هذه القصة العجيبة نموذجاً عمليّاً ومثالاً واقعيّاً، لمن منَّ الله تعالى عليهم بالعصمة والنجاة من الفتن، حيث الفهم الصحيح والإيمان الخالص، والثبات واليقين والاستعانة برب العالمين مع الأخذ بالأسباب والتزام الحذر والحيطة[١].

٤٣- أهمية مدارسة العقيدة، وعرضها على العقول تقريراً لها وتذكيراً بها وتوصيةً بالثبات عليها، فضلاً عن تجديد الإيمان وزيادته، وهي من التواصي بالحق، وتثبيته في النفوس، وترسيخه في القلوب[٢].

٤٤- أن قصة أصحاب الكهف وإن كانت عجيبة فليست من أعجب آيات الله، فإن لله آيات عجيبة وقصصاً فيها عبرة للمعتبرين[٣].

٤٥- من أوى إلى الله أواه الله، ولطف به، وجعله سبباً لهداية الضالين؛ فإن الله لطف بهم في هذه القومة الطويلة إبقاء على إيمانهم وأبدانهم من فتنة قومهم وقتلهم، وجعل هذه النومة من آياته التي يستدل بها على كمال قدرة الله، وتنوع إحسانه، وليعلم العباد أن وعد الله حق.

٤٦- الحث على تحصيل العلوم النافعة والمباحثة فيها؛ لأن الله بعثهم لأجل

(١) قصة أصحاب الكهف د. فوزية العقيل، مقال منشور على موقع صيد الفوائد.
(٢) فوائد من قصة أصحاب الكهف د. عبد الله الوشمي، مقال منشور على موقع ملتقى أهل التفسير.
(٣) من هذه وما بعدها تم تلخيصه من تيسير اللطيف المنان ص٢٨٨ وما بعدها.

ذلك، وببحثهم ثم بعلم الناس بحالهم حصل البرهان والعلم بأن وعد الله حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها.

٤٧- جواز أكل الطيبات، والتخير من الأطعمة ما يلائم الإنسان ويوافقه، إذا لم تخرج إلى حد الإسراف المنهي عنه، لقوله: ﴿فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ﴾ [الكهف: ١٩].

٤٨- بيان رغبة هؤلاء الفتية في الدين، وفرارهم من كل فتنة في دينهم، وتركهم لأوطانهم وعوائدهم في الله.

٤٩- قوله: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ [الكهف: ٢١]

فيه دليل على أن هؤلاء القوم الذين بعثوا في زمانهم أناس أهل تدين؛ لأنهم عظموهم هذا التعظيم حتى عزموا على اتخاذ مسجد على كهفهم، وهذا إن كان ممنوعاً -وخصوصاً في شريعتنا- فالمقصود بيان أن ذلك الخوف العظيم من أهل الكهف وقت إيمانهم ودخولهم في الغار أبدلهم الله به بعد ذلك أمناً وتعظيماً من الخلق، وهذه عوائد الله فيمن تحمل المشاق من أجله أن يجعل له العاقبة الحميدة.

٥٠- كثرة البحث وطوله في المسائل التي لا أهمية لها لا ينبغي الانهماك فيه؛ لقوله: ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٢٢].

٥١- عدم سؤال من لا علم له في القضية المسؤول فيها، أو لا يثق به؛ منهِيٌّ عنه لقوله: ﴿وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٢٢].

المبحث الثاني

قصة الخضر

المطلب الأول التعريف بالخضر.

المطلب الثاني قصة الخضر في القرآن.

المطلب الثالث قصة موسى والخضر في السنة.

المطلب الرابع الفوائد الدعوية من قصة الخضر عليه السلام.

المطلب الأول
التعريف بالخضر

اختلف العلماء في اسم الخَضِر عليه السلام ونسبه على أكثر من عشرة أقوال وأشهر أسمائه: بَلْيَا بن مَلْكَان، وكنيته أبو العباس، وهو معروف بلقبه الخضر[(١)].

وسبب تسميته بالخضر ما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**إنما سُمِّيَ الخضرَ؛ أَنَّه جلس على فروة[(٢)] بيضاء، فإذا هي تهتز من خلفه خضراء**)[(٣)].

واختلف العلماء أيضاً في نبوة الخضر، وهل هو نبي أو رسول أو ولي أو ملك، قال القرطبي رحمه الله: «والخضر نبي عند الجمهور، وقيل: هو عبد صالح غير نبي، والآية تشهد بنبوته، لأن بواطن أفعاله لا تكون إلا بوحي، وأيضاً فإن الإنسان لا يتعلم ولا يتبع إلا من فوقه، وليس يجوز أن يكون فوق النبي من ليس بنبي، وقيل: كان ملكاً أمرَ اللهُ موسى أن يأخذ عنه مما حمله من علم الباطن، والأول الصحيح، والله أعلم»[(٤)].

قال الشيخ الشنقيطي رحمة الله تعالى عليه في تفسير قوله تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: ٦٥]:

«وبهذا كله تعلم: أن قتل الخضر للغلام، وخرقه للسفينة وقوله: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ

---

(١) الزهر النضر في حال الخضر، لابن حجر ص ٢٢.

(٢) الأرض اليابسة، وقيل: الهشيم اليابس من النبات. النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير ٣/ ٤٤١.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب حديث الخضر مع موسى عليه السلام (٣٤٠٢).

(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١١/ ١٦، وانظر تفاصيل المسألة في: الزهر النضر في حال الخضر، لابن حجر العسقلاني ص: ٦٦، ويمكن مراجعة بحث قيم بعنوان(الخضر نبي) للشيخ عبد الله بن صديق الغماري، منشور على موقع الألوكة.

أَمْرِى ﴾، دليل ظاهر على نبوته، وعزا الفخر الرازي في تفسيره القول بنبوته للأكثرين، ومما يستأنس به للقول بنبوته تواضع موسى عليه الصلاة والسلام له في قوله: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ [الكهف: ٦٦]، وقوله: ﴿قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا﴾ [الكهف: ٦٩]، مع قول الخضر له: ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا﴾ [الكهف: ٦٨]»(١).

وذهب بعض أهل العلم إلى القول بأنه وليٌّ، ونسبه ابن تيمية للجمهور(٢) لعدم وجود الدليل على نبوته، والنبوة لا تثبت بمجرد الاحتمال فقط، قال الشيخ السعدي: «الخضر وكان عبداً صالحاً لا نبيّاً على الصحيح»(٣)، وقال الشيخ ابن عثيمين: «النصوص تدل على أنه ليس برسول ولا نبي، وإنما هو عبدٌ صالح أولاه الله كرامات ليبين بذلك أن موسى لا يحيط بكل شيءٍ علماً، وأنه يفوته من العلم شيءٌ كثير»(٤).

والخضر هو صاحب موسى عليه السلام الذي قص الله خبرهما في سورة الكهف، وأيضاً جاء ذكر خبره في السنة المطهرة، نعرضها في المطالب التالية.

المطلب الثاني
قصة الخضر في القرآن

الحديث عن الخضر رضي الله عنه؛ هو حديث ولا بد عن قصته مع موسى عليه السلام، قال تعالى:

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾

(١) أضواء البيان ٣/ ٣٢٦.
(٢) المستدرك على الفتاوى ١/ ٩٧ و ١/ ١٤١.
(٣) تيسير الكريم الرحمن (٤٨١).
(٤) تفسير سورة الكهف ص١١٢.

فَلَمَّا بَلَغَا مَجۡمَعَ بَيۡنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلۡبَحۡرِ سَرَبٗا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا
غَدَآءَنَا لَقَدۡ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبٗا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيۡتَ إِذۡ أَوَيۡنَآ إِلَى ٱلصَّخۡرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلۡحُوتَ
وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيۡطَٰنُ أَنۡ أَذۡكُرَهُۥۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلۡبَحۡرِ عَجَبٗا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبۡغِۚ فَٱرۡتَدَّا
عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصٗا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبۡدٗا مِّنۡ عِبَادِنَآ ءَاتَيۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا
عِلۡمٗا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ
صَبۡرٗا ﴿٦٧﴾ وَكَيۡفَ تَصۡبِرُ عَلَىٰ مَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ خُبۡرٗا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرٗا وَلَآ أَعۡصِي
لَكَ أَمۡرٗا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعۡتَنِي فَلَا تَسۡـَٔلۡنِي عَن شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ أُحۡدِثَ لَكَ مِنۡهُ ذِكۡرٗا ﴿٧٠﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا
رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَاۖ قَالَ أَخَرَقۡتَهَا لِتُغۡرِقَ أَهۡلَهَا لَقَدۡ جِئۡتَ شَيۡـًٔا إِمۡرٗا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمۡ أَقُلۡ إِنَّكَ لَن
تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذۡنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرۡهِقۡنِي مِنۡ أَمۡرِي عُسۡرٗا ﴿٧٣﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا
لَقِيَا غُلَٰمٗا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلۡتَ نَفۡسٗا زَكِيَّةَۢ بِغَيۡرِ نَفۡسٖ لَّقَدۡ جِئۡتَ شَيۡـٔٗا نُّكۡرٗا ﴿٧٤﴾ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكَ
إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن سَأَلۡتُكَ عَن شَيۡءِۢ بَعۡدَهَا فَلَا تُصَٰحِبۡنِيۖ قَدۡ بَلَغۡتَ مِن لَّدُنِّي
عُذۡرٗا ﴿٧٦﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهۡلَ قَرۡيَةٍ ٱسۡتَطۡعَمَآ أَهۡلَهَا فَأَبَوۡاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارٗا
يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥۖ قَالَ لَوۡ شِئۡتَ لَتَّخَذۡتَ عَلَيۡهِ أَجۡرٗا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيۡنِي وَبَيۡنِكَۚ سَأُنَبِّئُكَ
بِتَأۡوِيلِ مَا لَمۡ تَسۡتَطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرًا ﴿٧٨﴾ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتۡ لِمَسَٰكِينَ يَعۡمَلُونَ فِي ٱلۡبَحۡرِ فَأَرَدتُّ أَنۡ
أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٞ يَأۡخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصۡبٗا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا ٱلۡغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤۡمِنَيۡنِ فَخَشِينَآ أَن
يُرۡهِقَهُمَا طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدۡنَآ أَن يُبۡدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيۡرٗا مِّنۡهُ زَكَوٰةٗ وَأَقۡرَبَ رُحۡمٗا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا
ٱلۡجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيۡنِ يَتِيمَيۡنِ فِي ٱلۡمَدِينَةِ وَكَانَ تَحۡتَهُۥ كَنزٞ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحٗا فَأَرَادَ رَبُّكَ
أَن يَبۡلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسۡتَخۡرِجَا كَنزَهُمَا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ وَمَا فَعَلۡتُهُۥ عَنۡ أَمۡرِيۚ ذَٰلِكَ تَأۡوِيلُ مَا لَمۡ تَسۡطِع
عَّلَيۡهِ صَبۡرٗا ﴿٨٢﴾ ﴾ [الكهف: ٨٢].

المطلب الثالث
قصة موسى والخضر في السنة

عن أبي بن كعب رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم «أن موسى قام خطيباً في بني إسرائيل، فسُئل: أي الناس أعلم؟ فقال: أنا، فعتب الله عليه إذ لم يَرُدَّ العلمَ إليه، فقال له: بلى، لي عبدٌ بمجمع البحرين[(١)] هو أعلم منك، قال: أي رب، وكيف لي به؟ قال: تأخذ حوتاً فتجعله في مِكْتَل[(٢)]، حيثما فقدت الحوت؛ فهو ثم، وأخذ حوتاً فجعله في مكتل، ثم انطلق هو وفتاه يوشع بن نون[(٣)]، حتى إذا أتيا الصخرة، وضعا رؤسهما، فرقد موسى، واضطرب الحوت فخرج فسقط في البحر، ﴿فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلۡبَحۡرِ سَرَبٗا﴾ [الكهف: ٦١] فأمسك الله عن الحوت جِرْيَةَ الماء فصار مثل الطاق[(٤)]، فانطلقا يمشيان بقية ليلتهما ويومهما، حتى إذا كان من الغد ﴿قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدۡ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبٗا﴾ [الكهف: ٦٢] ولم يجد موسى النَّصَب حتى جاوز حيث أمره الله، قال له فتاه ﴿أَرَءَيۡتَ إِذۡ أَوَيۡنَآ إِلَى ٱلصَّخۡرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلۡحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيۡطَٰنُ أَنۡ أَذۡكُرَهُۥۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلۡبَحۡرِ عَجَبٗا﴾ [الكهف: ٦٣]

---

(١) اختلف في موضع مجمع البحرين على أقوال كثيرة، ولا دليل على أي منها من كتاب ولا سنة، وليس في معرفته فائدة، فالبحث عنه تعب لا طائل تحته، وليس عليه دليل يجب الرجوع إليه. ينظر: أضواء البيان ٣/ ٣٢٢.

(٢) المِكْتَلُ: الزَّبِيلُ - القُفَّةُ - يُحمَل فيه التمر وغيره. ينظر: غريب الحديث لابن الجوزي ٢/ ٣٦٨.

(٣) هو النبي الذي قام في بني إسرائيل بعد موت موسى عليه السلام. فتح الباري لابن حجر ٨/ ٤١٥.

(٤) أي: أمسك الله حالة الجريان في الماء فصار مثل الطاق، وهو عقد البناء؛ وجمعه طيقان وأطواق؛ وهو الأزج، وما عقد أعلاه من البناء وبقي ما تحته خالياً. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر ١/ ٢٦٥، وشرح صحيح مسلم للنووي ١٥/ ١٣٨.

فكان للحوت سَرَباً ولهما عجَباً[١]، قال له موسى: ﴿قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبۡغِۚ فَٱرۡتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصٗا﴾ [الكهف: ٦٤] رجعا يقصان آثارهما حتى انتهيا إلى الصخرة؛ فإذا رجل مُسَجًّى بثوب، فسلم موسى فرد عليه، فقال: وأنى بأرضك السلام[٢]، قال: أنا موسى، قال: موسى بني إسرائيل؟ قال: نعم أتيتك لتعلمني: ﴿مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا﴾ [الكهف: ٦٦] قال: يا موسى، إني على علم من علم الله، علمنيه الله لا تعلمه، وأنت على عِلْمٍ من عِلْمِ الله علَّمَكَه الله لا أعلمه، قال: هل أتبعك؟ ﴿قَالَ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ۝٦٧ وَكَيۡفَ تَصۡبِرُ عَلَىٰ مَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ خُبۡرٗا﴾ [الكهف: ٦٧ - ٦٨]. فانطلقا يمشيان على ساحل البحر، فمرت بهما سفينة، كلموهم أن يحملوهم، فعرفوا الخضر فحملوه بغير نَوْلٍ،[٣] فلما ركبا في السفينة؛ جاء عصفور فوقع على حرف السفينة، فنقر في البحر نقرة أو نقرتين، قال له الخضر: يا موسى ما نقص علمي وعلمُك من علم الله؛ إلا مثل ما نقص هذا العصفور بمنقاره من البحر. إذ أخذ الفأس فنزع لوحاً، قال: فلم يَفْجَأْ موسى إلا وقد قلع لَوْحاً بالقَدُّوم،[٤] فقال له موسى: ما صنعت! قوم حملونا بغير نَوْل؛ عمدت إلى سفينتهم فخرقته ﴿لِتُغۡرِقَ أَهۡلَهَا لَقَدۡ جِئۡتَ شَيۡـًٔا إِمۡرٗا ۝٧١ قَالَ أَلَمۡ أَقُلۡ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ۝٧٢ قَالَ لَا تُؤَاخِذۡنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرۡهِقۡنِي مِنۡ أَمۡرِي عُسۡرٗا﴾ [الكهف: ٧١ - ٧٣]. فكانت الأولى من موسى نسياناً، فلما خرجا من البحر؛ مروا بغلام يلعب مع الصبيان، فأخذ الخضرُ برأسه فقلعه بيده

---

(١) أي فكان لدخول الحوت في الماء مسلكاً (ولهما) أي: لموسى وفتاه (عجبا) فإنه جمد الماء أو صار صخراً. إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، القسطلاني ٥/ ٣٨١.

(٢) كان هذا الاستفهام من الخضر عليه السلام استفهامَ استبعاد؛ يدل على أن أهل تلك الأرض لم يكونوا إذ ذاك مسلمين، فتح الباري لابن حجر ٨/ ٤١٧.

(٣) أي بغير أجر ولا جعل. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر ٥/ ١٢٩.

(٤) اسم للفأس، ينظر: غريب الحديث لابن الجوزي ٢/ ٢٢٦.

هكذا، - وأومأ سفيان بأطراف أصابعه كأنه يقطف شيئاً - فقال له موسى: ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾ مائلاً، أومأ بيده هكذا، وأشار سفيان كأنه يمسح شيئاً إلى فوق، فلم أسمع سفيان يذكر مائلاً؛ إلا مرة، قال: قوم أتيناهم فلم يطعمونا ولم يضيفونا، عمدت إلى حائطهم، ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٧٤ - ٧٨]»

قال النبي ﷺ: (وددنا أن موسى كان صَبرَ فَقَصَّ الله علينا من خبرهما)[١].

المطلب الرابع
الفوائد الدعوية من قصة الخضر عليه السلام

✧ أولاً: الاستزادة من العلم:

حين علم موسى عليه السلام أن الخضر عنده من العلم ما ليس عنده؛ رغب في التعلم منه، ولحرصه على ذلك طلب من الله ﷻ أن يدله علي سبيل الوصول إليه، ولم يمنعه من ذلك كونه رسول الله وكليمه، وفي هذا درس للدعاة أن يتطلعوا دائما إلى المزيد من العلم مهما بلغ شأنهم من العلم فإنه ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥][٢].

قال ابن بطال «وفيه أنه يجب على العالم الرغبة في التزيد من العلم، والحرص

(١) صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب حديث الخضر مع موسى عليه السلام (٣٤٠١).
(٢) المستفاد من قصص الأنبياء للدعوة والدعاة د. عبد الكريم زيدان ١/ ٣٩٤.

عليه، ولا يقنع بما عنده، كما فعل موسى ولم يكتف بعلمه»[١].

وقد قال الله تعالى لنبينا ﷺ: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤].

فقد «اشتملت القصة على فضيلة العلم وشرفه، ومشروعية الرحلة في طلبه، وأنه أهم الأمور؛ فإن موسى رحل في طلبه مسافة طويلة، ولقي في ذلك النصب، وترك الإقامة عند بني إسرائيل لتعليمهم وإرشادهم، واختار السفر لزيادة العلم على ذلك.. والبداءة في العلم بالأهم فالأهم، فإن زيادة علم الإنسان بنفسه أهم من ترك ذلك اشتغالاً بالتعليم فقط، بل يتعلم ليعلم»[٢].

✧ ثانياً: هدف طلب العلم تحصيل الرشد:

إن موسى عليه السلام حين قال: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ [الكهف: ٦٦] فإنه قد كشف بقوله: ﴿رُشْدًا﴾ عن هدفه من طلب العلم، إنه يريد أن يتعلم العلم النافع الصحيح الذي يُوجِد عنده الرشد؛ ويجعله يتعامل مع الناس برشد؛ ويعيش بينهم برشد. فلا يطلب العلم كغاية؛ بل وسيلة لتحصيل غاية سامية، ولا يطلب العلم الموصل للشرور والصفات السيئة، ولا يطلب العلم التافه الذي لا يسمن ولا يغني من جهل.

فالعلم النافع هو الذي يوصل إلى الرشد؛ فيكون شجرة طيبة مباركة؛ تثمر الثمار الطيبة؛ وتقود إلى العمل وحسن التصرف[٣].

---

(١) شرح صحيح البخاري لابن بطال ١/ ١٦٠.

(٢) تيسير اللطيف المنان ص٢٥٤.

(٣) مع قصص السابقين في القرآن د. صلاح الخالدي ٢/ ٤٢٧.

✧ ثالثاً: أهمية الرحلة في طلب العلم:

في سبيل تحصيل العلم رحل موسى عليه السلام إلى الخضر، وفي هذا درس للدعاة في أنه عليهم الحرص على العلم؛ ولو كان في ذلك ترك ديارهم وأهليهم والرحلة إليه، وقد ترجم البخاري رحمه الله لحديث الخضر مع موسى عليه السلام في كتاب العلم بقوله: «بَاب الخروج في طلب العلم»[(١)].

قال ابن بطال رحمه الله: «فيه من الفقه السفرُ والرحلةُ في طلب العلم في البرِّ والبحر، وفيه: حمل الزاد وإعداده في السفر بخلاف قول الصوفية»[(٢)].

✧ رابعاً: الصبر على المشقة في طلب العلم:

الغالب أن تحصيل العلم لا يتم إلا باحتمال المشقة والصبر، فهذا موسى عليه السلام وهو رسول الله وكليمه؛ لم يسلم من المشقة والنصب في سبيل التعلم من الخضر، ﴿قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾ [الكهف: ٦٢]، لذلك فقد قال يحيى بن أبي كثير: «لا يُستطاع العلم براحة الجسم»[(٣)].

قال ابن حجر عند شرحه لهذا الباب: «هذا الباب معقود للترغيب في احتمال المشقة في طلب العلم، لأن ما يغتبط به تتحمل المشقة فيه»[(٤)].

✧ خامساً: أهمية الإخبار بالأمور الشاقة وعدم الكتمان ليحصل الاستعداد:

«المسافر بطلب العلم أو الجهاد أو غيرهما من أسفار الطاعة، بل وكذلك غيرهما

(١) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب الخروج في طلب العلم (٧٨).
(٢) شرح صحيح البخاري، لابن بطال ١/ ١٥٩ - ١٦٠.
(٣) صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب أوقات الصلوات الخمس (١٣٩٠).
(٤) فتح الباري لابن حجر ١/ ٢٠٢.

إذا اقتضت المصلحة الإخبار بمطلبه وأين مراده، فإنه أكمل من كتمه، فإن في إظهاره من فوائد الاستعداد له عدته، وإتيان الأمر على بصيرة، والإعلان بالترغيب لهذه العبادة الفاضلة لقول موسى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا﴾ [الكهف: ٦٠] ولما غزا ﷺ تبوك أخبر الناس بمقصده، مع أنه كان في الغالب إذا أراد غزوة ورى بغيرها تبعاً للمصلحة في الحالتين»[١].

✧ سادساً: جواز الإخبار بما يجده الإنسان من الألم:

ومن الفوائد المتعلقة بهذا الباب جواز الإخبار بما يجده الإنسان من الألم والأمراض والتعب ونحوه وأن ذلك لا يقدح في الرضا، ولا في التسليم للقضاء، ومحل ذلك إذا لم يصدر عن ضجر ولا سخط[٢].

✧ سابعاً: الأدب والتواضع مع العلماء:

قد يحتاج الداعي إلى التعلم من غيره بعضَ ما لا يعلمه، فلا يمنعْه من ذلك ترفعٌ أو تكبر، فإن التواضع مفتاح العلم، وقد رأينا تواضعَ موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ للخضر وطلبَه التعلمَ منه بكل تواضع وأدب: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ [الكهف: ٦٦].

«فأخرج الكلام بصورة الملاطفة والمشاورة، وأنك هل تأذن لي في ذلك أم لا؟ وإقراره بأنه يتعلم منه، بخلاف ما عليه أهل الجفاء والكبر، الذين لا يظهرون للمعلم افتقارهم إلى علمه، بل يدعي أحدهم أنه يتعاون هم وإياه، بل ربما ظن أنه يُعَلِّم معلمه، وهو جاهل، فالتواضع للمعلم، وإظهار الحاجة إلى تعليمه، من أنفع شيء للمتعلم»[٣].

---

(١) تيسير اللطيف المنان ص٢٥٥.

(٢) فتح الباري لابن حجر ٨/ ٤٢٢؛ الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١١/ ١٤.

(٣) تيسير الكريم الرحمن ٤٨٤.

فإن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ - بلا شك - أفضل من الخضر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال ابن حجر: «ولأن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لم يمنعه بلوغه من السيادة المحل الأعلى من طلب العلم وركوب البحر لأجله..» إلى أن قال: «وفي الحديث لزوم التواضع في كل حال، ولهذا حرص موسى على الالتقاء بالخضر، وطلب التعلم منه تعليماً لقومه أن يتأدبوا بأدبه، وتنبيهاً لمن زكى نفسه أن يسلك مسلك التواضع»(١).

قال مجاهد: «لا يتعلم العلم مَسْتَحْيٍ ولا مستكبر»(٢) ومن التواضع في العلم رد العلم إلى الله فإنه قد سبق قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥].

قال ابن بطال: «فيه أنه يجب على حامل العلم لزوم التواضع في علمه، وجميع أحواله، لأن الله تعالى عتب على موسى حين لم يرد العلم إليه، وأراه من هو أعلم منه»(٣).

وكان هذا من الأمور التي حرص الخضر عَلَيْهِ السَّلَامُ على تأكيدها لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ كما سبق حين قال له لما نقر العصفور في البحر نقرة أو نقرتين: (.. **يا موسى ما نقص علمي وعلمُك من علم الله؛ إلا مثل ما نقص هذا العصفور بمنقاره من البحر..**)(٤).

✧ ثامناً: الصبر على العلم وأهمية التنبيه عليه:

«من ليس له صبر على صحبة العَالِم، ولا قوة على الثبات على طريقة التعلم، فإنه قاصر ليس بأهل لتلقي العلم؛ فمن لا صبر له لا يدرك العلم، ومن استعمل الصبر ولازمه أدرك به كل أمر سعى إليه، فإن الخضر اعتذر عن موسى أنه لا يصبر على علمه الخاص.

(١) فتح الباري ١/ ٢٠٢ - ٢٠٤.
(٢) أورده البخاري تعليقاً في ترجمته لباب الحياء في العلم، من كتاب العلم.
(٣) شرح صحيح البخاري، لابن بطال ١/ ١٦٠.
(٤) تقدم تخريجه في الحديث الطويل.

ومما يعين على الصبر على الأشياء إحاطة العبد بها علماً، وبمنافعها وثمراتها ونتائجها، فمن لا يدري هذه الأمور يصعب عليه الصبر لقوله: ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا﴾ [الكهف: ٦٨]»[١].

✧ تاسعاً: العزم على الصبر والطاعة في سبيل تلقي العلم والاستعانة بالله:

﴿قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ «أن من ليس له قوة الصبر على صحبة العالم والعلم، وحسن الثبات على ذلك، أنه يفوته بحسب عدم صبره كثيرٌ من العلم. فمن لا صبر له لا يدرك العلم، ومن استعمل الصبر ولازمه، أدرك به كل أمر سعى فيه، لقول الخضر – يعتذر عن موسى بذكر المانع لموسى في الأخذ عنه – إنه لا يصبر معه»[٢].

مع التنبيه إلى (تعليق إيجاد الأمور المستقبلة على مشيئة الله لقوله: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ [الكهف: ٦٩] وإن العزم على الشيء ليس بمنزلة فعله، فموسى عزم على الصبر، ولكن لم يفعل»[٣].

✧ عاشرا: عدم التسرع في الحكم:

من الأمور التي ينبغي على الدعاة التنبه لها؛ عدمُ التسرع في الحكم على الأمور؛ ولزومُ التثبت والتبصر والتأني قبل الحكم والإقدام على الأشياء،[٤] وهذا من الأمور التي حرص الخضر على تعليمها لموسى عليه السلام، بل كانت شرط قبول مرافقته له في

---

(١) تيسير اللطيف المنان ص٢٥٧.

(٢) تيسير الكريم الرحمن ٤٨٤.

(٣) تيسير اللطيف المنان ص٢٥٧.

(٤) تيسير اللطيف المنان ص ٢٥٧؛ دعوة الرسل عليهم السلام د. أحمد غلوش ص ٣٥٤.

رحلة طلبه للعلم؛ قال تعالى عنه: ﴿قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعۡتَنِي فَلَا تَسۡـَٔلۡنِي عَن شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ أُحۡدِثَ لَكَ مِنۡهُ ذِكۡرٗا﴾ [الكهف: ٧٠].

«وفي ذلك أن المعلم إذا رأى المصلحة في إيعازه للمتعلم أن يترك الابتداء في السؤال عن بعض الأشياء، حتى يكون المعلم هو الذي يوقفه عليها فإن المصلحة تتبع، كما إذا كان فهمه قاصراً، أو نهاه عن السؤال عن دقيق الأشياء التي غيرها أهم منها، أو لا يدركها ذهنه، أو يسأل سؤالاً لا يتعلق بموضع البحث»[(١)].

✧ الحادي عشر: وجوب التأني عند الإنكار في المحتملات:

«فإن الذي فعله الخضر ليس في شيء مما يناقض الشرع، وإن نقض لوح من ألواح السفينة لدفع الظالم عن غصبها ثم إذا تركها أعيد اللوح جائز شرعاً وعقلاً ولكن مبادرة موسى بالإنكار بحسب الظاهر»[(٢)].

✧ الثاني عشر: صبر العالم وتلطفه بالطالب:

قال تعالى: ﴿قَالَ أَلَمۡ أَقُلۡ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا﴾ «فينبغي للعالم أن يأخذ من أخلاق طلابه ومعاملاتهم العَفْو منها، وما سمحت به أنفسهم، ولا ينبغي له أن يكلفهم ما لا يطيقون، أو يشق عليهم ويرهقهم، فإن هذا مدعاة إلى النفور منه والسآمة، بل يأخذ المتيسر ليتيسر له الأمر»[(٣)].

بل ومحاولة إعطائهم عدة فرص والتماس العذر لهم، قال موسى عليه السلام: ﴿قَالَ لَا تُؤَاخِذۡنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرۡهِقۡنِي مِنۡ أَمۡرِي عُسۡرٗا﴾ أي: «لا تعسر علي الأمر واسمح لي، فإن

(١) انظر: مقال بعنوان: موسى بين يدي الخضِر دروس في أدب الطلب للشيخ: خالد السيف، مجلة البيان عدد ٦٢.

(٢) فتح الباري ١/ ٢٦٨.

(٣) تيسير الكريم الرحمن ٤٨٤.

ذلك وقع مني على وجه النسيان فلا تؤاخذني في أول مرة، فجمع بين الإقرار به والعذر منه، وأنه ما ينبغي لك أيُّها الخضر الشدة على صاحبك، فسمح عنه الخضر»[(١)].

✧ الثالث عشر: صلاح الآباء يمتد إلى الأبناء:

لقد بين الخضر لموسى عليه السلام حكمة إقامته للجدار بقوله: ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٨٢].

ففي هذا دليل على أن الرجل الصالح يحفظ في ذريته، وتشمل بركة عبادته لهم في الدنيا والآخرة، فإن ذينك الغلامين حفظاً بصلاح أبيهما، ولم يذكر لهما صلاح، وقد قيل أنه كان الأب السابع لهما[(٢)].

فعلى الداعية أن يستغل هذا المعنى في ترغيبه ووعظه، ويبين أنه من سنن الله في خلقه، وأنها من ربط الأسباب بمسبباتها، ليثير في الناس الرغبة والعزيمة على فعل الصالحات فينتفع بذلك أولادهم، فإن غريزة الآباء حب الخير لأولادهم في الحاضر والمستقبل[(٣)].

✧ الرابع عشر: ضيافة الدعاة والصالحين:

قال تعالى عن الخضر وموسى عليهما السلام: ﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْا۟ أَن يُضَيِّفُوهُمَا﴾ [الكهف: ٧٧]

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ٤٨٤.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٥/ ١٨٧.

(٣) المستفاد من قصص الأنبياء للدعوة والدعاة د. عبد الكريم زيدان ١/ ٣٤٠.

فإن الدعاة إلى الله قد يرحلون عن ديارهم وأهليهم في سبيل تبليغ دعوة ربهم ﷻ، فيضطرهم السفر إلى مكان لا أهل لهم فيه ولا رحل، فهل لهم أن يطلبوا الضيافة؛ وإن عُرضت عليهم فهل لهم أن يقبلوها؟؟.

بين ذلك النبي ﷺ في حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه أنه قال: قلنا يا رسول الله! إنك تبعثنا فننزل بقوم فلا يقروننا، فما ترى؟ فقال لنا رسول الله ﷺ: «إن نزلتم بقوم فأمروا لكم بما ينبغي للضيف؛ فاقبلوا، فإن لم يفعلوا؛ فخذوا منهم حق الضيف الذي ينبغي لهم».[(١) (٢)]

✧ الخامس عشر: الشرع مقدم على العقل:

قال ابن بطال رحمه الله: «وفى قصة الخضر أصل عظيم من أصول الدين، وذلك أن ما تعبَّدَ الله به خلقه من شريعته ودينه، يجب أن يكون حجة على العقول، ولا تكون العقول حجةً عليه، ألا ترى أن إنكار موسى على الخضر خرق السفينة، وقتل الغلام، كان صواباً في الظاهر، وكان موسى غير ملوم في ذلك، فلما بَيَّن الخضر وجه ذلك ومعناه، صار الصواب الذى ظهر لموسى من إنكاره خطأً، وصار الخطأ الذى ظهر لموسى من فعل الخضر صواباً، وهذا حجةٌ قاطعة في أنه يجب التسليم لله في دينه، ولرسوله في سنته وبيانه لكتاب ربه، واتهام العقول إذا قصرت عن إدراك وجه الحكمة

(١) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب إكرام الضيف وخدمته إياه بنفسه (٦١٣٧)، ومسلم، كتاب اللقطة، باب الضيافة ونحوها (٤٥١٦). وقد أجمع المسلمون على الضيافة وأنها من متأكدات الإسلام، ثم قال الشافعي ومالك وأبو حنيفة رحمهم الله تعالى والجمهور: هي سنة ليست بواجبة وقال أحمد هي واجبة يوماً وليلة على أهل البوادي دون المدن. المنهاج شرح صحيح الإمام مسلم بن الحجاج، النووي ١٢/ ٣٠.

(٢) المستفاد من قصص الأنبياء ١/ ٣٧٨، والفوائد العلمية في قصة موسى والخضر، د. حلمي الرشيدي: ص٢١٧.

في شيء من ذلك، فإن ذلك محنة من الله لعباده، واختبار لهم ليتم البلوى عليهم، ولمخالفة هذا ضل أهل البدع حين حكموا عقولهم وَرَدُّوا إليها ما جهلوه من معانى القدر وشبهه، وهذا خطأ منهم، لأن عقول العباد لها نهاية، وعلم الله لا نهاية له، قال الله ﷻ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥][(١)].

✧ السادس عشر: الأدب مع الله:

في قوله تعالى عن الخضر: ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ [الكهف: ٧٩] وقوله: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ [الكهف: ٨٢]

فيه حسن الأدب مع الله؛ وأن لا يضاف إليه ما يستهجن لفظه؛ وإن كان الكل بتقديره وخلقه، لقول الخضر عن خرق السفينة: ﴿فَأَرَدتُّ﴾، وعن إقامة الجدار لحفظ مال اليتامى: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ﴾، ومثل هذا قوله ﷺ في دعائه: **(... والخير بيدك، والشر ليس إليك...)**[(٢)][(٣)].

وكذلك «إضافة الشر وأسبابه إلى الشيطان، وكذلك النقص، لقول فتى موسى: ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ﴾ [الكهف: ٦٣]»[(٤)].

✧ السابع عشر: معية الله وعنايته بخلقه:

إن ما قام به الخضر عليه السلام من خرق للسفينة وإقامة الجدار وقتل الغلام؛ لبرهانٌ جلي على معية الله وإعانته لخلقه ورحمته بهم، فقد حفظ في ذلك حق المساكين

(١) شرح صحيح البخاري لابن بطال ١/ ٢٠٠.
(٢) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه (١٨١٢).
(٣) فتح الباري، لابن حجر ٨/ ٤٢٢.
(٤) فتح الباري، لابن حجر ٨/ ٤٢٢.

واليتامى والصالحين؛ من غير أن يعلم أصحابها بها؛ ولذلك قال تعالى في ختام بيان تعليل أعمال الخضر الثلاثة: ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٨٢]

فعلى العبد ولاسيما الداعية أن يجتهد في عمل الصالحات لاستنزال رحمة الله، والتمتع بمعية الله وعنايته، فتناله البركات والرحمات ويوق الأذى والكربات(١).

ومن مظاهر معية الله وعنايته في قصة الخضر عليه السلام أنه لما سافر إليه موسى عليه السلام لم يجد تعباً ولا نصباً في بادئ الأمر، وأما قوله لفتاه: ﴿ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾ [الكهف: ٦٢] فإنما معناه التعب من هذا السفر المجاوز فقط، وإلا فالسفر الطويل الذي وصلا به إلى مجمع البحرين لم يجدا مس التعب فيه، وهذا من الآيات والعلامات الدالة لموسى على وجود مطلبه(٢) (٣).

✧ الثامن عشر: أن يكون المعلم قدوة للطالب في عمل الخير:

فالأعمال التي عملها الخضر هي عبارة عن أعمال خير وبر ومساعدة للناس. ورُوِيَ أنه «لما أراد موسى أن يفارق الخضر قال له موسى: أوصني. قال: كن نفّاعاً، ولا تكن ضَرَّاراً، كن بشّاشاً، ولا تكن غضّاباً، ارجع عن اللجاجة، ولا تمش في غير حاجة، ولا تعير امرأ بخطيئته، وابك على خطيئتك يا ابن عمران»(٤).

---

(١) دعوة الرسل عليهم السلام، أحمد غلوش ص ٣٥٤؛ قصص السابقين في القرآن، د. صلاح الخالدي ٢/ ٤٤٢.

(٢) تيسير اللطيف المنان ص ٢٥٤.

(٣) لمزيد من الفوائد والدروس من قصة الخضر ينظر: تيسير اللطيف المنان ص ٢٥٤ - ٢٥٩؛ والفوائد العلمية في قصة موسى والخضر د. حلمي الرشيدي ٦٠ - ٢٧١ فقد ذكر ٦١ فائدة؛ منها العقدي والفقهي والدعوي وغير ذلك.

(٤) حلية الأولياء ٨/ ١٤٤، شعب الإيمان للبيهقي ٥/ ٢٩١، والدر المنثور ٩/ ٦٢٣.

✧ التاسع عشر: فوائد أخرى متنوعة:

١ - «استحباب إطعام الإنسان خادمه من مأكله، وأكلهما جميعاً؛ لأن ظاهر قوله: ﴿ءَاتِنَا غَدَآءَنَا﴾ [الكهف: ٦٢] أنه للجميع.

٢- المعونة تنزل على العبد بحسب قيامه بالأمر الشرعي، وأن ما وافق رضا الله يعان عليه ما لا يعان على غيره لقوله: ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾ [الكهف: ٦٢] والإشارة إلى السفر المجاوز لمجمع البحرين، وأما الأول فلم يشتك منه مع طوله.

٣- تواضع الفاضل للتعلم ممن هو دونه، فإن موسى بلا ريب أفضل من الخضر.

٤- تعلم العالم الفاضل للعلم الذي لم يتمهر فيه ممن مهر فيه، وإن كان دونه في العلم درجات؛ فإن موسى من أكابر أولي العزم من الرسل، الذين منحهم الله، وأعطاهم من العلوم ما لم يعط سواهم، ولكن في هذا العلم الخاص كان عند الخضر ما ليس عنده، فلهذا اشتد حرصه على التعلم منه.

٥- أنه يتعين إضافة العلم وغيره من الفضائل إلى فضل الله ورحمته، والاعتراف بذلك، وشكر الله عليه لقوله: ﴿تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ [الكهف: ٦٦].

٦- الناسي غير مؤاخذ، لا في حق الله ولا في حق العباد، إلا إن ترتب على ذلك إتلاف مال، ففيه الضمان حتى على الناسي لقوله تعالى: ﴿لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ﴾ [الكهف: ٧٣].

٧- ينبغي للعبد أن يأخذ من أخلاق الناس ومعاملاتهم العفو منها، وما سمحت به أنفسهم، ولا ينبغي له أن يكلفهم ما لا يطيقون، أو يشق عليهم أو يرهقهم، فإن هذا داع إلى النفور، بل يأخذ المتيسر ليتيسر له الأمر.

٨- الأمور تجري على ظاهرها، وتعلق بها الأحكام الدنيوية في كل شيء، فإن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أنكر على الخضر خرق السفينة، وقتل الغلام بحسب أحكامها العامة، ولم يلتفت إلى الأصل الذي أصَّلاه، هو والخضر، أنه لا يسأله ولا يعترض عليه حتى يكون الخضر هو المبتدئ.

٩- تنبيه على القاعدة المشهورة الكبيرة، وهو أنه يدفع الشر الكبير بارتكاب الشر الخفيف، ويراعى أكبر المصلحتين بتفويت أدناهما؛ فإن قتل الغلام الصغير شر، ولكن بقاءه حتى يبلغ ويفتن أبويه عن دينهما أعظم شراً، وبقاء الغلام من دون قتل وإن كان في ظاهر الحال أنه خير، فالخير ببقاء أبويه على دينهما خير من ذلك، فلذلك قتله الخضر بعدما ألهمه الله الحقيقة، فكان إلهامه الباطني بمنزلة البينات الظاهرة في حق غيره.

١٠- القاعدة الكبيرة الأخرى، وهي: أن عمل الإنسان في مال غيره - إذا كان على وجه المصلحة ودفع المضرة - يجوز بلا إذن، حتى ولو ترتب عليه إتلاف بعض المال، كما خرق الخضر السفينة لتعيب، فتسلم من غصب الملك الظالم، وتحت هاتين القاعدتين من الفوائد ما لا حصر له.

١١- ينبغي للعبد أن لا يفارق صاحبه في حالة من الأحوال ويترك صحبته، بل يفي له بذلك حتى لا يجد للصبر محلاً، وأن موافقة الصاحب لصاحبه في غير الأمور المحذورة مدعاة وسبب لبقاء الصحبة وتأكُّدها، كما أن عدم الموافقة سبب لقطع المرافقة»[١].

---

(١) تيسير اللطيف المنان ص٢٥٥ - ٢٥٧.

المبحث الثالث

قصة ذي القرنين

المطلب الأول التعريف بذي القرنين.

المطلب الثاني قصة ذي القرنين في القرآن.

المطلب الثالث الفوائد الدعوية من قصة ذي القرنين.

المطلب الأول
التعريف بذي القرنين

اسمه: ذو القرنين ولم يصح أثر يدل على أي اسم مما قيل، كالذي قال إنه الاسكندر المقدوني، أو غيره، إنما هو ذو القرنين. ملك صالح.

ذكر ابن كثير في البداية والنهاية من قصته الآتي:

«ذكر الله تعالى ذا القرنين هذا وأثنى عليه بالعدل، وأنه بلغ المشارق والمغارب، وملك الأقاليم وقهر أهلها، وسار فيهم بالمعدلة التامة والسلطان المؤيد المظفر المنصور القاهر المقسط، والصحيح: أنه كان ملكاً من الملوك العادلين.

كان ذو القرنين ملكاً صالحاً، رضي الله عمله، وأثنى عليه في كتابه، وكان منصوراً، وكان الخضر وزيره.

وذُكر أن الخضر رضي الله عنه كان على مقدمة جيشه، وكان عنده بمنزلة المشاور، الذي هو من الملك بمنزلة الوزير في إصلاح الناس اليوم.

واختلفوا في السبب الذي سمي به ذا القرنين فقال: بعض أهل الكتاب: لأنه ملك فارس والروم. وقيل: لأنه بلغ قرني الشمس غرباً وشرقاً. وملك ما بينهما من الأرض وهذا أشبه من غيره وهو قول الزهري.

وقال الزبير بن بكار: حدثني إبراهيم بن المنذر، عن محمد بن الضحاك، عن أبيه، عن سفيان الثوري قال: بلغني أنه ملك الأرض كلها أربعة: مؤمنان وكافران،

فالمؤمنان: سليمان النبي وذو القرنين، والكافران: النمرود وبختنصّر. وهكذا قال سعيد بن بشير: سواء.

وقال إسحاق بن بشر، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة عن الحسن قال: كان ذو القرنين ملك بعد النمرود، وكان من قصته أنه كان رجلاً مسلماً صالحاً أتى المشرق والمغرب، مد الله له في الأجل، ونصره حتى قهر البلاد، واحتوى على الأموال، وفتح المدائن، وجال في البلاد والقلاع، فسار حتى أتى المشرق والمغرب»(١).

المطلب الثاني
قصة ذي القرنين في القرآن

قال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا
لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ
فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا
مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً
ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ
قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ
إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ
وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى
خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ ۖ
حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ

---
(١) البداية والنهاية ٢/ ١٢٢ وما بعدها.

نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي ۖ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ [الكهف: ٨٣ - ٩٨].

«**أي:** ويسألك - أيها الرسول - المشركون واليهود مُمْتَحِنين عن خبر صاحب القرنين، قل: سأتلو عليكم من خبره جزءاً تعتبرون به وتتذكرون.

إنا مَكَّنا له في الأرض، وأعطيناه من كل شيء يتعلق به مطلوبُه طريقاً يتوصل به إلى مراده، فأخذ بما أعطيناه من الوسائل والطرق للتوصل إلى مطلوبه، فاتجه غرباً، وسار في الأرض حتى إذا وصل إلى نهاية الأرض من جهة مغرب الشمس رآها كأنها تغرب في عين حارة ذات طين أسود، ووجد عند مغرب الشمس قوماً كفاراً، قلنا له على سبيل التخيير: يا صاحب القرنين، إما أن تُعَذِّب هؤلاء. بالقتل أو بغيره، وإما أن تُحْسِن إليهم.

قال صاحب القرنين: أما من أشرك بالله وأصرَّ على ذلك بعد دعوتنا له إلى عبادة الله فسنعاقبه بالقتل في الدنيا، ثم يرجع إلى ربه يوم القيامة فيعذبه عذاباً فظيعاً، وأما من آمن منهم بالله وعمل عملاً صالحاً فله الجنة؛ جزاءً من ربه على إيمانه وعمله الصالح، وسنقول له من أمرنا ما فيه رفق ولين.

ثم اتبع طريقاً غير طريقه الأولى متجهاً إلى جهة شروق الشمس، وسار حتى إذا وصل إلى الموضع الذي تطلع عليه الشمس، وجد الشمس تطلع على أقوام لم نجعل لهم من دون الشمس ما يقيهم من البيوت ومن ظلال الأشجار.

كذلك أمْر صاحب القرنين، وقد أحاط علمنا بتفاصيل ما لديه من القوة والسلطان.

ثم اتبع طريقاً غير الطريقين الأولين معترضاً بين المشرق والمغرب، وسار حتى وصل ثغرة بين جبلين فوجد من قِبَلِهما قوماً لا يكادون يفهمون كلام غيرهم.

قالوا: يا ذا القرنين، إن يأجوج ومأجوج - يعنون أمتين عظيمتين من بني آدم - مفسدون في الأرض بما يقومون به من القتل وغيره، فهل نجعل لك مالاً على أن تجعل بيننا وبينهم حاجزاً؟

قال ذو القرنين: ما رزقنيه ربي من الملك والسلطان خير لي مما تعطونني من مال، فأعينوني برجال وآلات أجعل بينكم وبينهم حاجزاً. وأحْضِروا قِطَع الحديد، فأحضروها فطفق يبني بها بين الجبلين، حتى إذا ساواهما ببنائه قال للعمال: أشعلوا النار على هذه القطع، حتى إذا احمرت قطع الحديد قال: أحضروا نحاساً أصبّه عليه، فما استطاع يأجوج ومأجوج أن يعلوَا عليه لارتفاعه، وما استطاعوا أن يثقبوه من أسفله لصلابته.

قال ذو القرنين: هذا السد رحمة من ربي يحول بين يأجوج ومأجوج وبين الإفساد في الأرض، ويمنعهم منه، فإذا جاء الوقت الذي حدده الله لخروجهم قبل قيام الساعة صيره مستوياً بالأرض، وكان وعيد الله بتسويته بالأرض وبخروج يأجوج ومأجوج ثابتاً لا خُلْف فيه»[(١)].

المطلب الثالث

الفوائد الدعوية من قصة ذي القرنين

في قصة ذي القرنين الكثير من الدروس والفوائد الدعوية، التي من أبرزها:

❑ أولاً: مجمل صفات ومميزات ذي القرنين الدعوية:

وقصته في القرآن تعطينا صفات ذي القرنين:

إحداها: أنه كان ملكاً صالحاً عادلاً.

(١) ينظر المختصر في التفسير ص٣٠٢ - ٤٠٤.

الثانية: أنه كان ملهماً من الله.

الثالثة: أن ملكه شمل أقطاراً شاسعة.

الرابعة: أنه بلغ في فتوحه من جهة المغرب مكاناً كان مجهولاً؛ وهو عين حمئة[(١)].

«ومن أمعن النظر فيما قص عنه في هذه الآيات الكريمة، يتضح له جليّا حسن سجاياه وسمو مزاياه، من الشجاعة، وعلوّ الهمة، والعفة، والعدل، ودأبه على توطيد الأمن، وإثابته المحسنين، وتأديبه للظالمين، والإحسان إلى النوع البشريّ»[(٢)].

❑ ثانياً: الاهتمام بالعلم أولا:

قال البقاعي: «لما فرغ من قصة الخضر التي حاصلها أنها طواف في الأرض لطلب العلم، عقبها بقصة من طاف الأرض لطلب الجهاد، وقدم الأولى إشارة إلى علو درجة العلم لأنه أساس كل سعادة، وقوام كل أمر»[(٣)].

❑ ثالثاً: البعد عن الكلام والحشو الكثير الذي لا يفيد الناس:

قال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا﴾ [الكهف: ٨٣]. حيث أجابهم: أنه سيقتصر على ما تمس الحاجة إليه، مما يكون به التذكر والعبرة، دون الخوض في تفاصل لا داعي لها، فهل يعي ذلك كثير من الدعاة والخطباء حيث تجد الحشو الممل والاستطرادات الخارجة عن الموضوع؟.

ولذا جاء بعدها قوله تعالى: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا﴾ [الكهف: ٨٤]. «وهذه الأسباب التي أعطاه الله إياها لم يخبرنا الله ولا رسوله بها، ولم

(١) التحرير والتنوير ١٦/ ٢٠

(٢) محاسن التأويل ٧/ ٦٩.

(٣) نظم الدرر ٤/ ٥٠٠.

تتناقلها الأخبار على وجه يفيد العلم، فلهذا لا يسعنا غير السكوت عنها»[(١)].

فعلى الدعاة أن يسكتوا عما سكت الله عنه، ولا يدخلوا أنفسهم ولا المدعوين في أمور سكت الله عنها؛ لأنه ليس فيها فائدة عملية تصلح دينهم أو دنياهم.

❑ رابعاً: وجوب استخدم المواهب الربانية في مكانها الصحيح:

قوله: ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾ [الكهف: ٨٥]، أي: استعملها على وجهها؛ فليس كل من عنده شيء من الأسباب يسلكه، ولا كل أحد يكون قادراً على السبب، فإذا اجتمع القدرة على السبب الحقيقي والعمل به حصل المقصود، وإن عدما أو أحدهما لم يحصل[(٢)].

❑ خامساً: بذل الجهد في العمل ونفع الخلق والدعوة:

قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ﴾ [الكهف: ٨٦]، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ﴾ [الكهف: ٩٠]، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ﴾ [الكهف: ٩٣].

«الإشارة إلى القيام بالأسباب، والجري وراء سنة الله في الكون من الجد والعمل. وأن على قدر بذل الجهد يكون الفوز والظفر فإن ما قص عن الإسكندر من ضربه في الأرض إلى مغرب الشمس، ومطلعها وشمالها وعدم فتوره ووجدانه اللذة في مواصلة الأسفار وتجشم الأخطار، وركوب الأوعار والبحار، ثم إحرازه ذلك الفخار، الذي لا يشق له غبار، أكبر عبرة لأولي الأبصار»[(٣)].

❑ سادساً: العدل في الثواب والعقاب للترغيب والترهيب:

قال تعالى: ﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ص ٤٨٥.

(٢) تيسير الكريم الرحمن ص ٤٨٥.

(٣) محاسن التأويل ٧/ ٦٧.

﴿ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنۡ أَمۡرِنَا يُسۡرٗا﴾ [الكهف: ٨٧ - ٨٨].

المؤمن الصالح ينبغي أن يجد الكرامة والتيسير والجزاء الحسن عند الحاكم، والمعتدي الظالم يجب أن يلقى العذاب والإيذاء.. عندئذ يجد الناس ما يحفزهم إلى الصلاح والإنتاج.

«ومن قدر على أعدائه وتمكن منهم، فلا ينبغي له أن تسكره لذة السلطة بسوقهم بعصا الإذلال، وتجريعهم غصص الاستعباد والنكال. بل يعامل المحسن بإحسانه والمسيء بقدر إساءته»[(١)].

«وهذا يدل على كونه من الملوك الصالحين، الأولياء العادلين العالمين؛ حيث وافق مرضاة الله في معاملة كل أحد بما يليق بحاله»[(٢)].

والخلاصة أن الحاكم العادل من صفاته: ردع الظالمين عن ظلمهم، والإحسان إلى المستقيمين المقسطين، والعمل على ما يجعلهم يزدادون استقامة.

❑ سابعاً: وجوب الأدب مع الله:

«لما ذكر المشرك بدأ بتعذيبه، ثم ثنى بتعذيب الله، ولما ذكر المؤمن بدأ بثواب الله أولاً، ثم بمعاملته باليسر ثانياً؛ لأن مقصود المؤمن الوصول إلى الجنة، بخلاف الكافر فعذاب الدنيا سابق على عذاب الآخرة»[(٣)].

وكذلك في قوله تعالى: ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيۡرٞ﴾ [الكهف: ٩٥] فلا بد للداعية أن يعترف دائماً بفضل الله تعالى عله مهما بلغ عزه وماله وجاهه خصوصاً عند تجدد النعم.

(١) محاسن التأويل ٧/ ٦٨.
(٢) تيسير الكريم الرحمن ص ٤٨٥.
(٣) تفسير سورة الكهف ابن عثيمين ص ٢٩.

وكذلك في قوله: ﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي﴾ [الكهف: ٩٨]. فقد نظر ذو القرنين إلى العمل الضخم الذي قام به، فلم يأخذه البطر والغرور، ولم تسكره نشوة القوة والعلم، ولكنه ذكر الله فشكره، ورد إليه العمل الصالح الذي وفقه إليه. وتبرأ من قوته إلى قوة الله، وفوض إليه الأمر.

فمن أبرز صفات المؤمنين الصادقين: أنهم ينسبون كل فضل إلى الله - تعالى - وإلى قدرته النافذة، وأنهم يزدادون شكراً وحمداً له - تعالى - كلما زادهم من فضله.

❏ ثامناً: حبس أهل الفساد:

قال تعالى: ﴿قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ [الكهف: ٩٤].

فيه «دليل على اتخاذ السجون، وحبس أهل الفساد فيها، ومنعهم من التصرف لما يريدونه، ولا يتركون على ما هم عليه، بل يحبسون حتى يعلم انكفاف شرهم، ثم يطلقون كما فعل عمر رضي الله عنه»(١).

❏ تاسعاً: واجبات أهل الولاية:

قال تعالى: ﴿قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ [الكهف: ٩٤].

«في هذه الآية دليل على أن الملك فرض عليه أن يقوم بحماية الخلق في حفظ بيضتهم، وسد فرجتهم، وإصلاح ثغورهم من أموالهم التي تفيء عليهم، وحقوقهم التي تجمعها خزانتهم تحت يده ونظره، حتى لو أكلتها الحقوق وأنفذتها المؤن لكان

(١) الجامع لأحكام القرآن ١٣/ ٣٨٤.

عليهم جبر ذلك من أموالهم، وعليه حسن النظر لهم؛ وذلك بثلاثة شروط؛ الأول: ألا يستأثر عليهم بشيء، الثاني: أن يبدأ بأهل الحاجة؛ فيعينهم، الثالث: أن يسوي في العطاء بينهم على قدر منازلهم»[(١)].

«على الملك، إذا اشتكى إليه جور مجاورين، أن يبذل وسعه في الراحة والأمن، دفاعاً عن الوطن العزيز، وصيانة للحرية والتمدن، من مخالب التوحش والخراب، قياماً بفريضة دفع المعتدين وإمضاء العدل بين العالمين. كما لبّى ذو القرنين دعوة الشاكين في بناء السد»[(٢)].

❑ عاشراً: أهمية التعاون في الإصلاح:

﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا﴾ [الكهف: ٩٥ - ٩٧].

فالأمور الكبار تواجه بالتعاون بين الناس: هذا برأيه، وهذا بماله، وهذا بجهده «فمشاطرة الملك العمال في الأعمال ومشارفتهم بنفسه إذا اقتضى الحال، تنشيطاً لهمتهم وتجرئة لهم وترويحاً لقلوبهم»[(٣)].

❑ الحادي عشر: عفة الداعية عن مال المدعوين:

قال تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾ [الكهف: ٩٤ - ٩٥].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ١٣/ ٣٨٤ - ٣٨٥

(٢) محاسن التأويل بتصرف يسير ٧/ ٦٨.

(٣) محاسن التأويل ٧/ ٦٩.

أي: «ما بسطه الله تعالى لي من القدرة والملك خير من خرجكم وأموالكم»(١).

فتأمل عفة نفسه، واستغنائه عما بين أيديهم، مع أنهم الذين عرضوا عليه الأموال بطيبة نفس، ومصلحة العمل لهم، ثم مع ما هو فيه من خير فقد طلب الإعانة البدنية، مما يبين مكانة العمل الجماعي وأثره في نجاح المشاريع الكبيرة مهما كانت إمكانات الفرد الذاتية.

«إن على الملك التعفف عن أموال رعيته، والزهد في أخذ أجرة، في مقابلة عمل يأتيه، ما أغناه الله عنه، ففي ذلك حفظ كرامته وزيادة الشغف بمحبته»(٢).

فمن الأفضل أن يحتسب الانسان العمل الصالح عند الله تعالى وألا يطلب من المحتاج إلى عونه أكثر من طاقته.

❏ الثاني عشر: تذكر الآخرة والتذكير بها:

قال تعالى: ﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي ۖ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ [الكهف: ٩٨].

فذو القرنين لا ينسى وهو في إبان سطوته قدرة الله وجبروته، وأنه راجع إلى الله.

«الإعلام بالدور الأخرويّ، وانقضاء هذا الطور الأوّليّ، لتبقى النفوس طامحة إلى ذلك العالم الباقي والنعيم السرمديّ»(٣).

❏ الثالث عشر: تعريف الناس بثمرة الأعمال المهمة:

قال تعالى: ﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي ۖ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾

(١) الجامع لأحكام القرآن ١٣/ ٣٨٤.
(٢) محاسن التأويل ٧/ ٦٨.
(٣) محاسن التأويل ٧/ ٦٩.

[الكهف: ٩٨]، «فتعريف الغير ثمرة العمل المهم، ليعرفوا قدره فيظهروا شكره»[(١)].

❑ الرابع عشر: ضعف الإنسان وعمله أمام قوة الله تعالى:

قال تعالى: ﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي ۖ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ [الكهف: ٩٨]، مهما بلغت قوة الإنسان وتقدمه في البناء والتشييد فإن الله سبحانه لا يعجزه شيء، فإذا شاء الله في لحظة جعل كل ما وصل إليه الناس من تقدم في البناء والسلاح والتشييد تراباً خاوياً لا يقوم له ساق ولا يرتفع شبراً من الأرض.

كل شيء عظيم له نهاية حتماً، فمهما بلغ ردم يأجوج ومأجوج من قوة إلا أنه سينهدم في آخر الزمان كما أخبرنا الصادق المصدوق ﷺ[(٢)].

---

(١) محاسن التأويل ٧/ ٦٩.

(٢) كما في صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته (٢٩٣٧) وقد جمع الأحاديث كتاب المسند الموضوعي الجامع للكتب العشرة ٣/ ٣٠٣-٣٠٦، وغيره.

المبحث الرابع

قصة لقمان عليه السلام

المطلب الأول التعريف بلقمان الحكيم.

المطلب الثاني معالم دعوية من خلال وصايا لقمان لابنه.

المطلب الأول
التعريف بلقمان الحكيم

هو لقمان بن باعورا: ابن أخت أيوب أو ابن خالته. وقيل: كان من أولاد آزر، أدرك داود عليه السلام وأخذ منه العلم، وكان يفتي قبل مبعث داود عليه السلام، فلما بُعث قطع الفتوى، فقيل له؟ فقال: ألا أكتفي إذا كفيت؟ وقيل: كان قاضياً في بنى إسرائيل، وأكثر الأقاويل أنه كان حكيماً ولم يكن نبيّاً[١].

وعن ابن عباس رضى الله عنهما: «لقمان لم يكن نبياً ولا ملكاً، ولكن كان راعياً أسود، فرزقه الله العتق، ورضي قوله ووصيته، فقص أمره في القرآن لتمسكوا بوصيته»[٢].

آتاه الله الفقه في الدين والعقل والإصابة في القول[٣].

و «جمهور العلماء على أن لقمان ليس بنبي وإنما هو رجل صالح»[٤].

وقد ذكر الله تعالى شيء عن لقمان الحكيم وحكمته في رعايته لولده وتربيته له تربية إيمانية أخلاقية دعوة وذلك في قوله تعالى:

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ

---

(١) الكشاف للزمخشري ٣/ ٤٩٢ - ٤٩٣
قال الثعلبي في الكشف والبيان ٧/ ٣١٢: (واتفق العلماء على أنه كان حكيماً ولم يكن إلا نبيّاً إلا عكرمة.. تفرد بهذا القول).

(٢) الكشاف للزمخشري ٣/ ٤٩٣ ولم أقف علي تلك الرواية.

(٣) جامع البيان ٢٠/ ١٣٤.

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٦/ ٣٣٤.

بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ وَهۡنًا عَلَىٰ وَهۡنٖ وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيۡنِ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗاۖ وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ ﴿١٨﴾ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ﴾ [لقمان: ١٢ – ١٩].

المطلب الثاني

معالم دعوية من خلال وصايا لقمان لابنه

☜ أولاً: أهم صفات الداعية الحكمة:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا لُقۡمَٰنَ ٱلۡحِكۡمَةَ﴾ [لقمان: ١٢].

«يخبر تعالى عن امتنانه على عبده الفاضل لقمان، بالحكمة، وهي العلم بالحق على وجهه وحكمته، فهي العلم بالأحكام، ومعرفة ما فيها من الأسرار والإحكام، فقد يكون الإنسان عالماً، ولا يكون حكيماً، ولهذا فسرت الحكمة بالعلم النافع، والعمل الصالح..»(١).

والحكمة: «العقل والفهم والفطنة»، وقيل: «هي: العقل والفقه والإصابة في

(١) تيسير الكريم الرحمن ص ٦٤٨.

القول من غير نبوة»[١]، وقيل: «الحكمة: وهو العلم المؤيد بالعمل والعمل المحكم بالعلم».. وهي العلم بالأمر الذي لأجله وجب الحكم.. لا يقال لشخص حكيماً حتى تجتمع له الحكمة في القول والفعل، قال: ولا يسمى المتكلم بالحكمة حكيماً حتى يكون عاملاً بها»[٢].

«فالله أعطى هذا الرجل الصالح الحكمة، وهي: الفهم والعلم والتعبير، وأمره الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ أن يشكره على ما آته ووهبه من الحكمة التي خصه بها عن من سواه من أبناء جنسه، وهذا الشكر إنما يعود نفعه على الشاكرين، والله سبحانه غني عن شكر الشاكرين وإنما هذا الشكر لهم وثوابه يعود عليهم»[٣].

والله تعالى عندما أمر بالدعوة أمر أن تكون بحكمة، قال تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ ﴾ [النحل: ١٢٥]. فعلى الدعاة أن يتخلقوا بها وأن يسألوا الله تعالى أن يرزقهم إياها، قال تعالى: ﴿يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗا﴾ [البقرة: ٢٦٩].

☜ ثانياً: من الحكمة الشمولية في الدعوة والتربية:

«فهذه الوصايا، التي وصى بها لقمان ابنه، تجمع أمهات الحكم، وتستلزم ما لم يذكر منها، وكل وصية يقرن بها ما يدعو إلى فعلها، إن كانت أمراً، وإلى تركها إن كانت نهياً.

وهذا يدل على ما ذكرنا في تفسير الحكمة: أنها العلم بالأحكام، وحِكَمِها ومناسباتها، فأمره بأصل الدين، وهو التوحيد، ونهاه عن الشرك، وبيَّن له الموجب

(١) روح المعاني ٢١/ ٨٣.
(٢) نظم الدرر ٦/ ١١.
(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٦/ ٣٣٥.

لتركه، وأمره ببر الوالدين، وبين له السبب الموجب لبرهما، وأمره بشكره وشكرهما، ثم احترز بأن محل برهما وامتثال أوامرهما، ما لم يأمرا بمعصية، ومع ذلك فلا يعقهما، بل يحسن إليهما، وإن كان لا يطيعهما إذا جاهداه على الشرك. وأمره بمراقبة الله، وخوَّفه القدوم عليه، وأنه لا يغادر صغيرة ولا كبيرة من الخير والشر، إلا أتى بها.

ونهاه عن التكبر، وأمره بالتواضع، ونهاه عن البطر والأشر، والمرح، وأمره بالسكون في الحركات والأصوات، ونهاه عن ضد ذلك.

وأمره بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وإقامة الصلاة، وبالصبر اللذين يسهل بهما كل أمر، كما قال تعالى فحقيق بمن أوصى بهذه الوصايا، أن يكون مخصوصاً بالحكمة، مشهوراً بها»[(١)].

☜ ثالثاً: التلازم بين العقيدة والأخلاق:

فمن خلال وصايا لقمان لابنه تبين لنا أن كل أخلاقيات الإسلام هي ميثاق بين الإنسان وبين الله مباشرة، فهي تصل للآخرين من خلال صلة الإنسان بالله، فمثلاً أخلاقيات الإنسان نحو والديه - وهي البر بهما - تصل إلى الوالدين من خلال شكر الإنسان لربه وعبادته، وكذلك أخلاقيات أي أمر من الأمور، فالصدق أمر من الله أولاً ثم هو تعامل جيد مع الناس، والوفاء بالعهد هو أمر من الله أولاً ثم تعامل مع الناس.

«فالعقيدة لا بد أن تنعكس على الإنسان وسلوكه، فإذا آمن المسلم إيماناً يقينياً بالله سبحانه، وبعلمه وبمراقبته؛ كان هذا الإيمان محدداً لسلوكه كفرد، وسلوك الجماعة كأمة»[(٢)].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ص ٦٤٨.

(٢) معالم أصول التربية من خلال وصايا لقمان، د. عبد الرحمن الأنصاري ص٤٤٣.

☜ رابعاً: اتخذ لقمان في دعوته أسلوب الوعظ مع العطف:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ﴾ [لقمان: ١٣].

(**فالوعظ:** هو زجر مقترن بتخويف، أو تذكير بالخير فيما يرق له القلب»[١].

وكرر لقمان لفظ: ﴿يَٰبُنَىَّ﴾ «ليخاطبه بأحب ما يخاطب به، مع إظهار الترحم والتحنن والشفقة، ليكون ذلك أدعى لقبول النصح»[٢]. فلا بد من نداء المخاطب بأحب الصفات إلى قلبه فهذا من الحكمة، فلما أراد لقمان نصح ولده قال له يابنيّ! ففيها دفء وقرب ومحبة وإخلاص في النصح «وهذا تصغير إشفاق ومحبة لا تصغير تحقير»[٣].

☜ خامساً: من صفات الداعية الشكر:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾ [لقمان: ١٢].

«أمره أن يشكره على ما أعطاه ليبارك له فيه، وليزيده من فضله، وأخبره أن شكر الشاكرين يعود نفعه عليهم، وأن من كفر فلم يشكر الله عاد وبال ذلك عليه.

والله غني عنه، حميد فيما يقدره ويقضيه على من خالف أمره، فغناه تعالى من لوازم ذاته، وكونه حميداً في صفات كماله، حميداً في جميل صنعه، من لوازم ذاته، وكل واحد من الوصفين صفة كمال، واجتماع أحدهما إلى الآخر زيادة كمال إلى كمال»[٤].

---

(١) روح المعاني ٢١/ ٨٥.

(٢) نظم الدرر ٦/ ١٣.

(٣) روح المعاني ٢١/ ٨٤.

(٤) تيسير الكريم الرحمن ص ٦٤٨.

وحقيقة الشكر: «الاعتراف بإنعام المنعم على وجه الخضوع له والذل والمحبة[(١)]، وألا تعصي الله بنعمه، وألَاَّ ترى معه شريكاً في نِعَمِهِ، وهو الإقرار بالعجز عن الشكر[(٢)].

(فالشكر مبني على خمس قواعد: خضوع الشاكر للمشكور، وحبه له، واعترافه بنعمته، وثنائه عليه بها، وأن لا يستعملها فيما يكره»[(٣)].

وَمَحَلُّ الشكرِ: «يكون بالقلب خضوعاً واستكانةً ومحبةً، وباللسان ثناءً واعترافاً، وبالجوارح طاعة وانقياداً»[(٤)].

وفي قوله: ﴿وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ﴾: دليل على أن شكر الله إنما هو رصيد مذخور للشاكر ينفعه هو، والله غني عنه، فالله محمود بذاته ولو لم يحمده أحد من خلقه، فأحمق الحمقى هو من يخالف الحكمة ولا يدخر لنفسه ذلك الرصيد.

☜ سادساً: عناية الداعية بالأقربين وخصوصاً ولده ومن تحت ولايته:

فالداعية الحكيم هو الذي يهتم بخاصة أهله قبل أن يبدأ بغيرهم من الناس قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ [التحريم٦].

وهذ من أولويات الأنبياء الدعوية، فإنهم يبدؤون في دعوتهم بدعوة أهليهم وأولادهم وإصلاحهم، كما قال تعالى: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢].

وكذلك النبي ﷺ أمره ربه: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، وفعلاً بدأ في دعوته ﷺ، والأنبياء كلهم كذلك عليهم الصلاة والسلام.

---

(١) فقه الأدعية والأذكار١/ ٢٧٥.

(٢) مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي ٤/ ١٣٠.

(٣) مدارج السالكين ٢/ ٢٤٤مختصراً.

(٤) مدارج السالكين ٢/ ٢٤٦.

والنبي ﷺ نبه على أن الولد الصالح من الأمور التي تنفع الميت بعد موته: قال ﷺ: (إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له)[(١)]، فهذا فيه دلالة قوية على أن الحكمة تقتضي الاهتمام بالبدء بتربية الأولاد لكي ينفع الله بهم أهليهم، وأمتهم، وقبل ذلك أنفسهم في الحياة الدنيا يوم القيامة.

«فهذا لقمان الحكيم ينظر إلى ابنه نظرة رحمة وإشفاق، ومن أجل أن لا يتردى في مهاوي الزيغ والضلال، يعظه وعظاً جامعاً مانعاً، ويخرج له عصارة الحِكَم وأمهات المواعظ، من القلب إلى القلب»[(٢)]، ومعلوم أن النصيحة من الوالد لولده مبرأة من كل شبهة، بعيدة من كل ظنة؟.

☜ سابعاً: بدء دعوته ابنه بالإخلاص لله، والنهي عن الشرك:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

وابتدأ الوصية بالإخلاص والنهي عن الشر معللاً ذلك بقوله: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ فعَبْدِ اللهِ بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: ٨٢]، شَقَّ ذَلِكَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ أَيُّنَا لَا يَظْلِمُ نَفْسَهُ، قَالَ: (لَيْسَ ذَلِكَ إِنَّمَا هُوَ الشِّرْكُ أَلَمْ تَسْمَعُوا مَا قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾)[(٣)].

(١) صحيح مسلم، كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته (١٦٣١).
(٢) لقمان الحكيم وحكمه، محمد يوسف ص ١٤٠.
(٣) صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب ولقد آتينا لقمان الحكمة (٣٤٢٩).

«ووجه كونه عظيماً، أنه لا أفظع وأبشع ممن سَوَّى المخلوق من تراب، بمالك الرقاب، وسوَّى الذي لا يملك من الأمر شيئاً، بمن له الأمر كله، وسوَّى الناقص الفقير من جميع الوجوه، بالرب الكامل الغني من جميع الوجوه.

وهل أعظم ظلماً ممن خلقه الله لعبادته وتوحيده، فذهب بنفسه الشريفة، فجعلها في أخس المراتب فجعلها عابدة لمن لا يسوى شيئاً، فظلم نفسه ظلماً كبيراً»(١).

«فابتدأ لقمان موعظة ابنه بطلب إقلاعه عن الشرك بالله لأن النفس المعرضة للتزكية والكمال يجب أن يقدم لها قبل ذلك تخليتُها عن مبادىء الفساد والضلال»(٢).

☜ ثامناً: الأمر بالقيام بحق الوالدين:

قال تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [لقمان: ١٤ - ١٥].

وبر الوالدين يكون «بالإحسان إليهما بالقول اللين، والكلام اللطيف، والفعل الجميل، والتواضع لهما، وإكرامهما وإجلالهما، والقيام بموءنتهما واجتناب الإساءة إليهما من كل وجه، بالقول والفعل»(٣).

مع التنبيه إلى أن حق الله مقدم على حق المخلوقين، قال تعالى: ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾ «فلا تظن

(١) تيسير الكريم الرحمن ص ٦٤٨.
(٢) التحرير والتنوير ٢١/ ١٥٥.
(٣) تيسير الكريم الرحمن ص ٦٤٨.

أن طاعتهما في الشر داخل في الإحسان إليهما، لأن حق الله مقدم على حق كل أحد، ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

ولم يقل: «فعقهما» بل قال: ﴿فَلَا تُطِعۡهُمَا﴾ أي: بالشرك، وأما برهما، فاستمر عليه، ولهذا قال: ﴿وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗا﴾ أي: صحبة إحسان إليهما بالمعروف، وأما اتباعهما وهما بحالة الكفر والمعاصي، فلا تتبعهما»[١].

فالاختلاف في العقيدة والأمر بعدم الطاعة في معصية الله، لا يسقط حق الوالدين في المعاملة الحسنة الطيبة والصحبة الكريمة، قال تعالى: ﴿وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗا﴾ وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: «أنزلت فيّ هذه الآية: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَا﴾ [لقمان: ١٥]. قال: كنت رجل باراً بأمي فلما أسلمتُ قالت: يا سعد، ما هذا الذي أراك قد أحدثت؟ لتدعن دينك هذا أو لا آكل ولا أشرب حتى أموت، فتعير بي؛ فيقال: «يا قاتل أمه»!! فقلت: لا تفعلي يا أمه، فإني لا أدع ديني هذا لشيء. فمكثَتْ يوماً وليلةً لم تأكل، فأصبحت قد جهدت، فمكثت يوم وليلة أخرى لا تأكل، فأصبحت قد اشتد جهدها، فلما رأيت ذلك قلت: تعلمين يا أمه لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفساً نفساً، ما تركت ديني هذا لشيء، فإن شئت فكلى، وإن شئت لا تأكلي، فأكلت»[٢].

«والآية هنا نبهت على أن الصحبة في الدنيا بالمعروف، فلا يجوز أن يبرهما باستغفار في حياتهما، ولا بعد موتهما، قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ

(١) تيسير الكريم الرحمن ص ٦٤٨.

(٢) أسد الغابة ٢/ ١٢٦ تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٦/ ٣٣٧، وأصل الخبر في صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل سعد بن أبي وقاص (١٧٤٨).

أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [التوبة: ١١٣]»[١].

تاسعاً: الدعوة تقوم بالاتباع لا الابتداع:

قال تعالى: ﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [لقمان: ١٥]. «وهم المؤمنون بالله، وملائكته وكتبه، ورسله، المستسلمون لربهم، المنيبون إليه.. واتباع سبيلهم، أن يسلك مسلكهم في الإنابة إلى الله، التي هي انجذاب دواعي القلب وإراداته إلى الله، ثم يتبعها سعي البدن، فيما يرضي الله، ويقرب منه»[٢].

«في هذا حث على معرفة الرجال بالحق، وأمر بحك المشايخ وغيرهم على محك الكتاب والسنة، فمن كان عمله موافقاً لها ابتع، ومن كان عمله مخالفاً لهما اجتنب»[٣].

عاشراً: الدعوة لاستحضار رقابة الله تعالى واليقين بإحاطة علمه:

قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ١٥ - ١٦] «والمقصود من هذا، الحث على مراقبة الله، والعمل بطاعته، مهما أمكن، والترهيب من عمل القبيح، قَلَّ أو كَثُرَ»[٤].

والمراقبة هي: «دوام علم العبد وتيقنه باطلاع الحق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ على ظاهره

---

(١) موضوعات سور القرآن - سورة لقمان - ص ٢٢.

(٢) تيسير الكريم الرحمن ص٦٤٨.

(٣) نظم الدرر ٦/ ١٧.

(٤) تيسير الكريم الرحمن ص٦٤٨.

وباطنه»[١]، وهي من الإحسان الوارد في قول النبي ﷺ قال: (**الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك**)[٢].

«أراد بالإحسان الإشارة إلى المراقبة وحسن الطاعة فإن من راقب الله أحسن عمله»[٣].

«وفي التعبير بلفظ الصخرة والسماوات والأرض بيان أن هذا الشيء الحقير وهو غاية في الصغر؛ لو كان في أخفى مكان وأحرزه كجوف الصخرة، أو أبعد مكان في السماء، أو أظلم مكان في جوف الأرض يأت به الله سبحانه»[٤].

☜ الحادي عشر: الأمر بإقامة الصلاة:

قال تعالى: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ﴾ [لقمان: ١٧] «حثه عليها، وخصها لأنها أكبر العبادات البدنية»[٥].

وإقامتها تكون «بجميع حدودها وشروطها ولا تغفل عنها، سعياً في نجاة نفسك وتصفية سرك، فإن إقامتها مانعة من الخلل في العمل ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥]»[٦].

«وقد بدأ هذه الوصية بالصلاة وختمها بالصبر لأنها ملاك الاستعانة، قال تعالى:

---

(١) مدارج السالكين ٢/ ٦٨.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الإيمان باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان، والإسلام، والإحسان، وعلم الساعة (٥٠)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان (٩، ١٠).

(٣) ينظر: لسان العرب ١٣/ ١١٧ باختصر.

(٤) روح المعاني ٢١/ ٨٨ بتصرف.

(٥) تيسير الكريم الرحمن ص ٦٤٨.

(٦) نظم الدرر ٦/ ١٩.

﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ [البقرة: ٤٥]»(١).

الثاني عشر: الدعوة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

قال تعالى: ﴿وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾ [لقمان: ١٧]، «وذلك يستلزم العلم بالمعروف ليأمر به، والعلم بالمنكر لينهى عنه.

والأمر بما لا يتم الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر إلا به، من الرفق، والصبر، وقد صرح به في قوله: ﴿وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ﴾ [لقمان: ١٧] ومن كونه فاعلاً لما يأمر به، كافّاً لما ينهى عنه، فتضمن هذا، تكميل نفسه بفعل الخير وترك الشر، وتكميل غيره بذلك، بأمره ونهيه»(٢).

«والأمر المعروف والنهي عن المنكر شعار الجماعة الناجية، وإذا فقد من أمة من الأمم فقد منها صفات الخير، وهو واجب على كل واحد لكل أحدٍ.

وهو أثر من آثار الإيمان، وأثر من آثار حب الفضيلة، وأساس من أسس صلاح المجتمع، وهو يوقظ الشعور وينبه الضمير، ويخيف المقدم على المنكر، وإذا تضامن الناس في ذلك كما هو الواجب شرعاً ووجد تضامنٌ من الناس على الفضيلة - وهي فعل المعروف - فلا تضيع الفضيلة بينهم، ووجد تضامنٌ على استنكار الرذيلة فلا توجد بينهم»(٣)، فإن الفضيلة تنمو وترتقي بالإنسان عن الأنانية والحيوانية.

(١) نظم الدرر ٢٠/٦.
(٢) تيسير الكريم الرحمن ص ٦٤٨.
(٣) لقمان الحكيم وحكمه ص ١٦٤.

الثالث عشر: الدعوة تقوم على الصبر والأمر به:

قال تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧] «لما علم أنه لا بد أن يبتلى إذا أمر ونهى وأن في الأمر والنهي مشقة على النفوس، أمره بالصبر»(١).

أي: «واصبر على ما أصابك من الشدائد والمحن، لاسيما فيما أمرت به من إقامة الصلاة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فالصبر على إقامة الصلاة: لأن إتمام الصلاة والمحافظة عليها قد يشق، ولذلك يقول الله تعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَـٰشِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٥]، وإذا أمرت بمعروف أو نهيت عن منكر وأصابك في ذلك أذي وشدة فاصبر عليها»(٢).

وأمر الصبر عظيم جداً، ولذلك قال تعالى في ختام الآية: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ «أي: إن الأمور التي وصى بها لقمان ابنه، والصبر على أدائها، من الأمور التي يعزم عليها، ويهتم بها، ولا يوفق لها إلا أهل العزائم»(٣).

«وعبر بالماضي تنبيه على أنه لا بد من المصيبة ليكون الإنسان على بصيرة»(٤).

الرابع عشر: النهي عن الكبر والعجب بالنفس:

وقال تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ﴾ [لقمان: ١٨ - ١٩].

فقوله: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ «أي: لا تُمِلْهُ وتعبس بوجهك الناس، تكبُّراً

(١) تيسير الكريم الرحمن ص ٦٤٨.
(٢) روح المعاني ٢١/ ٨٨.
(٣) تيسير الكريم الرحمن ٥٩٧.
(٤) نظم الدرر ٦/ ٢٠.

عليهم، وتعاظماً. ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ أي: بطراً، فخراً بالنعم، ناسياً المنعم، معجباً بنفسك. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ﴾ في نفسه وهيئته وتعاظمه ﴿فَخُورٍ﴾ بقوله.

﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾ أي: امش متواضعاً مستكيناً، لا مَشْيَ البطر والتكبر، ولا مشي التماوت»[١]، أي: «امش مشياً مقتصداً ليس بالبطيء المتثبط، ولا بالسريع المفرط، بل عدلاً وسطاً بين بين»[٢]. «وهذه الصفة والتي تليها -خفض الصوت- من تمام المروءة التي يتحلى به أصحاب الخلق والسمت الحسن ويغفل عنها الساقطون»[٣].

إنه أدب الداعي إلى الله. ألا يتطاول على الناس، فيفسد بالقدوة ما يصلح بالكلام.. فالدعوة إلى الخير لا تجيز التعالي على الناس والتطاول عليهم باسم قيادتهم إلى الخير. ومن باب أولى يكون التعالي والتطاول بغير دعوة إلى الخير أقبح وأرذل.

يشير لقمان في وصيته لابنه إلى أدب الداعية إلى الله، فالدعوة إلى الله لا تجيز التعالي على الناس والتطاول عليهم باسم قيادتهم إلى الخير، ومن باب أولى أن يكون التعالي والتطاول من غير دعوةٍ إلى الخير أقبح وأرذل.

«لما كان من آفات العبادة لا سيما الأمر والنهي - لتصورهما بصورة الاستعلاء - الإعجاب إلى الكبر، قال محذراً من ذلك معبراً عن الكبر بلازمه، منبهاً على أن المطلوب في الأمر والنهي اللين لا الفظاظة والغلظة الحاملان على النفور»[٤].

(١) تيسير الكريم الرحمن ص ٦٤٨.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٦/ ٣٣٩.

(٣) من لطائف التفسير ٣/ ٢٦٤.

(٤) نظم الدرر ٦/ ٢٠.

«وهكذا يؤدب الله عباده ويضمن كتابه ما فيه سعادتهم حتى لم يترك أدبهم في المشي والحديث»(١).

وختم الآية بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ «حب الله الذي يلزمه حب الناس محبوبٌ للنفوس، وكأن فوات المحبوب أشق على النفوس من وقوع المحذور»(٢).

الخامس عشر: أدب الحديث:

وقال تعالى: ﴿وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾ [لقمان: ١٩].

﴿وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ﴾ أدباً مع الناس ومع الله، ﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ﴾ أي أفظعها وأبشعها ﴿لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾.

أي: «لا تبالغ في الكلام، ولا ترفع صوتك فيما لا فائدة فيه»(٣)، فإن الجهر بأكثر من الحاجة تكلف يؤذي، فإن أنكر الأصوات أي أقبحها وأوحشها صوت الحمير.

«فلو كان في رفع الصوت البليغ فائدة ومصلحة، لما اختص بذلك الحمار، الذي قد علمت خسته وبلادته»(٤).

«والظاهر أن المراد بالغض من الصوت الغض منه عند التكلم والمحاورة، وقيل: الغض من الصوت مطلقاً فيشمل الغض منه عند العطاس، فلا ينبغي أن يرفع صوته

(١) لقمان الحكيم وحكمه ص ١٥٢.
(٢) نظم الدرر ٦/ ٢١.
(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٦/ ٣٣٦.
(٤) تيسير الكريم الرحمن ٦٢٧.

عنده، إن أمكنه عدم الرفع، وروي عن أبي عبد الله رضي الله تعالى عنه ما يقتضيه، ثم أن الغض ممدوح إن لم يدع داع شرعي إلى خلافه»[١].

فالغض من الصوت فيه أدب. وثقة بالنفس، واطمئنان إلى صدق الحديث وقوته، ولا يغلط ويزعق في الخطاب إلا سيء الأدب، أو شاك في قيمة قوله، أو قيمة شخصيته، فغض الصوت: «أوفر للمتكلم، وأبسط لنفس السامع وفهمه»[٢].

(١) روح المعاني ٢١/ ٩١.
(٢) روح المعاني ٢١/ ٩٠.

المبحث الخامس

قصة مؤمن يس

المطلب الأول التعريف بمؤمن يس وقومه.

المطلب الثاني عرض قصة مؤمن يس في القرآن الكريم.

المطلب الثالث الفوائد الدعوية من قصة الرسل الثلاثة لأصحاب القرية.

المطلب الرابع الفوائد الدعوية من قصة مؤمن آل يس.

المطلب الأول

التعريف بمؤمن يس وقومه

لم يبين الله ولا رسوله ﷺ من هو هذا الرجل؛ بل اكتفى القرآن بوصفه أنه رجل من أقصى المدينة؛ قال تعالى: ﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [يس ٢٠].

وفي تنكير الرجل مع أنه كان معروفاً معلوماً عند الله فائدتان:

الأولى: أن يكون تعظيماً لشأنه؛ فهو: رجلٌ كاملٌ في الرجولية.

الثانية: أن يكون مفيداً لظهور الحق من جانب المرسلين؛ حيث آمن رجل من الرجال لا معرفة لهم به فلا يقال إنهم تواطؤا[(١)].

فلم يذكر القرآن اسم هذا الرجل المؤمن؛ ولا اسم القرية التي كان فيها؛ ولا ذكر أسماء أولئك الرسل الكرام؛ ولم يثبت في ذلك من الروايات شيء يرقى إلى الصحيح الذي تطمئن إليه النفس؛ لذلك كان الأولى الاكتفاء بما ذكره القرآن الكريم؛ إذ لو كان في تعيين شيء من ذلك فائدة لنا؛ لما أبهمه القرآن؛ ولكان النبي ﷺ قد فسره وبينه أتم البيان.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وتعيين تلك القرية، لو كان فيه فائدة؛ لعينها اللّه، فالتعرض لذلك وما أشبهه من باب التكلف والتكلم بلا علم»[(٢)].

وبين الله أن هذا الرجل مؤمن؛ قال تعالى وهو يحكي مقولته لقومه: ﴿وَمَا لِىَ لَآ

(١) مفاتيح الغيب ٢٦/ ٢٦٣.

(٢) تيسير الكريم الرحمن ص ٦٩٣.

أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرّٖ لَّا تُغۡنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّيٓ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ فَٱسۡمَعُونِ﴾ [يس: ٢٢ - ٢٥]. وما سوى ذلك لم يبينه القرآن الكريم، ولا صح في ذلك شيء عن النبي الكريم عليه السلام.

المطلب الثاني

عرض قصة مؤمن يس في القرآن الكريم

الحديث عن مؤمن يس مرتبط بقصة أصحاب القرية التي ضرب الله لنا مثلهم في القرآن الكريم، حيث قال تعالى: ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ إِذۡ جَآءَهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱثۡنَيۡنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزۡنَا بِثَالِثٖ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُواْ مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَكۡذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُواْ رَبُّنَا يَعۡلَمُ إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيۡنَآ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٧﴾ قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرۡنَا بِكُمۡۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهُواْ لَنَرۡجُمَنَّكُمۡ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١٨﴾ قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡ أَئِن ذُكِّرۡتُمۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ ﴿١٩﴾ وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ رَجُلٞ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرّٖ لَّا تُغۡنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّيٓ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ فَٱسۡمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ﴿٢٧﴾ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِن جُندٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِن كَانَتۡ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ فَإِذَا هُمۡ خَٰمِدُونَ﴾ [يس: ١٣ - ٢٩]

وغاية ما ذكره القرآن أنه كانت هناك قرية أرسل الله إليها رسولين، فكذبهما أهل

تلك القرية، فعززهما الله ﷻ برسول ثالث؛ فتقدموا ثلاثتهم بدعوتهم من جديد إلى تلك القرية؛ ومع ذلك ما آمنوا؛ بل استمروا بتكذيبهم؛ وطعنوا في رسالتهم؛ وعزموا على أذيتهم؛ فجاء رجل من أقصى تلك القرية مؤيداً دعوة أولئك المرسلين؛ فنصح قومه ووعظهم ودعاهم إلى الله؛ ورد على شبهاتهم، وبين لهم عاقبة الكفر والتكذيب، وأيضاً ما آمنوا بل يظهر أنهم لم يكتفوا بتكذيبه بل أقدموا على قتله، فبشره الله بالجنة فتمنى لو أن قومه علموا بحسن عاقبته فيؤمنوا بالرسل كما آمن.

ويمكن تقسيم هذه القصة إلى مشهدين: المشهد الأول: المواجهة بين الرسل الثلاثة وأصحاب القرية؛ وذلك في الآيات [١٣ - ١٩].

والمشهد الثاني: مجيء الرجل المؤمن من أقصى المدينة معلناً إيمانه ومؤيداً دعوة الرسل؛ وذلك في الآيات [٢٠ - ٢٧].

ثم ختم الله القصة بذكر ما حل بأهل تلك القرية من عذاب ودمار وهلاك[١].

المطلب الثالث

الفوائد الدعوية من قصة الرسل الثلاثة لأصحاب القرية

أولاً: بيان عاقبة الإعراض عن منهج الله:

قال تعالى: ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ إِذۡ جَآءَهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ﴾ [يس: ١٣].

«أمر النبي ﷺ بإنذار هؤلاء المشركين أن يحل بهم ما حل بكفار أهل القرية المبعوث إليهم ثلاثة رسل»[٢].

(١) مع قصص السابقين في القرآن د. صلاح الخالدي ٣/ ١٣٤ - ١٣٥.
(٢) الجامع لأحكام القرآن ١٧/ ٤٢٣.

فعلى الدعاة أيضاً أن يبينوا للناس أن عاقبة الإعراض عن منهج الله وشرعه عاقبته الهلاك؛ وقد أشار الله إلى سنته هذه التي لا تتبدل ولا تتغير بآيات كثيرة؛ منها قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ﴾ [غافر: ٢١][(١)].

✍ ثانياً: استعانة الدعاة ببعضهم البعض:

في قوله تعالى: ﴿فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ﴾ [يس: ١٤] أي: «قويناهما وشددنا أزرهما برسول ثالث»[(٢)].

وفي هذا إشارة إلى مشروعية استعانة الدعاة ببعضهم البعض؛ فإن الداعي حريص على إيصال الدعوة إلى الناس، ومن أجل هذا يستعين بكلِّ وسيلة مشروعة لتحقيق ما يحرص عليه، ومن الوسائل المشروعة استعانته بأهل الخير والكفاءة، قال تعالى عن موسى عليه السلام: ﴿وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَارُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا﴾ [طه: ٢٩ - ٣٥].

فطلب من ربه عز وجل أن يساعده بأخيه هارون؛ فالداعي المسلم لا يتردد أبداً في الاستعانة بكفاءة غيره من المسلمين، وقدرته في مجال الدعوة، وإذا ما أحسَّ الداعي بضيقٍ في صدره من عمل المسلم الكفء معه في الدعوة إلى الله، فإنَّ إخلاصه لا بد أن

---

(١) المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة د. عبد الكريم زيدان ١/ ٥٥٥.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٦/ ٥٦٩.

يكون مشوباً بحبِّ السمعة والرياء، فليسارع في تنقية إخلاصه، وفسح المجال للكفء الأمين بالإسهام في جهاد الدعوة إلى الله تعالى[١].

✍ ثالثاً: عدم اليأس في الدعوة:

أرسل الله لهذه القرية رسولين؛ فلما كذبوهما عززهما بثالث؛ فعادوا جميعاً إلى دعوتهم؛ قال تعالى: ﴿فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ﴾ [يس: ١٤] ثم لما كذبوهم مرة أخرى؛ عادوا فقالوا: ﴿رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾ [يس: ١٦] فإن هؤلاء الرسل الكرام لم يسأموا ولم يتركوا الدعوة بمجرد التكذيب، بل أعادوا ذلك لهم وكرروا القول عليهم وأكدوه باليمين؛ فإن ﴿رَبُّنَا يَعْلَمُ﴾ يجري مجرى القسم، وأكدوه أيضاً باللام ﴿لَمُرْسَلُونَ﴾[٢].

✍ رابعاً: البلاغ المبين مهمة الرسل وأتباعهم:

في قوله تعالى: ﴿قَالُواْ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [يس: ١٦ - ١٧] بيان لكون هؤلاء الرسل الكرام أتوا بالبلاغ المبين؛ وعلى أن دعوتهم بلغت إلى أقصى المدينة؛ حتى آمن بهم هذا الرجل الساعي[٣].

✍ خامساً: بشرية الرسول ضرورة دعوية:

قال تعالى: ﴿قَالُواْ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَيْءٍ﴾ [يس: ١٥].

اعترضوا على بشرية الرسل مع أن الرسالة منهج إلهي تعيشه البشرية، وحياة الرسول هي النموذج الواقعي للحياة وفق ذلك المنهج الإلهي، النموذج الذي يدعو

(١) أصول الدعوة د. عبد الكريم زيدان ص ٤٥٨.
(٢) مفاتيح الغيب ٢٦/ ٢٦١.
(٣) مفاتيح الغيب ٢٦/ ٢٦٢.

قومه إلى الاقتداء به، وهم بشر، فلا بد أن يكون رسولهم من البشر ليحقق نموذجاً من الحياة يملكون هم أن يقلدوه.

سادساً: سنة المكذبين معاداة أهل الدعوة:

قال تعالى: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرۡنَا بِكُمۡۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهُواْ لَنَرۡجُمَنَّكُمۡ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [يس: ١٨]. أي: «انصرفوا إلى ستر خجلهم وانفحامهم بتلفيف السبب لرفض دعوتهم بما حسبوه مقنعاً للرسل بترك دعوتهم ظنّاً منهم أن ما يدَّعونه شيء خفي لا قِبل لغير مخترعه بالمنازعة فيه، وذلك بأن زعموا أنهم تطيّروا بهم ولحقهم منهم شُؤْم، ولا بد للمغلوب من بارد العذر»[(١)].

«كرهوا دينهم ونفرت منه نفوسهم، وعادة الجهال أن يتيمنوا بكل شيء مالوا إليه واشتهوه، وآثروه وقبلته طباعهم. ويتشاءموا بما نفروا عنه وكرهوه. فإن أصابهم نعمة أو بلاء قالوا ببركة هذا وبشؤمهم»[(٢)].

فالمكذبين الضالين لا يطيقون وجود الدعاة إلى الهدى فتأخذهم العزة بالإثم ويعمدون إلى الأسلوب الغليظ العنيف في مقاومة الحجة لأن الباطل ضيق الصدر عربيد.. القول بالتشاؤم خرافة من خرافات الجاهلية. والرسل يبينون لقومهم أنها خرافة وأن حظهم ونصيبهم من خير ومن شر لا يأتيهم من خارج نفوسهم. إنما هو معهم. مرتبط بنواياهم وأعمالهم، متوقف على كسبهم وعملهم. وفي وسعهم أن يجعلوا حظهم ونصيبهم خيراً أو أن يجعلوه شرّاً.

(١) التحرير والتنوير ٢٢/ ٢٦٢.
(٢) محاسن التأويل ٨/ ١٧٧.

المطلب الرابع
الفوائد الدعوية من قصة مؤمن آل يس

أولاً: الهمة في الدعوة:

قال تعالى: ﴿ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [يس: ٢٠]. «ووصفُ الرجل بالسعي يفيد أنه جاء مسرعاً وأنه بلغه همُّ أهل المدينة برجم الرسل أو تعذيبهم، فأراد أن ينصحهم خشيةً عليهم وعلى الرسل، وهذا ثناء على هذا الرجل يفيد أنه ممن يُقتدَى به في الإسراع إلى تغيير المنكر»[(١)].

جاء هذا الرجل المؤمن من أقصى المدينة ساعياً لدعوة قومه وبذل النصح لهم؛ ولم يتوان أو يتكاسل؛ أو يعطي للدعوة من فراغ وقته؛ وفي هذا إشارة إلى ما ينبغي أن يكون عليه الداعية من الهمة العالية وبذل للنفس والنفيس في سبيل تبليغ دعوة ربه عز وجل[(٢)].

ومنبعُ ذلك الإيمان الصادق إذا خالطت بشاشته القلوب؛ فعلى الدعاة إلى الله أن يتنبهوا لهذا الأمر فيحرصوا على تعميق الإيمان فيمن يدعونهم؛ ليصيروا بذلك مصلحين ولا يكتفون بكونهم صالحين في أنفسهم[(٣)].

(١) التحرير والتنوير ٢٢/ ٣٦٦.

(٢) الأتقياء الأخفياء د. سعيد عبد العظيم ص٩٣.

(٣) المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة د. عبد الكريم زيدان ١/ ٥٤٨.

ثانياً: الاستفادة من كل الطاقات في نصرة الدعوة والدعاة إلى الله:

قال تعالى: ﴿وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ رَجُلٞ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ [يس: ٢٠]. «كثيرٌ من أبناء الإسلام يرى أنه لا يصلح لخدمة الدين إلا العلماء والدعاة الذين لهم باعٌ طويل في العلم والدعوة، فإذا قارن حالَه بحالهم، وجد مسافةً بعيدةً؛ فلا يلبث أن يضعف عزمه، وتفتر همَّته؛ فيعيش سلبياً لا يقدم لدينه! لا، بل كل فرد مهما كانت حاله يصلح لنصرة دينه إذا سلك الطريق الصحيح في ذلك»(١).

ثالثاً: الهداية بيد الله:

قال تعالى: ﴿وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ رَجُلٞ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ [يس: ٢٠]. «قدم مكان المجيء على فاعله بياناً لأن الدعاء نفع الأقصى ولم ينفع الأدنى، ولأجل هذا الغرض عدل عن التعبير بالقرية كما تقدم وقال: ﴿ٱلۡمَدِينَةِ﴾ لأنها أدل على الكبر المستلزم لبعد الأطراف وجمع الأخلاط.. الأمر بيد الله، فلا هادي لمن أضل ولا مضل لمن هدى، فهو يهدي البعيد في البقعة والنسب إذا أراد، ويضل القريب فيهما إن شاء»(٢).

«وبهذا يظهر وجه تقديم ﴿مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ﴾ على ﴿رَجُلٞ﴾ للاهتمام بالثناء على أهل أقصى المدينة. وأنه قد يوجد الخير في الأطراف ما لا يوجد في الوسط، وأن الإيمان يسبق إليه الضعفاء لأنهم لا يصدهم عن الحق ما فيه أهل السيادة من ترف وعظمة إذ المعتاد أنهم يسكنون وسط المدينة.. وفائدة ذكر أنه جاء من أقصى المدينة الإشارة إلى أن الإيمان بالله ظهر في أهل ربض المدينة قبل ظهوره في قلب المدينة؛ لأن قلب المدينة

---

(١) من تدبرات أ. د محمد بن عبد العزيز العواجي - سلسلة ليدبروا آياته.

(٢) نظم الدرر ٦/ ٢٥٢.

هو مسكن حكامها وأحبار اليهود وهم أبعد عن الإنصاف والنظر في صحة ما يدعوهم إليه الرسل، وعامة سكانها تبع لعظمائها لتعلقهم بهم وخشيتهم بأسهم، بخلاف سكان أطراف المدينة فهم أقرب إلى الاستقلال بالنظر وقلة اكتراث بالآخرين؛ لأن سكان الأطراف غالبهم عملة أنفسهم لقربهم من البدو»[(١)].

رابعاً: الإيجابية الدعوية:

قال تعالى: ﴿ وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ رَجُلٞ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴾ [يس: ٢٠]. فهذا رجل سمع الدعوة فاستجاب لها بعد ما رأى فيها من دلائل الحق، فاستشعر قلبه حقيقة الإيمان فتحركت هذه الحقيقة في ضميره فلم يطق عليها سكوتاً ولم يقبع في داره بعقيدته وهو يرى الضلال من حوله، ولكنه سعى بالحق الذي استقر في ضميره وتحرك في شعوره.

خامساً: الإخلاص في الدعوة لله وعدم سؤال الأجر عليها:

في قوله تعالى حكاية لمقولة هذا الرجل المؤمن لقومه: ﴿ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴾ [يس: ٢١] إشارة إلى ما دأب عليه الأنبياء من تذكير قومهم بمقصد دعوتهم؛ وأنه لله لا يرجون منهم مالاً ولا شكوراً.

فقال لهم هذا الرجل المؤمن: اتبعوا من نصحكم نصحاً يعود إليكم بالخير، ولا يريد منكم مالاً ولا أجراً على نصحه لكم وإرشاده إياكم، وهذا موجِب لاتباع من هذا وصفه.

ثم هم مع ذلك لا يدعون إلا لما يشهد العقل الصحيح بحسنه، ولا ينهون إلا بما

---

(١) التحرير والتنوير ٢٣/ ٢٦٥.

يشهد العقل الصحيح بقبحه؛ قال: ﴿وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾[(١)].

«فيها دلالة إلى أن تشوّف الداعي إلى ما في أيدي القوم، وتطلعه إلى أن ينال من وراء إرشاده شيئاً من متاع هذه الحياة، قادح في صدقه، وداخل في الريبة في إخلاصه»[(٢)].

فعلى الدعاة أن يبتعدوا عن كل ما يثير الشبهات حول دعوتهم؛ ويبتعدوا عما يمكن أن يتشبث به المبطلون لصرف الناس عن دعوتهم؛ فيعلنوها صريحة ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ٩٠].

سادساً: النصح والشفقة على المدعوين والتلطف بهم:

قال هذا الرجل المؤمن وهو ينادي قومه: ﴿يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [يس: ٢٠]؛ ففي هذا النداء إظهار لإشفاقه عليهم واهتمامه بأمرهم؛ فأضافهم إلى نفسه ليبين لهم أنه واحد منهم وأنه لا يريد بهم إلا خيراً.

قال ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «نصح قومه في حياته بقوله: ﴿يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [يس: ٢٠]؛ وبعد مماته في قوله: ﴿يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ﴾ [يس: ٢٦ - ٢٧]»[(٣)].

وهكذا يكون المؤمن؛ كما قال قتادة رَحِمَهُ اللهُ: «لا تلقى المؤمن إلا ناصحاً، لا تلقاه غاشاً؛ لما عاين ما عاين من كرامة الله ﴿قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ﴾ [يس: ٢٦ - ٢٧] تمنى على الله أن يعلم قومه ما عاين من كرامة الله له»[(٤)].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ص ٦٩٣.
(٢) مجموعة مؤلفات الشيخ محمد الخضر حسين ٥/ ٢٢٩٨.
(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٦/ ٥٧٢.
(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٦/ ٥٧١.

سابعاً: من يكون لهم الاتباع:

قال تعالى: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ [يس: ٢١].

(أي: اتبعوا من نصحكم نصحاً يعود إليكم بالخير، وليس يريد منكم أموالكم، ولا أجراً على نصحه لكم وإرشاده إياكم، فهذا موجب لاتباع من هذا وصفه. بقي أن يقال: فلعله يدعو ولا يأخذ أجرة، ولكنه ليس على الحق، فدفع هذا الاحتراز بقوله: ﴿وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ لأنهم لا يدعون إلا لما يشهد العقل الصحيح بحسنه، ولا ينهون إلا بما يشهد العقل الصحيح بقبحه»[(١)].

ثامناً: الانطلاق من الفطرة طريق الإيمان:

في قوله تعالى: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٢١ وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٢٢ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرّٖ لَّا تُغۡنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يُنقِذُونِ ٢٣ إِنِّيٓ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ﴾ [يس: ٢١ - ٢٤].

«أَفلا تَرَاهُ كَيفَ لم يحْتَج عَلَيْهِم بِمُجَرَّد الْأَمر بل احْتج عَلَيْهِم بِالْعقلِ الصَّحِيح وَمُقْتَضى الْفطْرَة.. نبه على أن عبادة العبد لمن فطره أمر واجب في العقول مستهجن تركه قبيح الإخلال به.. وقد جبل الله العقول والفطر على شكر المنعم ومحبة المحسن.. وأخرج الحجة عليهم في معرض المخاطبة لنفسه تأليفاً لهم»[(٢)].

يتحدث إليهم عن نفسه هو وعن أسباب إيمانه، ويناشد فيهم الفطرة التي استيقظت فيه فاقتنعت بالبرهان الفطري السليم.. إن الفطر مجذوبة إلى الذي فطرها، تتجه إليه أول ما تتجه، فلا تنحرف عنه إلا بدافع آخر خارج على فطرتها. ولا تلتوي إلا

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ص٦٩٤.

(٢) الصواعق المرسلة ٢/ ٤٩٥.

بمؤثر آخر ليس من طبيعتها.. فهل أضل ممن يدع منطق الفطرة الذي يدعو المخلوق إلى عبادة خالقه، وينحرف إلى عبادة غير الخالق بدون ضرورة ولا دافع؟ وهل أضل ممن ينحرف عن الخالق إلى آلهة ضعاف لا يحمونه ولا يدفعون عنه الضر حين يريد به خالقه الضر بسبب انحرافه وضلاله؟.

تاسعاً: الترغيب والترهيب:

في قوله تعالى: ﴿وَمَا لِىَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ [يس: ٢٢] أضاف الفِطرةَ إلى نفسه والبعثَ إليهم؛ وهو يَعلم أنّ الله فطَرهم جميعاً كما يَبعثهم جميعاً؛ وذلك لأن إيجاد الله تعالى نِعمة يوجب الشُّكر، والبعثُ في القيامة وعيدٌ يوجب الزَّجر، فكانت إِضافةُ النِّعمة إِلى نفسه أظهرَ في الشُّكر، وإِضافةُ البعث إِلى الكافر أبلغ في الزَّجر[(١)].

وقوله تعالى: ﴿وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾؛ إشارة إلى الخوف والرجاء؛ وذلك لأن من يكون إليه المرجع يخاف منه ويرجى[(٢)]، و«هذا تلطّف في الإرشاد بإيراده في معرض المناصحة لنفسه، وإمحاض النصح، حيث أراهم أنه اختار لهم ما يختار لنفسه. والمراد تقريعهم على ترك عبادة خالقهم إلى عبادة غيره»[(٣)].

عاشراً: القدوة الحسنة:

قال تعالى عن مؤمن يس: ﴿وَمَا لِىَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ۝٢٢ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرّٖ لَّا تُغۡنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يُنقِذُونِ ۝٢٣

---

(١) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ٣/ ٥٢١.

(٢) مفاتيح الغيب ٢٦/ ٢٦٤.

(٣) محاسن التأويل ٨/ ١٧٨.

إِنِّيٓ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ فَٱسۡمَعُونِ﴾ [يس: ٢٢ - ٢٥].

ففي هذا إشارة إلى ما ينبغي أن يكون عليه الداعية من القدوة الحسنة فيما يدعو إليه، وأن يكون داعية بفعاله قبل أقواله، وألا يكون كمن قال عنهم ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «علماء السوء جلسوا على باب الجنة؛ يدعون اليها الناس بأقوالهم؛ ويدعونهم إلى النار بأفعالهم؛ فكلما قالت أقوالهم للناس هلموا؛ قالت أفعالهم لا تسمعوا منهم؛ فلو كان ما دعوا اليه حقاً؛ لكانوا أول المستجيبين له، فهم في الصورة أدلاء وفي الحقيقة قطاع الطرق»[١].

وقد حذرنا الله من مخالفة أفعالنا لأقوالنا فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴿٣﴾﴾ [الصف: ٢ - ٣].

فعلى الداعية أن يحمل نفسه دائماً على موافقة أفعاله لأقواله، فإن ذلك أدعى للإقبال عليه وقبول قوله[٢].

الحادي عشر: أسس الدعوة ومضامينها:

إن دعوة هذا الرجل لقومه جاءت جامعة شاملة لأسس دعوات الأنبياء؛ فتجد فيها تقرير التوحيد لله رب العالمين؛ وتجد فيها تقرير نبوة من جاءهم من الرسل الأكرمين؛ وتجد فيها تقرير البعث والمعاد لله رب السموات والأرضين؛ قال تعالى: ﴿وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ رَجُلٞ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن

(١) الفوائد، لابن القيم ص ٦١.

(٢) أصول الدعوة، د. عبد الكريم زيدان ص ٤٨٩.

دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴾ [يس: ٢٠ - ٢٥].

«فجمع في هذا الكلام، بين نصحهم، والشهادة للرسل بالرسالة، والاهتداء والإخبار بِتعيُّن عبادة اللّه وحده، وذكر الأدلة عليها، وأن عبادة غيره باطلة، وذكر البراهين عليها، والإخبار بضلال من عبدها...»[1].

فالداعي إلى الله ينبغي أن يكون على بصيرة تامة؛ وأن تكون عنده المقدرة على سوق الحجج والبراهين للمدعوين لإزالة ما يعلق في أذهانهم من الشبهات، وأن يلزم دعوة الأنبياء فإن الدعوة لا ابتداع فيها ولا اختراع؛ ألا ترى إلى قول مؤمن يس: ﴿يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [يس: ٢٠][2].

الثاني عشر: تمني الخير للمدعوين وكظم الغيظ والحلم على الجاهلين:

قال هذا الرجل المؤمن بعد أن كذَّب به قومه كما كذبوا المرسلين؛ والظاهر أنهم آذوه وقتلوه؛ فرأى ما أعد الله له من النعيم المقيم في الجنة؛ ﴿يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴾ [يس: ٢٦ - ٢٧]

وفي هذا التمني منه؛ قولان: أحدهما: أنه تمنى أن يعلموا حاله ليعلموا حسن مآله وحميد عاقبته، الثاني: أنه تمنى ذلك ليؤمنوا مثل إيمانه فيصيروا إلى مثل حاله[3].

فأعظم أمنيات الداعية الصادق تحقيق السعادة للمدعوين.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ص ٦٩٣.

(٢) الأتقياء الأخفياء د. سعيد عبد العظيم ص٩٣.

(٣) النكت والعيون للماوردي ٥/ ١٤.

قال القرطبي: «في هذه الآية تنبيه عظيم على وجوب كظم الغيظ، والحلم عن أهل الجهل، والترأف على من أدخل نفسه في غمار الأشرار وأهل البغي، والتشمر في تخليصه، والتلطف في افتدائه، والاشتغال بذلك عن الشماتة به والدعاء عليه؛ ألا ترى كيف تمنى الخير لقتلته والباغين له الغوائل، وهم كفرة عبدة أصنام...»[(١)].

الثالث عشر: العاقبة الحسنى للمؤمنين والهلاك للكافرين:

بين الله عاقبة هذا الرجل المؤمن وأنه مكرم في جنات النعيم؛ قال تعالى: ﴿قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ﴾ [يس: ٢٦ - ٢٧].

وأما المكذبون الضالون فكان مصيرهم كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ﴾ [يس: ٢٨ - ٢٩]؛ فانتقم منهم ﷻ؛ لأنهم كذبوا رسله، وقتلوا أولياءه، ثم يذكر تعالى أنه ما أنزل عليهم وما احتاج في إهلاكه إياهم إلى إنزال جند من الملائكة عليهم، بل الأمر كان أيسر من ذلك؛ فما إلا صيحة واحدة أنزلها الله من السماء عليهم فإذا هم هالكون[(٢)].

فعلى الدعاة أن يعمقوا إيمانهم بهذا الأمر؛ فيتيقنوا أن العاقبة لهم وأنه ما عليهم إلا البلاغ، والنصر موعودون به من عند الله؛ قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾ [غافر: ٥١][(٣)].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٥/ ٢٠.

(٢) جامع البيان ٢٠/ ٥١١، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٦/ ٥٧٢.

(٣) المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة د. عبد الكريم زيدان ١/ ٥٥٥.

الرابع عشر: الموت بداية حياة سعيدة للدعاة:

قال تعالى: ﴿ قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ﴾ [يس: ٢٦].

الموت نقلة من عالم الفناء إلى عالم البقاء. وخطوة يخلص بها المؤمن من ضيق الأرض إلى سعة الجنة. ومن تطاول الباطل إلى طمأنينة الحق. ومن تهديد البغي إلى سلام النعيم. ومن ظلمات الجاهلية إلى نور اليقين.

الخامس عشر: الانتقام والتشفي ليس من شيم الدعاة:

قال تعالى: ﴿ قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ﴾ [يس: ٢٦].

«لما كان الطبع البشري داعياً إلى محبة الانتقام ممن وقع منه الأذى بين سبحانه أن الأصفياء على غير ذلك الحال.. فنصح لقومه حياً وميتاً يتمنى علمهم بإكرامه تعالى له ليعملوا مثل عمله فينالوا ما ناله»[١].

---

(١) نظم الدرر ٦/ ٢٥٥.

المبحث السادس

قصة مؤمن آل فرعون

المطلب الأول التعريف بمؤمن آل فرعون رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

المطلب الثاني عرض قصة مؤمن آل فرعون.

المطلب الثالث الفوائد الدعوية من قصة مؤمن آل فرعون.

المطلب الأول
التعريف بمؤمن آل فرعون رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

اختلف العلماء في اسم مؤمن آل فرعون اختلافاً كثيراً؛ فقيل: اسمه حبيب، وقيل: اسمه شمعان، وقيل: اسمه حزقيل، وقيل غير ذلك، ولا دليل على شيء من ذلك[(١)].

وكان هذا الرجل من آل فرعون، حتى قيل إنه ابن عمه، ولم يكن إسرائيلياً، فإن فرعون قد أصغى لكلامه، واستمع منه ما قاله، وتوقف عن قتل موسى عند نهيه عن قتله، ولو كان إسرائيليّاً لكان حريّاً أن يعاجله بالعقوبة على قوله، ولكنه لما كان من ملأ قومه، استمع قوله، وكف عما كان همَّ به في موسى[(٢)].

وقد أعلى الله ذكر هذا الرجل المؤمن حيث سجل موقفه في كتاب يتلى إلى يوم القيامة، وقد سميت السورة التي تناولت قصته باسمه، فإن من أسماء سورة غافر: سورة المؤمن،[(٣)] وكفي بذلك شرفاً وذكراً.

وقيل إن هذا الرجل المؤمن هو نفسه الذي في قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلۡمَلَأَ يَأۡتَمِرُونَ بِكَ لِيَقۡتُلُوكَ فَٱخۡرُجۡ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾ [القصص: ٢٠]، وقيل غيره[(٤)] إلا أن وَصْفَ هذا الرجل بالإيمان في الموضع السابق، وتجريده من هذا الوصف هنا؛ يرجح أنه غيره، لاسيما وأنه بعد تحذير هذا الرجل

(١) أضواء البيان ٦/ ٣٨٤.
(٢) جامع البيان ٢١/ ٣٧٦.
(٣) لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن ٤/ ٦٧.
(٤) أضواء البيان ٦/ ٣٨٤.

لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ توجه إلى مدين؛ وما جاءته الرسالة إلا بعد ذلك، وقصة الرجل المؤمن من آل فرعون؛ ما حدثت إلا بعد أن جاء موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى فرعون معلناً رسالته ودعوته، والله أعلم[1].

وقد أشير إلى مقولة مؤمن آل فرعون في حديث عروة بن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قلت لعبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أخبرني بأشد ما صنع المشركون برسول الله ﷺ، قال: بينا رسول الله ﷺ يصلي بفناء الكعبة؛ إذ أقبل عقبة بن أبي معيط فأخذ بمنكب رسول الله ﷺ ولوى ثوبه في عنقه، فخنقه به خنقاً شديداً، فأقبل أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ فأخذ بمنكبه ودفع عن رسول الله ﷺ، وقال: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾ [غافر: ٢٨][2].

المطلب الثاني
عرض قصة مؤمن آل فرعون

لما رأى فرعون إيمان السحرة برب موسى وهارون عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وأيقن أن أركان تجبره وسيطرته بدأت تتهاوى، نادى في قومه قائلا: ﴿ذَرُونِيٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ﴾ [غافر: ٢٦].

فلما علم موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بمقالة فرعون الشنيعة؛ قال مستعيناً بربه: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ [غافر: ٢٧] فعاذ بربه، أي: اعتصم به وتمنَّع من كل متكبر لا يصدق بالبعث والجزاء، ولا شك أن فرعون متكبر

(١) أعلام خالدة في القرآن الكريم، شحات الفيومي ص: ٤٧ - ٤٨.

(٢) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب تفسير سورة المؤمن (٤٨١٥).

لا يؤمن بيوم الحساب؛ فهو داخل في الكلام دخولاً أوليّاً، وهو المقصود بالكلام[١].

فأجاب الله تعالى طلبه ومنعه بلطفه من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب، وقيَّض له من الأسباب ما اندفع به عنه شر فرعون وملإه...

ومن جملة تلك الأسباب، هذا الرجل المؤمن من آل فرعون، الذي كان يكتم إيمانه إلى أن سمع ما همَّ فرعون بفعله؛ فلم يجد بدّاً من إظهار إيمانه؛ ومناقشة فرعون وملإه بكل حكمة وبصيرة، فإنه واحد منهم؛ يعرف طبائعهم واتجاهاتهم، فسلك معهم مسلكاً يليق بهم ويؤثر فيهم؛ وهذا ما سيتبين في النقاط التالية:

◆ أولاً: مؤمن آل فرعون يخاطب العقول والأفهام:

قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ [غافر: ٢٨].

يقول هذا الرجل المؤمن مستنكرا: كيف تستحلون قتل موسى عليه السلام؟!، ولم يكن ذنبه وجرمه سوى أن قال ربي الله، وما كان قولُه هذا مجرداً عن البينات، بل قد جاءكم بالبينات من ربكم.

ثم قال مخاطباً عقولهم؛ متنزلاً معهم في حجته؛ بعيداً عن العصبية والانفعال؛ وبلا تحيز ظاهر لموسى عليه السلام ودعوته: إن موسى بين أمرين؛ إما كاذب في دعواه أو صادق فيها؛ فإن كان كاذباً فكذبه عليه، وضرره مختص به، وإن كان صادقاً وقد جاءكم بالبينات، وأخبركم أنكم إن لم تجيبوه عذبكم الله عذاباً في الدنيا والآخرة، فإنه لا بد أن يصيبكم بعض الذي يعدكم، وبعضُ بمعنى كل؛ لأن البعض إذا أصابهم؛ أصابهم الكلُّ

(١) أضواء البيان ٦/ ٣٨٣.

لا محالة لدخوله في الوعيد، وهذا ترقيق للكلام في الوعظ، وعلى كلا التقديرين فقتله سفه وجهل منكم[(١)].

◆ ثانياً: مؤمن آل فرعون يذكر بنعم الله وآلائه:

قال تعالى وهو يواصل حاكياً خطاب الرجل المؤمن لفرعون وملإه: ﴿يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ۚ قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ [غافر: ٢٩].

أي: قد أنعم الله عليكم بهذا الملك والظهور في الأرض بالكلمة النافذة والجاه العريض، فراعوا هذه النعمة بشكر الله، وتصديق رسوله ﷺ، واحذروا نقمة الله إن كذبتم رسوله[(٢)].

وتذكيرهم بهذه النعم وتحذيرهم من زوالها من أنفع المواعظ؛ إذ النفوس مجبولة على حب ما أوتيت من النعم وما تتقلب فيه من شهواتها، وتحذر غاية الحذر من زوالها وفنائها، فاستغلال هذا المدخل لإرشادهم إلى سبب بقاء هذه النعم من الإيمان بالله وتصديق رسوله من أجلِّ وأنفع الوسائل المرجحة لقبول الدعوة والتمسك بها[(٣)].

◆ ثالثاً: مؤمن آل فرعون يخوفهم عذاب الله:

ثم قال لهم: ﴿فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا﴾، وبأس الله عذابه، وعبر بصيغة الجمع حيث جعل الأمر مشتركاً بينه وبينهم، وهذا من حسن دعوته، ليفهمهم أنه ينصح لهم كما ينصح لنفسه، ويرضى لهم ما يرضى لنفسه[(٤)].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١/ ٣٠٧، تيسير الكريم الرحمن ص ٧٣٦.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٧/ ١٤٢.

(٣) المحرر الوجيز لابن عطية ٤/ ٥٥٧؛ والمستفاد من قصص الأنبياء د. عبد الكريم زيدان ١/ ٣٤١.

(٤) تيسير الكريم الرحمن ص ٧٣٦.

ثم قال فرعون راداً على ما أشار به هذا الرجل الصالح: ﴿مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ أي: ما أقول لكم وأشير عليكم إلا ما أراه لنفسي، وما أدعوكم إلا إلى طريق الحق **والصدق والرشد، وقد كذب في هذا وذاك...:**

أما كذبه في الأولى: فإنه كان يوقن بأن ما جاء به موسى هو الحق الذي لا مرية فيه، كما دل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمًا وَعُلُوًّاۚ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ [النمل: ١٤].

وأما كذبه في الثانية: فإنه ما كان يورد قومه إلا طريق الغواية والضلال، كما دل على قوله تعالى: ﴿وَأَضَلَّ فِرۡعَوۡنُ قَوۡمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ﴾ [طه: ٧٩]

◆ رابعاً: مؤمن آل فرعون يدعو إلى الاعتبار بما حل بالسابقين:

قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُم مِّثۡلَ يَوۡمِ ٱلۡأَحۡزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثۡلَ دَأۡبِ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمًا لِّلۡعِبَادِ﴾ [غافر: ٣٠ - ٣١].

واستمر هذا الرجل المؤمن مكررا دعوة قومه مظهراً شفقته وحرصه عليهم، مذكراً لهم بما حل بالأحزاب من قبلهم؛ يعني الأمم المكذبين؛ من قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم؛ الذين تحزبوا على أنبيائهم، واجتمعوا على معارضتهم؛ فعاقبهم الله في الدنيا قبل الآخرة، وتلك عادة الله وسنته فيمن يكذب بآيات الله ورسله، ﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمًا لِّلۡعِبَادِ﴾ فيعذبهم بغير ذنب أذنبوه، ولا جرم أسلفوه[١].

◆ خامساً: مؤمن آل فرعون يحذر من عذاب الآخرة:

لما خوف هذا الرجل المؤمن فرعون وملأه من العقوبات الدنيوية؛ زاد فخوفهم

(١) تيسير الكريم الرحمن ص ٧٣٦.

العقوبات الأخروية، فقال: ﴿وَيَٰقَوْمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ [غافر: ٣٢ - ٣٣].

يوم التناد يعني يوم القيامة؛ ذاك اليوم الذي يولون فيه مدبرين؛ أي: ذاهبين هاربين، إلا أنه لا مانع لهم يمنعهم من بأس الله وعذابه[١].

◆ **سادساً: مؤمن آل فرعون يبين أن موسى عليه السلام ليس ببدع من الرسل:**

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر: ٣٤ - ٣٥].

أي: قد جاءكم يا أهل مصر يوسف بن يعقوب عليه السلام من قبل موسى بالواضحات من حجج الله؛ فلم تزالوا مرتابين فيما أتاكم به؛ حتى إذا مات يوسف؛ قلتم لن يبعث الله من بعده إليكم رسولاً يدعو إلى الحق، كل ذلك بغير حجة ولا برهان[٢].

وفي هذا دعوة لهم للتوبة والعودة إلى الحق المبين، وأن يكونوا خيراً مِن مَن سبقوهم الذين كفروا بيوسف عليه السلام.

◆ **سابعاً: مؤمن آل فرعون يرغب في الآخرة ويزهد في الدنيا:**

قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَاۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٧/ ١٤٣.

(٢) جامع البيان ٢١/ ٣٨٤.

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ يُرۡزَقُونَ فِيهَا بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ [غافر: ٣٨ - ٤٠].

يقول لهم مبتدئاً موعظته بندائهم ليلفت إليه أذهانهم، وذكَّرهم أنهم قومه لتَصْغَى إليه أفئدتُهم؛ اتبعونِ أهدِكُم سبيل الرشاد، ولا تتبعوا فرعون؛ فإنه لا يهديكم إلا طريق الغي والفساد.

وسبيل الرشاد مجملٌ فصله بما ذكّرهم به بعده؛ أن الحياة الدنيا محدودة بأجل غير طويل؛ يتمتع بها ويتنعم قليلاً ثم تنقطع وتضمحل، وأن وراءها حياةً أبدية؛ هي محل الإقامة، ومنزل السكون والاستقرار.

فقد علمَ أن تشبثهم بدينهم الباطل منبعثٌ عن محبة السيادة والرفاهية، وذلك من متاع الدنيا الزائل وأن الخير لهم هو العمل للسعادة الأبدية[١].

◆ ثامناً: مؤمن آل فرعون يبين طريق النجاة وأسباب الهلاك:

قال تعالى: ﴿وَيَٰقَوۡمِ مَا لِيٓ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدۡعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ٤١ تَدۡعُونَنِي لِأَكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشۡرِكَ بِهِۦ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞ وَأَنَا۠ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡغَفَّٰرِ ٤٢ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِ لَيۡسَ لَهُۥ دَعۡوَةٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَلَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ [غافر: ٤١ - ٤٣].

الدعاء إلى طاعة الله وعبادته وتوحيده؛ هو الدعاء إلى سبب النجاة، فجعله دعاء إلى النجاة اختصاراً واقتضاباً، وكذلك دعاؤهم إياه إلى الكفر واتباع دينهم؛ هو دعاء إلى سبب دخول النار، فجعله دعاء إلى النار اختصاراً، ثم بين ما بين الدعوتين من البون فإن دعوتهم شرك وكفر، ودعوته سبيل إلى نيل مغفرة الله وجنته[٢].

(١) التحرير والتنوير ٢٤/ ٢٠٠، تيسير الكريم الرحمن ص ٧٣٧.

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية ٤/ ٥٦١.

◆ **تاسعاً: ختام موعظة مؤمن آل فرعون:**

لما نصحهم، وحذرهم، وأنذرهم، ولم يطيعوه ولا وافقوه؛ قال لهم: ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [غافر: ٤٤].

أي: سوف تعلمون صدق ما أمرتكم به ونهيتكم عنه، ونصحتكم ووضحت لكم، وتتذكرونه، وتندمون حيث لا ينفعكم الندم. وأفوض أمري إلى الله فهو بصير بعباده، فيهدي من يستحق الهداية، ويضل من يستحق الإضلال، فله الحكمة التامة، والقدر النافذ[١].

◆ **عاشراً: حسن عاقبة مؤمن آل فرعون وسوء عاقبة فرعون وقومه:**

قال تعالى: ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ ۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾

[غافر: ٤٥ – ٤٦]

وقى الله بلطفه ورحمته هذا الرجل المؤمن من إهلاك فرعون وملإه له وبطشهم به، فأنه لما دعاهم إلى ما دعاهم إليه موسى، أرادوا به كيداً فحفظه الله من كيدهم ومكرهم، وانقلب كيدهم ومكرهم على أنفسهم، ففي الدنيا أغرقهم الله تعالى عن آخرهم، وفي البرزخ تُعرض أرواحهم على النار صباحاً ومساء إلى قيام الساعة، فإذا كان يوم القيامة اجتمعت أرواحهم وأجسادهم في النار[٢].

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٧/ ١٤٦.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير٧/ ١٤٦، تيسير الكريم الرحمن ص ٧٣٨.

المطلب الثالث
الفوائد الدعوية من قصة مؤمن آل فرعون

أولاً: الحكمة في الدعوة وتفويض الأمور إلى الله:

لقد وفق الله مؤمن آل فرعون لسلوك الحكمة في الدَّعوة إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، حيث خاطبهم بما هو أليق بهم وبما لا ينفرهم منه؛ بل أشعرهم أنه منهم يهمه ما أهمهم، وهو على علم تام بحالهم وكيفية دعوتهم، وهكذا ينبغي أن تكون الدعوة.

ثم هو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مفوِّضٌ أمرَهُ في ذلك إلى الله جَلَّ جَلَالُهُ، طالباً توفيقه ومدَّه وعونه منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [غافر: ٤٤]. «أي وأسلم أمري إليه وأجعله له وأتوكل عليه، فإنه الكافي من توكل عليه»[(١)].

«والتفويض ألطف إشارة وأوسع من التوكل بعد وقوع السبب، والتفويض قبل وقوعه وبعده، وهو عين الاستسلام، والتوكل شعبة منه.. التفويض ثلاث درجات: **الأولى**: أن تعلم أن العبد لا يملك قبل علمه استطاعة، فلا يأمن من مكر، ولا ييأس من معونة، ولا يعول على نية، **والثانية**: معاينة الاضطرار فلا ترى عملاً منجياً ولا ذنباً مهلكاً ولا سبباً حاملاً، **والثالثة**: شهود انفراد الحق بملك الحركة والسكون والقبض والبسط والتفريق والجمع»[(٢)].

(١) محاسن التأويل ٨/ ٣١١.
(٢) نظم الدرر ٦/ ٥١٩.

ثانياً: منهجية دعوة الأنبياء وأثرها:

لقد سلك مؤمن آل فرعون في دعوته منهجاً لا يختلف أبداً عن دعوة الرسل عليهم السلام؛ ففي دعوته تجد الدعوة إلى التوحيد: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ﴾ [غافر: ٢٨].

وتجد إثبات النبوة والرسالة: ﴿وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾ [غافر: ٢٨].

وتجد إثبات البعث والجزاء: ﴿وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [غافر: ٣٢ - ٣٣].

وتلك هي الأصول المنهجية للدعوة[١].

ثالثاً: تكرار الدعوة وعدم اليأس من استجابة المدعوين:

فإن مؤمن آل فرعون ما برح ينصح مكرراً دعوة قومه؛ غير آيس من هدايتهم، كما هي حالة الدعاة إلى الله تعالى، لا يزالون يدعون إلى ربهم، ولا يردهم عن ذلك راد، ولا يثنيهم عتوُّ مَن دَعَوْهُ عن تكرار الدعوة[٢].

وقال تعالى عن سيدنا نوح عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا﴾ [نوح: ٥] وقال بعد ذلك أيضاً: ﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾ [نوح: ٨ - ٩].

رابعاً: اهتمام الداعية بهداية الناس:

لقد غرس في قلب هذا الرجل الحرص على هداية الناس حيث قال لقومه: ﴿يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِن بَأْسِ اللَّهِ إِن جَاءَنَا﴾ فهو يشعرهم أن

---

(١) أعلام خالدة في القرآن الكريم، شحات الفيومي ص٥٠ - ٥١.

(٢) تيسير الكريم الرحمن ص ٧٣٦.

أمرهم يهمه، فهو واحد منهم، ينتظر مصيره معهم وهو إذن ناصح لهم مشفق عليهم، لعل هذا أن يجعلهم ينظرون إلى تحذيره باهتمام، ويأخذونه مأخذ البراءة والإخلاص.

خامساً: بيان أن الحق ما بني على دليل وبينة:

الحق هو ما بان عليه الدليل ووافقه العقل السليم، لا مجرد الدعاوى والزخارف القولية وقوة الجبروت والظلم والطغيان، كما وضحها في احتجاجه واستدلاله، كما في قوله: ﴿وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾ وقوله: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾

سادساً: إظهار الإيمان حيث يَحْسُن الإظهار والعكس:

ويحسن من المؤمن إظهار إيمانه حيث يحسن الإظهار، كما لو كان في هذا مصلحة للدعوة، وكذا الداعي عليه أن يظهر أنه من الدعاة إلى الله إذا كان في ذلك مصلحة للدعوة، ومثله المستجيب للدعوة.

فهذا مؤمن آل فرعون بعد أن كان يكتم إيمانه؛ فإنه لما رأى تآمر فرعون وملإه على قتل موسى عليه السلام؛ أظهر إيمانه ليدافع عن موسى عليه السلام ويبين لهم سوء ما عزموا عليه[1].

سابعاً: استغلال الصلة بالسلطان لمصلحة الدعوة والدعاة:

للداعي أن يستغل صلته بذي السلطان لمصلحة الدعوة والدعاة؛ فإنه لصلته يكون أدعى للسماع منه والاذعان لقوله، فهذا مؤمن آل فرعون استغل ذلك فقام فيهم ناصحاً بأسلوب حكيم، ومتنزلاً معهم في الحوار مشعراً لهم أنه منهم يهمه

(١) المستفاد من قصص الأنبياء للدعوة والدعاة د. عبد الكريم زيدان ١/ ٣٧٧.

ما أهمهم، ولولا صلته بآل فرعون لما سمعوا كلامه ولهموا بقتله أو على الأقل أخرسوه عن كلامه.[١]

ثامناً: التلطف في مناصحة ذوي السلطان:

إن مؤمن آل فرعون وهو يعظ فرعون وملأه وينصح لهم؛ لم يحد عن الأدب والتلطف وجميل النداء، فإنه قد تكرر مناداته لهم بـ: ﴿يَٰقَوۡمِ﴾، وفي قوله: ﴿فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأۡسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا﴾ [غافر: ٢٩]. فإنه عبر بصيغة الجمع ليشعرهم بقربه منهم وأنه يريد نصحهم ونجاتهم.

وهكذا ينبغي على الداعية ان يتلطف مع ذوي السلطان إن هو أراد مناصحتهم، ومن ذلك أن ينصحهم سراً؛ فعن عياض بن غَنْم رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(من أراد أن ينصح لذي سلطان؛ فلا يبده علانية، ولكن يأخذ بيده، فيخلوا به، فإن قبل منه؛ فذاك، وإلا كان قد أدَّى الذي عليه)**[٢].

تاسعاً: فطنة مؤمن آل فرعون في المناظرة:

ففي قوله: ﴿وَإِن يَكُ كَٰذِبٗا فَعَلَيۡهِ كَذِبُهُۥۖ وَإِن يَكُ صَادِقٗا يُصِبۡكُم بَعۡضُ ٱلَّذِي يَعِدُكُمۡ﴾ «ضرب من إيهام الشك في صدق موسى ليكون كلامه مشتملاً على احتمالَيْ تصديق وتكذيب يتداولهما في كلامه فلا يؤخذ عليه أنه مصدق لموسى بل يُخيل إليهم أنه في حالة نظر وتأمل ليسوق فرعون وملأه إلى أدلة صدق موسى بوجه لا يثير نفورهم»[٣].

(١) المستفاد من قصص الأنبياء للدعوة والدعاة د. عبد الكريم زيدان ١/ ٣٧٨.
(٢) السنة لابن أبي عاصم ٢/ ٥٢١ (١٠٩٦)، وصححه الألباني في ظلال الجنة، في تخريج السنة ٢/ ٢٧٣.
(٣) التحرير والتنوير ٢٤/ ١٣٠.

عاشراً: الانتصار للمظلوم والذبِّ عن عرض الغائب:

إن قيام مؤمن آل فرعون أمام فرعون مدافعاً عن موسى ودعوته لمن أشجع المواقف وأنبلها، ويكفي هذا الرجل شرفاً أن الله سجل موقفه هذا في القرآن بآيات تتلى إلى قيام الساعة، قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقد كان هذا الرجل يكتم إيمانه عن قومه القبط، فلم يظهر إلا هذا اليوم حين قال فرعون: ﴿ذَرُونِيٓ أَقۡتُلۡ مُوسَىٰ﴾ [غافر: ٢٦]، فأخذت الرجل غضبة لله عَزَّوَجَلَّ»[١].

وهكذا يكون المسلم، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال ﷺ: **(... المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره...)**[٢].

والشاهد في قوله: (ولا يخذله) فمعنى الخذل: ترك الإعانة والنصر[٣].

وعن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عن النبي ﷺ قال: **(من ردَّ عن عِرض أخيه؛ ردَّ الله عن وجهه النار يوم القيامة)**[٤].

ومن أجمل المواقف في الذبِّ عن عرض المسلم أثناء غيبته؛ ما رواه مسلم في صحيحه؛ في حديث غزوة تبوك الطويل وتخلُّفِ من تخلف عنها، وفيه: فقال رسول الله ﷺ وهو جالس في القوم بتبوك: **(ما فعل كعب بن مالك؟)** قال رجل من بني سلمة: «يا رسول الله؛ حبسَه بُرْدَاهُ والنظرُ في عِطْفَيْه»[٥] فقال له معاذ بن جبل: بئس ما قلت؛ والله

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٧/ ١٤٠.
(٢) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله (٦٥٤١).
(٣) شرح صحيح مسلم للنووي ١٦/ ١٢٠.
(٤) جامع الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الذب عن عرض المسلم (١٩٣١)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن؛ وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (٦٢٦٢).
(٥) والنظر في عِطْفَيْه؛ أي: جانبيه، وهو إشارة إلى إعجابه بنفسه ولباسه، وقول معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دليل على رد غيبة المسلم الذي ليس بمتهتك في الباطل، وهو من مهمات الآداب وحقوق الإسلام. شرح صحيح مسلم للنووي ١٧/ ٨٩.

يا رسول الله ما علمنا عليه إلا خيراً، فسكت رسول الله ﷺ...»[١].

الحادي عشر: أن النصر حليف الدعاة إلى الله تعالى والعاقبة للمتقين:

لقد أظهر هذا الرجل إيمانه بعد أن كان يكتمه عن فرعون وملإه، وبادأهم بما يكرهون، وأظهر لهم الموافقة التامة لموسى عليه السلام، ودعاهم إلى ما دعاهم إليه موسى، وهذا أمر لا يحتملونه وهم الذين لهم القدرة إذ ذاك، وقد أغضبهم واشتد حنقهم عليه، فأرادوا به كيداً فحفظه الله من كيدهم ومكرهم، وانقلب كيدهم ومكرهم على أنفسهم، قال تعالى: ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٥][٢].

وهذه سنة الله في عباده الداعين إلى سبيله؛ الصابرين على دعوته، قال تعالى في تمام قصة مؤمن آل فرعون: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ﴾ [غافر: ٥١].

فهذه الآية الكريمة وغيرها تدل على أن الرسل صلوات الله وسلامه عليهم وأتباعهم منصورون دائماً على الأعداء بالحجة والبيان، ومن أُمِر منهم بالجهاد منصور أيضاً بالسيف والسنان، ومن الآيات الدالة على ذلك أيضاً:

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوۡمِهِمۡ فَجَآءُوهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمۡنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٤٧﴾ [الروم: ٤٧] وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ سَبَقَتۡ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٧١ إِنَّهُمۡ لَهُمُ ٱلۡمَنصُورُونَ ١٧٢ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ﴾ [الصافات: ١٧١ - ١٧٣][٣]

(١) صحيح مسلم، كتاب التوبة، باب حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه (٧٠١٦).
(٢) تيسير الكريم الرحمن ص ٧٣٨.
(٣) أضواء البيان ٦/ ٣٢١.

المبحث السابع

قصة غلام أصحاب الأخدود

الدعوة الإسلامية على مر العصور والأزمان مرتبطٌ بعضها ببعض، فكان لزاماً على الدعاة إلى الله الأخذ بقصص الدعاة الأقدمين، والاقتداء بهم، خصوصاً عند إيراد قصصهم ومواقفهم الدعوية في كتاب الله تعالى وفي سنة رسوله ﷺ، لتحقق الحكمة الدعوية من إيرادها وسردها على أهل هذه الأمة.

ومن تلك القصص المؤثرة جداً.. قصة أصحاب الأخدود، نعرضها من خلال المطالب التالية:

المطلب الأول عرض قصة غلام الأُخدود في الكتاب والسنة.

المطلب الثاني الفوائد الدعوية من قصة غلام الأُخدود.

المطلب الأول
عرض قصة غلام الأخدود في الكتاب والسنة

قال تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ۝١ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ۝٢ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۝٣ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝٧ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝٨ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۝٩ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ۝١٠ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ﴾ [البروج: ١ - ١١].

عن صهيب الرومي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

(كان ملك فيمن كان قبلكم، وكان له ساحر، فلما كبر قال للملك: إني قد كبرت فابعث إلي غلاماً أعلمه السحر. فبعث إليه غلاماً يعلمه، فكان في طريقه إذا سلك راهب فقعد إليه وسمع كلامه فأعجبه، فكان إذا أتى الساحر مر بالراهب وقعد إليه، فإذا أتى الساحر ضربه فشكا ذلك إلى الراهب فقال: إذا خشيت الساحر فقل: حبسني أهلي، وإذا خشيت أهلك فقل: حبسني الساحر.

فبينما هو كذلك إذ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس، فقال: اليوم أَعلم الساحر أفضل أم الراهب أفضل؟ فأخذ حجراً فقال: اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضي الناس، فرماها فقتلها، ومضى الناس،

فأتى الراهب فأخبره، فقال له الراهب: أي بني أنت اليوم أفضل مني، قد بلغ من أمرك ما أرى وإنك ستبتلى فإن ابتليت فلا تدل علي.

وكان الغلام يبرئ الأكمه والأبرص ويداوي الناس من سائر الأدواء فسمع جليس للملك كان قد عمي فأتاه بهدايا كثيرة فقال: ما هاهنا لك أجمع إن أنت شفيتني، فقال: إني لا أشفي أحداً إنما يشفي الله فإن أنت آمنت بالله دعوت الله فشفاك، فآمن بالله فشفاه الله. فأتى الملك فجلس إليه كما كان يجلس، فقال له الملك: من رد عليك بصرك؟ قال: ربي. قال: أولك رب غيري؟ قال: ربي وربك الله، فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام. فَجِيء بالغلام فقال له الملك: أي بني قد بلغ من سحرك ما تبرئ الأكمه والأبرص وتفعل.. وتفعل، فقال: إني لا أشفي أحداً إنما يشفي الله، فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب، فجيء بالراهب فقيل له: ارجع عن دينك!! فأبى. فدعي بالمنشار فوضع المنشار على مفرق رأسه فشقه حتى وقع شقاه. ثم جيء بجليس الملك فقيل له: ارجع عن دينك!! فأبى. فوضع المنشار في مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقاه. ثم جيء بالغلام فقيل له: ارجع عن دينك!! فأبى. فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا فاصعدوا به الجبل فإذا بلغتم ذروته فإن رجع عن دينه وإلا فاطرحوه. فذهبوا به فصعدوا به الجبل فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت فرجف بهم الجبل فسقطوا. وجاء يمشي إلى الملك: فقال له الملك ما فعل أصحابك؟ قال: كفانيهم الله. فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: اذهبوا به فاحملوه في قرقور[1]

---

(١) قرقور: بضم القافين وهي السفينة قيل الصغيرة وقيل الكبيرة. ينظر: شرح صحيح مسلم للنووي ٨/ ١٣١، والديباج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج ٦/ ٣٠٦.

فتوسطوا به البحر فإن رجع عن دينه وإلا فاقذفوه. فذهبوا به فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت فانكفأت بهم السفينة فغرقوا[١].

وجاء يمشي إلى الملك. فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ قال: كفانيهم الله. فقال للملك: إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به، قال: وما هو؟ قال: تجمع الناس في صعيد واحد، وتصلبني على جذع، ثم خذ سهما من كنانتي، ثم ضع السهم في كبد القوس، ثم قل: باسم الله رب الغلام، ثم ارمني، فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني. فجمع الناس في صعيد واحد، وصلبه على جذع، ثم أخذ سهماً من كنانته، ثم وضع السهم في كبد القوس، ثم قال: باسم الله رب الغلام ثم رماه فوقع السهم في صدغه فوضع يده في صدغه في موضع السهم فمات. فقال الناس: آمنا برب الغلام آمنا برب الغلام آمنا برب الغلام. فأُتي الملك فقيل له: أرأيت ما كنت تحذر؟ قد والله نزل بك حذرك، قد آمن الناس. فأمر بالأخدود في أفواه السكك فخدت وأضرم النيران، وقال: من لم يرجع عن دينه فأحموه[٢] فيها - أو قيل له: اقتحم - ففعلوا، حتى جاءت امرأة ومعها صبي لها فتقاعست أن تقع فيها، فقال لها الغلام: يا أمه اصبري فإنك على الحق)[٣].

---

(١) أشكل على بعض الباحثين أن نجران لا بحر فيها. والجواب فيما قاله السهيلي في الروض الأنف ص٩٦: (فأرسله إلى مياه نجران، وهي بحور لا يقع فيها شيء إلا هلك)، وهكذا قال ابن الأثير في الكامل في التاريخ ١/ ١٤٦، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن ١٩/ ٢٩٢. ولا يستبعد أن يكون البحر هو الأحمر، لما ورد في كتب التاريخ عن علاقتهم بالحبشة وملوكها.

(٢) فأحموه: بهمزة قطع وحاء ساكنة أي: ارموه. وفي رواية بالقاف (فاقحموه) أي: اطرحوه كرهاً. ينظر: شرح صحيح مسلم للنووي ١٨/ ١٣٢، والديباج في شرح صحيح مسلم للسيوطي ٦/ ٣٠٦.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الزهد، باب قصة أصحاب الأخدود والساحر والراهب والغلام (٣٠٠٥).

المطلب الثاني
الفوائد الدعوية من قصة غلام الأُخدود

هذه القصة مليئة بالوقفات والمعالم الدعوة التي لا بد أن يتربى عليه الدعاة وتكون دستوراً لهم في سيرهم في الدعوة الله تعالى.. نجملها في النقاط التالية[(١)]:

➢ أولاً: عناية أعداء الإسلام بإضلال النشء ودور الدعاة الوقائي:

فالساحر قد أتى بغلام ليعلمه السحر، فقد جاء طلب الساحر في رواية الترمذي بعبارة: (انظروا إلي غلاماً فَهماً أو قال: فَطناً لَقِناً فأعلمه علمي)[(٢)] «وهذا يكشف بُعداً خطيراً يهدف إلى إفساد الفطرة بالتركيز على النابهين أصحاب المواهب والقدرات.

والداعية الحقيقي هو الذي يشعر بمسئوليته تجاه الفطرة الإنسانية وحمايتها من أي تأثير جاهلي ويحس إحساساً عميقاً بقيمة تلك الفطرة في واقع دعوته. فالفطرة هي رصيد الدعوة في الواقع الجاهلي وحينما تفسد فلن يكون للدعوة أي وجود أو امتداد، وهذا ما قام به الراهب.

➢ ثانياً: اهتمام العلماء بتوريث العلم:

يجب أن يكون هناك اهتمام بتوريث الدعوة والعلم، فالناظر إلى بداية القصة يجد

---

(١) تم تلخيص مادة هذه المعالم من كتاب قصة أصحاب الأخدود لرفاعي سرور، مع التصرف وبعض الزيادات ووضع عناوين تلك المعالم.

(٢) جامع الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب سورة البروج (٣٣٤٠)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

أن الساحر مع كفره وخطورة السحر على الناس وعلى الدين، كان حريصاً على أن يورث هذا السحر لكي لا ينقطع، فأخبر الملك بما يريد فأجابه.

فأولى بأصحاب الدعوات أن يورثوا الدعوة ويهتموا بمن سيورثونهم هذا المجال.

وكذلك فعل الراهب مع ترهبه وانقطاعه للعبادة إلا أنه كان حريصاً على تعليم الغلام وتوريثه العلم الشرعي مع العناية والرعاية له.

فلا بد للدعوة من دماء جديدة، تحمل همَّ الدعوة، ومنهجها الصحيح النقي الصافي، تحمله من أشياخهم، الذين أخذوه عن سلفهم، الذين أخذوه عن صحابة رسول الله ﷺ، فالاهتمام بالنشأ وإعدادهم ليكونوا دعاة لأقوامهم يعطي للدعوة الديمومة والاستمرار والامتداد لها جيلاً بعد جيل.

ولذا لا بد من اختيار صغار السن من الشباب والفتيان والنجباء، ليحسن تنشئتهم وتربيتهم على الدعوة.

➢ ثالثاً: حقيقة هذا الدين وموافقته للفطر السليمة:

فقد جاء: (وكان في طريقه إذا سلك راهب فقعد إليه وسمع كلامه فأعجبه).

يلتقى الغلام بالراهب في طريقه إلى الساحر، فقعد إليه وسمع كلامه فأعجبه، ولم يكن هذا سهلاً على نفس الغلام فقد كان يتعلم السحر من الساحر والدين من الراهب مع ما بينهما من تناقض، فالدين حقائق واضحة، وفكر منظم، بينما السحر ضلالات غامضة، وكذب ملفق، والدين يربي العقول، والسحر يغتالها، والدين يعالج الواقع، والسحر يضلل عنه، والدين يبني الحياة، والسحر يهدمها، ولهذا كان صعباً

على الغلام أن يستمر في تلقيه الدين والسحر باطمئنان ولكنه يجلس إلى الراهب راغباً وإلى الساحر كارهاً.

➢ رابعاً: أهمية القدوة في تأهيل الدعاة:

عند تأهيل الدعاة وتوريث الدعوة لهم فيجب أن يكون الداعية صاحب تأثير في قلب من سيقوم بتوريثهم الدعوة، ولذا قال رسول الله ﷺ: **(فكان في طريقه إذا سلك راهب فقعد إليه وسمع كلامه فأعجبه)** ولو أن هذا الراهب لم يكن كلامه مؤثراً في قلب الغلام فلن يتأثر الداعية الجديد ولن يثبت ولن يقتنع بالسابقين من الدعاة.

فالغلام كان يُضْرب من قبل أهله، ومن قبل الساحر، وكان يصبر ويتحمل المكاره في سبيل تعلم ما ينفعه من الراهب، وهذا يبين مدى تأثير الراهب في الغلام.

وفي موقف آخر ثبات الراهب حتى قتل أمام الغلام من أجل هذا الدين، فقد جاء في القصة **(فجيء بالراهب فقيل له ارجع عن دينك!! فأبى، فدُعي بالمنشار فوضع المنشار على مفرق رأسه فشقه حتى وقع شِقَّاه)**، والغلام ينظر إليه.

ونتيجة لتلك التربية القولية والعملية، وقف الغلام أمام الملك وصدع بكلمة الحق، ولم يثنه عن دينه ودعوة الناس، رغم تلك التهديدات، فقدم نفسه لله تعالى لتنتصر الدعوة، اقتداءً بشيخه ومعلمه الراهب، فآمن كل الناس، فهذه هي نتيجة الاعتناء والتربية والصبر على تعليم وتربية الدعاة.

➢ خامساً: الرفق بالدعاة الجدد عند توريثهم الدعوة:

لا بد للدعاة الكبار أن يكون فيهم الشفقة والرحمة بالدعاة الجدد الذين سيرثونهم دعويّاً، فالراحمون يرحمهم الرحمن، وتأمل قول الراهب وهو يخاطب الغلام: **(أي**

بني) بكل ما تعنيه الكلمة من عطف وحنان الأب على ولده.

بخلاف ذلك الساحر الذي يعلم السحر مع كفره وكفر ما يعلمه للغلام، إذ يوجد معه قسوة وعدم رحمةٍ، بل وَرَّثَه نُفرةً من السحر وصاحبه، وكُرْهاً لذلك العمل الذي لا يحث صاحبه والعامل به على الرحمة بالناس.

سادساً: أهمية وجود الداعية المرجعية للدعاة:

إن ثقة الجيل الجديد من الدعاة في السابقين لهم في الدعوة يجعل منهم مرجعية للدعاة في كل ما يواجهونه من محن في طريق الدعوة.. ولا بد أن يجدوا عندهم من رصيد الحكمة والتجربة ما يزيل أو يخفف من المشكلات التي تواجههم وهم مقبلون على طريق الدعوة.

فقد كان الغلام يتعرض يومياً للضرب من قبل الساحر لتأخره، وهو يريد الاستمرار.. فلثقته بالراهب استشاره لثقته فيه ولأنه يعلم أن عنده الحل لمشكلته.

فالغلام يشتكي إلى الراهب هذا البلاء شكوى الذي يعاني من مشكلة تعوق انطلاقه واستمراره ولم تكن شكوى الذي يقدم المعاذير ليتخلى ويتراجع، والحاسة السليمة للدعاة هي التي تكشف علة أي شكوى.

وهنا يأتي دور الرعيل الأول من الدعاة في **محاولة** إزالة العقبات التي تواجه الدعاة الجدد في طريق الدعوة والتربية والسير في الطريق الحق، فهو واجب تفرضه الدعوة على الدعاة ليمهدوا الطريق أمام من يستجيب لهم، فيقترحون الحلول المناسبة كما قال الراهب للغلام **(إذا خشيت الساحر فقل: حبسني أهلي، وإذا خشيت أهلك فقل: حبسني الساحر)**، وهكذا يخرج الراهب الغلام من مشكلته.

وموقف آخر يلجأ الغلام للراهب ليعرف منه حقيقة الأمر، وهو موقف الدابة، التي سدت على الناس الطريق، وأبعدها هو بدعائه: (**اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة**) ورماها بحجر فقتلها ومضى الناس، فيعرض فعله على شيخه ليصوبه إن كان خاطئاً؛ فيكون الجواب: (**أي بني أنت اليوم أفضل مني**).

وبهذا يعلم الجيل الجديد من الدعاة أنهم سلكوا طريق الدعوة ووصلوا لمرحلة مهمة فيها، وأصبح لهم تأثير في المجتمع، ليتولوا بذلك زمام أمور الدعوة.

➢ سابعاً: أهمية بيان حقيقة طريق الدعوة وأنه طريق ابتلاء وتمحيص:

فلا بد للرعيل الأول أن يبينوا للجيل الجديد حقيقة طريق الدعوة له الواقع، فالراهب لما ذَكر للغلام ميزته؛ أتبعها بالمسئولية التي تقع عليه باعتبار تلك الميزة، وهذا في الواقع حماية للإنسان من الغرور؛ لأن الإحساس بتكاليفها يجعل الإنسان يعيش في شعور دائم بميزاته فينحرف به ذلك الشعور إلى الغرور ولهذا لما قال الراهب للغلام: (**إنك اليوم أفضل مني**) قال لـه: (**وإنك ستبتلى**).

فالابتلاء سنةٌ كونية لكل من سلك طريق الدعوة، فما من نبي أرسله الله تعالى إلى قومه إلا وأعطاه نصيبه من هذا البلاء، كلٌ بقدره، وقد صرَّح بذلك ﷺ، فعن مصعب بن سعد، عن أبيه، قال: قلت: يا رسول الله، أي الناس أشد بلاء؟ قال: (**الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، فيبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان دينه صلباً اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة ابتلي على حسب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض ما عليه خطيئة**)[١].

---

(١) جامع الترمذي، كتاب الزهد، باب ما جاء في الصبر على البلاء (٢٣٩٨). وقال: هذا حديث حسن صحيح.

فالذين يتلقون هذا الدين ويعلمون أنهم سيبتلون ويختبرون، هم الذين يبقون إلى النهاية، وأخذ هذا الدين بقوة هو ضمان الاستمرار عليه، وبذلك أراد الله تبارك وتعالى أن يتفق تكوين هذا الغلام مع طبيعة الدعوة وأن لا تشذ شخصيته عن تكاليفها فابتلاه الله في لحظات التكوين ووقت النمو وفترة التربية فصدق وصبر حيث كان يضرب يوماً من الساحر ولكنه كان يصر على التربية على يد الراهب.

➢ ثامناً: يقظة الداعية واستخدام كل الفرص في الدعوة:

فالدابة التي تسد على الناس طريق سيرهم تمثل في إحساس الغلام طاغوتاً يسد على الناس طريق هدايتهم، فيأخذ حجراً ويدعو الله ليكون سبباً في قتل الدابة فيقتلها، ويمضي الناس فيعلم الغلام أن الحق الذي أكده قدر الله بقتل الدابة هو الحق الذي عليه الراهب.

ومعنى استغلال الغلام لموقف الدابة التي تسد على الناس الطريق هو حياة الدعوة في كيان الغلام فهذه الحياة هي التي جعلته يلتقط الموقف بمعناه الكامل وأبعاده النهائية وهذا شأن الدعوة حينما تكون في حياة الداعية فينظر إلى كل شيء من خلالها ويفسر بها أي معنى أو حدث لأنها عقيدته وتصوره وواقعه وليست رغبة شخصية قد تتغير أو ميلاً بالفكر قد ينسى.

➢ تاسعاً: تجرد الداعية من حظوظ النفس:

لقد قال الراهب للغلام: (أي بني أنت اليوم أفضل مني) كلمات كلها إخلاص وتجرد. فهذا الراهب المعلم كان أصيلاً إذ أخبر الغلام أنه قد أصبح أفضل منه بلا حرج، ومن أين سيأتيه الحرج وقد خلصت نفسه لله تبارك وتعالى؟ فهو لم يكن يعلم ليقال عنه عالم، ولم يكن يدعو ليكون على رأس أتباع؛ ولهذا يفتح الطريق لمن يظن

أنه يملك خدمة الدعوة أكثر منه؛ فيجعل من نفسه نقطة على محيط دائرة النمو العقيدي والحركي للغلام.

وإذا تذكرنا أن الغلام كان صغيراً سناً، وأنه ما التقى بالراهب إلا منذ وقت قريب فإننا ندرك مدى الفهم الصحيح عند الراهب للدعوة؛ فالدعوة ليست بالعمر الذي يعيشه الإنسان ولكن بالإيمان والكفاءة والأثر.

وبذلك يمثل الراهب في واقع الدعوة ضرورة القيادة الزاهدة التي لا تريد حظاً من الدنيا، فالقيادة الزاهدة يبارك الله فيها.

➢ عاشراً: المعايشة الأبوية للداعية:

مع حسن التجرد من الراهب نرى المعايشة الأبوية كذلك تجاه الغلام؛ إذ أن الراهب أخبر غلامه بأنه أفضل منه بنفس راضية وبقوله: **(أي بني)** مهما كانت العلاقة الإنسانية في العمل الحركي حاسمة وساخنة فلابد أن لا تنقصها الوجدانية.

➢ الحادي عشر: أهمية تقديم النفع للناس وتلبية احتياجاتهم:

جاء في الرواية أن الغلام: (كان يبرىء الأكمه والأبرص ويداوي الناس من سائر الأدواء.. فسمع جليس للملك كان قد عمى فأتاه بهدايا كثيرة فقال: ما ههنا لك أجمع إن أنت شفيتني)

إن الإقناع مهما بلغت إمكانياته، لا يكفي بدون تقديم الخير للناس، ليكون الإقناع بالعقل في الدعوة مع تأليف القلوب بالحب لها، وإن نطاق الدعوة لن يتعدى نطاق المنافع التي يؤلف بها هؤلاء الدعاة قلوب الناس.

إن الغلام ينطلق بدعوته فيسير بالمعروف بين الناس مؤلفاً قلوبهم بالمنافع

والخير مؤكداً إنسانية الدعاة وحبهم للبشر ويكون عمله هذا تحقيقاً لقدر الله في حياة هؤلاء الناس ليؤمنوا بعد ذلك من خلال شفائهم ومداواتهم من سائر الأدواء بعد أن يحب الناس القدر الذي يتحقق فيهم باعتباره مداواة وشفاء ويصير حب القدر حباً لله وهو محقق هذا القدر وحباً للغلام وهو سبب هذا القدر وحباً للدعوة وهي حكمة هذا القدر..

فقد قال الغلام لجليس الملك **(أنا لا أشفي أحداً ولكن الله هو الذي يشفي)** إنما أكد بذلك عقيدته من خلال المنفعة التي قدمها للجليس. وهذا هو الأساس الأول الذي تقوم عليه فكرة تأليف القلوب في الدعوة إذ أنه يجب أن ترتبط المنفعة المقدمة بالعقيدة المعروضة وهذا الارتباط هو الذي سيعطي لتلك العقيدة قيمتها في نفوس الناس ابتداءاً.

فهناك فارق بين تقديم المنفعة لمجرد المنفعة والمنفعة لتأكيد العقيدة فالغلام قد استغل حاجة الجليس إلى الشفاء فعرض عليه الإيمان قبل أن يدعو الله فيشفيه.. لأن الإنسان عندما يضطر ويحتاج، يكون أقرب إلى الله من أن يكون مستغنياً.

➢ الثاني عشر: إثارة حقيقة الإيمان الكامنة في نفس كل إنسان:

هكذا في بساطة جلس الغلام للراهب وتأثر به وآمن، ومن ثم آمن الجليس متأثراً بالغلام لأن حقيقة الإيمان كامنة في نفس كل إنسان ولاينقص إلا أسلوب الدعوة الصحيح الذي يتعامل به الدعاة مع الإنسان لتتكشف تلك الحقيقة بإذن الله.

فهذا هو الجليس يؤمن بمجرد أن يطلب منه الغلام ذلك، وإذا كان إيمان الجليس مثالاً عجيباً في بساطة الاستجابة للدعوة الصحيحة فإن هناك مثالاً أعجب.. وهذا

المثال هو إسلام ملكة سبأ مع سليمان والذي يؤكد أن نجاح الدعوة بالكشف عن حقيقة الإيمان الكامنة في كيان الإنسان. حتى دون الطلب الصريح أو الدعوة المباشرة.

➢ الثالث عشر: ربط المدعويين بالله تعالى وبقدرته:

نلاحظ أن الغلام لم ينطق في تبليغه لقضية الدعوة إلا بثلاث عبارات في القصة كلها، وهي: قوله: **(إنما يشفي الله)** رداً على الجليس عندما طلب الشفاء، ورداً على الملك عندما ادعى أن مايفعله الغلام إنما هو سحر.

وقوله: (كفانيهم الله) رداً على الملك بعد نجاته من الموت فوق الجبل وفي السفينة.

وقوله: (وأن تقول: باسم الله رب الغلام) عندما دل الملك على الكيفية التي يستطيع أن يقتله بها.

فالله الشافي.. والله الكافي.. والله المحيي المميت.. حقائق يرددها الغلام كحقائق نهائية ثابتة في واقع قائم بحيث لا يمكن ردها أو حتى مناقشتها.

وهذا يرجع لطبيعة التربية التي تلقاها الغلام ظهرت عندما طلب الغلام اليقين من خلال الواقع فدعا الله أن يقتل هذه الدابة.. وهذا يعني أن طبيعة التلقي لحقائق هذا الدين واليقين به هي التي تحدد طبيعة الدعوة.

➢ الرابع عشر: الدعوة بين السرية والعلنية:

الملاحظة الدقيقة في تحرك الغلام أنه لم يقل للجليس **(فلا تدل علي)** مثلما قال له الراهب وذلك لأن الغلام انتقل بالدعوة من مرحلة السرية إلى المرحلة العلنية بهذا التحرك العلني العام وبدليل أنه كان **(يداوي الناس من سائر الأدواء)** كل الناس.

ومن جانب آخر فالارتباط بين الغلام والراهب كان ارتباطاً فرديّاً، والاتباط بين الغلام وجليس الملك دخل في المرحلة العلنية التي تجعل جليس الملك يعرف الغلام.

وكذلك الراهب لم يدخل مجال الدعوة العلني لأنه لم يكن يملك إمكانية التأثير العلني ولم يبق الغلام في مرحلة السرية لأنه لو فعل ذلك لأفقد الدعوة إمكانية هذا التأثير العلني.

واللقاء بين الراهب والغلام كان بمرور الغلام على الراهب، وهذا يشبه إلى حد كبير وجود الرسول ﷺ في دار الأرقم بن أبي الأرقم في مكة عندما كانت الدعوة في عهدها السري وكان كل من يريد اعتناق الإسلام يذهب إليه في تلك الدار بحيث لا يعلم أحد مكانه.

أما التحرك في المرحلة العلنية فهو تحرك عام مثلما كان الغلام يتحرك بين الناس **(يبرىء الأكمه والأبرص ويداوي الناس)** ومثل تحرك الغلام في المرحلة العلنية كان تحرك رسول الله ﷺ عندما كان يغشى الناس في مجالسهم.

فالسرية والعلنية تخضع للامكانيات والقدرات ومدى التأثير والمصلحة وقوة الدعوة وضعفها، وتخضع كذلك للزمن ونوعية الدعاة وطبيعتهم.

➢ الخامس عشر: الحذر من تفسير أصحاب الباطل للحق بغير الحق:

جاء في الرواية: (فجيء بالغلام فقال له الملك: أي بني قد بلغ من سحرك ما تبرىء الأكمه والأبرص وتفعل ما تفعل؟).

قد حاول الملك بهذه العبارة أن يسرق ما كسبه الغلام من تقدير في نفوس الناس بأن يعود بتفسير أعمال الغلام إلى السحر الذي تعلمه من ساحر الملك الذي أتى

الملك إليه بالغلام، وهذا ما يصنعه الذين لايريدون الاعتراف بالحق فيفسرونه بأي شيء غير الحق، وهذا ما فعله فرعون لما هزمه موسى فقال: ﴿إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ﴾ [طه: ٧١].

والملاحظة الدقيقة في تفسير أصحاب الباطل للحق بغير الحق هي شرط أن يكون هذا التفسير مقبولاً عند الناس.

ومثال ذلك في الواقع المعاصر من يقولون بديموقراطية الإسلام بدلاً عن الشورى، أو أن الإسلام دين الرأسمالية أو أنه دين الحرية أو أنه دين المساواة بدل العدل.

السادس عشر: مراعاة قدرات البشر في تحمل الابتلاء:

فشل الملك في إغراء الغلام **(فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب)** إنها ليست خيانة ولا عمالة ولكنها الطاقة البشرية المحدودة. هذه حقيقة يجب الاعتراف بها، وأي إنسان يقف موقف الغلام عندما دل على الراهب يتألم ألماً أكبر من ألم التعذيب ثم يتضائل أمام نفسه.. ينطوي عليها.. يحتقرها.. يكرهها، ثم يظل يرقب من بعيد نظرة فيها الرحمة، وطلاقة وجه فيها الإعذار، ويد فيها العون، ويكون هذا واجب الجماعة في ذلك الموقف.

ولكن حدوث هذه النتيجة التي انتهى إليها الغلام لا يكون إلا بعد بلوغ حد الاستطاعة في الصبر والتحمل والثبات وهذا هو الحد الفاصل بين أن يكون المتكلم في محنة التعذيب معذوراً أو مقصراً.

السابع عشر: أدب الدعاء والتوكل وتفويض الأمر لله:

الغلام يدعو الله فوق الجبل **(اللهم اكفنيهم بما شئت)** بأي كيفية يرضاها الله سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ وبأي سبب يختاره ﷻ فليس التوكل على الله عند المؤمن محدوداً

بخبرة الواقع ودراسة الظروف لأنه لو كان الأمر كذلك لما استطاع الغلام أن يدعو بهذا الدعاء لأن الواقع لم يكن يحتمل أي تفكير، ولكنه التوكل بكامل حقيقته وجوهر معناه انطلاقاً إيمانياً لا يتقيد بضيق الواقع وارتفاعاً وجدانياً لا يهبط بشدة الظروف.

وعندما يتحقق التوكل... تتحقق الاستجابة بإذن الله..

الثامن عشر: الرغبة في الحياة في سبيل الله:

حاول الملك قتل الغلام مرتين: ولكن في المرتين نجاه الله بدعائه اللهم اكفنيهم بما شئت: **(فاهتز الجبل فسقطوا هم وعاد هو سالماً... فانكفأت بهم السفينة فغرقوا وجاء يمشي إلى الملك. فقال له الملك: ماذا فعل أصحابك؟ فقال كفانيهم الله..)**.

وسبب عودته إلى الملك هو سبب طلبه للنجاة فوق الجبل وهو أن الدعوة لم تتم، وليست الحياة هدفاً يحرص عليه الدعاة إلا من خلال كونها ضرورة من ضرورات الدعوة سواء أكان تحقيق هذه الضرورة يتطلب الحرص على الحياة أو الحرص على الموت.

والذين يفسرون مصلحة الدعوة بالحرص على حياة الدعاة فحسب هم أصحاب التصور الناقص الذي لا يعدو أن يكون فلسفة للجبن أو للارتداد عن سبيل الله.

والذين يندفعون إلى الموت برغبتهم النفسية دون اعتبار لمصلحة الدعوة إنما يبددون بذلك الاندفاع والتهور طاقة الدعوة وإمكانياتها.

وكما أن مصلحة الدعوة هي الحد الفاصل بين الجبن والشجاعة. فهي أيضاً الحد الفاصل بين الشجاعة والتهور، فالجبن هو عدم الاستعداد للتضحية، والتهور هو التضحية بلاضرورة أومنفعة، والشجاعة هي التضحية الضرورية النافعة، وعلى

هذا لم يكن طلب الغلام للنجاة جبناً ولم تكن عودته إلى الملك تهوراً بل كان في كلا الموقفين شجاعاً حكيماً.

➢ التاسع عشر: الأدب مع الله عند السراء والضراء:

(قال الغلام: كفانيهم الله) ولعلنا نلاحظ أن قول الغلام للملك بعد النجاة: **(كفانيهم الله)**.. كان مثل قوله قبل النجاة **(اللهم اكفنيهم)**.

نفس الكلمة التي قالها عند الضر فوق الجبل، قالها بعد كشف الضر واهتزاز الجبل بلا زيادة ولاتغيير، فقد ينطلق لسان الإنسان عند الضر بكلمات اللجوء إلى الله والاستغاثة به فإذا ما انكشف الضر تتغير الكلمات والألفاظ ويدخل فيها إحساس الإنسان بنفسه وعمله ويفسر الكشف الإلهي لضره بمجهود بذله أو تصرف تصرفه.

➢ العشرون: النفع والضر بيد الله وحدة:

قال الغلام للملك: (إنك لن تستطيع قتلي)

ويقين الغلام بعجز الملك عن قتله وإن كان موقفاً خاصاً إلا أنه تضمن حقيقة اعتقادية مطلقة قالها رسول الله ﷺ لابن عباس في حديثه: **(واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لن ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ولو اجتمعت على أن يضروك بشيء لن يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف)**[١].

ولن تكون الحركة صحيحة إلا إذا تحقق في ضمير كل داعية هذا الاطمئنان الذي كان عند الغلام.

---

(١) جامع الترمذي، كتاب صفة القيامة، باب٥٩ (٢٥١٦)، وقال هذا حديث حسن صحيح، ومسند أحمد ٤/ ٤١٠ (٢٦٦٩) وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده قوي.

الحادي والعشرون: لا بد للداعية من إظهار الحق للناس جميعاً:

ويكون الأمر هو **(أن تجمع الناس في صعيد واحد)** حتى يشهدوا الأحداث ويفهموا معناها، ولقد بدأ الغلام أوامره بهذا الأمر لأنه يعلم أن مثل هؤلاء الحكام يخفون الحقائق التي تفيد الناس وتساعدهم على الإيمان ومعرفة الحق.

وهذا هو ماقصده موسى عندما طلب من فرعون أن يكون موعد المواجهة بينه وبين السحرة: يوم اجتماع الناس: ﴿قَالَ مَوۡعِدُكُمۡ يَوۡمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحۡشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحٗى﴾ [طه: ٥٩].

الثاني والعشرون: الله فعال لما يريد:

نفس الغلام الذي أراد البشر أن يكون داعية للضلال. يريد الله أن يكون داعية للحق، وفي نفس طريق الغلام إلى الساحر يلتقي بالراهب ويجلس إليه ويسمع منه ويعجبه كلامه.

قتل الغلام الدابة العظيمة التي كانت تسد على الناس الطريق بحجر صغير.

وهزيمة الملك ووقوع ما كان يحذره بسبب هذا الغلام الصغير.

عندما كان الغلام وأصحاب الملك فوق الجبل فرجف بهم الجبل وجاء إلى الملك وكذلك عندما كان الغلام وأصحاب الملك في السفينة فانكفأت بهم السفينة فغرقوا وجاء يمشي إلى الملك.

ومن مجموع هذه الحقائق نفهم من سورة البروج قول الله سبحانه: ﴿فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [البروج: ١٦].

الثالث والعشرون: أهمية إحسان تربية الدعاة:

إحسان التربية يؤدي إلى نجاة أمة، وإساءة التربية وسوء المناهج المنحرفة فيها يؤدي إلى هلاكها ودمارها والعياذ بالله، فالراهب لم يكن له اختلاط بالناس، ولكنه نجح بفضل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في أن يلقِّن هذا الغلام منهج العقيدة الصحيح، وأن يلقنه دين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فتغيرت أمة من الأمم بواحدٍ فقط، ونجت به من عذاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وتغير منهاج حياتها حتى ضحوا بأنفسهم في سبيل الله، وآمنوا بالله عَزَّوَجَلَّ؛ بسبب فرد واحد.

الخاتمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله... وبعد:

فهذه لمحة موجزة عن معالم دعوة الأنبياء التي ذكرها الله لنا في القرآن، وتبين لنا فيها أهم مقومات هذا المنهج الرباني الفريد في الدعوة إلى الله، والذي ظهر أثره في ثلة من الأنبياء جعل الله منهم منارات يهتدى بها في ميدان العلم والعمل والدعوة والصبر على ذلك كله.

وتبين لنا الأدوار التي يجب أن يقوم بها الدعاة لمواصلة المسيرة الدعوية، سيراً على الهدي الرباني في الدعوة إلى الله وما تحتاجه تلك المسيرة من البصيرة والسداد.

في القرآن الكريم ما يدل على التاريخ وعلى ضرورة الاهتمام به، يتضح ذلك من الآيات التي تحمل لفظة القصص والذي معناه: الأخبار المتتابعة، إذ إن القص يعني: اتباع الأثر، ولهذا أمر رسول الله ﷺ بالاقتداء بالأنبياء والرسل في الدعوة إلى الله تعالى، قال تعالى بعد ذكر مجموعة من الأنبياء: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠]، والدعاة من بعده هم أولى من يتبع الأنبياء فاتباعهم هو اتباع لرسول الله ﷺ الذي قال الله عنه: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

ويمكن بيان أهم نتائج هذا البحث في النقاط التالية:

النتائج المتعلقة بالتمهيد والمقدمات:

١- من أهمية دراسة تاريخ الدعوة: أن دراسة التاريخ الدعوي مجال واسع

لتحقيق عبودية الله تعالى، والتعرف على السنن الربانية في الكون، والتعرف على منهج الأنبياء ومن بعدهم ممن سار على هديهم في الدعوة، وكذلك ما يتميز به منهج الأنبياء بالعصمة، وأن الأنبياء هم أمة النجاح والإنجاز البشري.

٢- لا بد عند دراسة تاريخ دعوة الأنبياء والرسل عليهم السلام من الانتباه إلى أخذ تاريخ دعوة الأنبياء كاملا، مع التجرد من الأهواء عند الاستدلال بدعوة الأنبياء، واعتماد القرآن والسنة مصدراً لتاريخ دعوة الأنبياء، مع أهمية دراسة صفات وأخلاق الرسل، وقبل ذلك الإيمان بصدق خبر الله وخبر رسوله عن الأنبياء السابقين فهذا يؤدي إلى الإيمان بأن منهج الأنبياء هو الحق والصواب، والتحذير من عدم وضع وتخيل أحداث لم تقع داخل القصة أو التنقيب والسؤال عما لم يذكره الوحي.

٣- للأنبياء والرسل خصائص ميزتهم عن غيرهم من البشر، وهي الاصطفاء والاختيار من الله تعالى، وأنهم يوحى إليهم، وأنهم أنزلت عليهم كتب، وأيدهم الله بالمعجزات، وجمع الله لهم بين النبوة والبشرية، وأنهم معصومون ولذلك وجب علينا الاقتداء بهم.

٤- تميز الأنبياء والرسل بصفات عظيمة جعلت منهم القدوة وأنهم خير البشر، وقد اتفقوا جميعاً في مجموعة من الصفات، وتميز كل منهم أو بعضهم بصفات خاصة كما حكى القرآن ذلك، ومن أهم الصفات التي نص عليها القرآن وتوافق عليها الأنبياء والرسل الأمانة، والعفة عما في أيدي الناس، والكسب من عمل اليد والصبر والحلم، وحسن العبودية لله وحده ودعائه واللجوء إليه، والاستعانة به، وحسن الخلق.

٥- اتفقت دعوة الأنبياء جميعاً على مجموع من الأسس التي دعوا إليه وأكدوا عليها في دعوتهم للناس، ومن أهمها أن الإسلام هو دين كل الأنبياء والرسل عليهم

السلام، وأن التوحيد هو أول دعوة الرسل، وتقرير النبوة والرسالة، وتقرير البحث والجزاء، وعلاج المنكرات المتفشية في المجتمع، والدعوة إلى الوحدة وجع الكلمة، وإقامة العدل في كل أمور الحياة.

٦- وقد اتفقت دعوة الأنبياء جميعا على معالم منهجية أساسية تمثلت في أن كل نبي جاء بلسان قومه، وكذلك الوضوح وعدم تمييع الدين من أهم المعالم المنهجية المتفق عليها بين دعوة الرسل، وأن الولاء على أساس الحق، وأن العداء للدعوة والدعاة والمدعوين هي سنة الله في الدعوات، وأن التمكين للدعاة والمصلحين والمؤمنين وعد صادق من الله تعالى تختلف أشكال تحققه، وتنوع إهلاك الأقوام كل بحسب ذنبه، وأن الاستمرار في الدعوة وتنويع طرق مباشرتها حسب الحال هو معلم أساسي في الوسائل والأساليب الدعوية.

أهم النتائج المتعلقة بدعوة نوح عليه السلام:

٧- من أهم سمات دعوة نوح عليه السلام: أنه أول الرسل والأنبياء، وأنه من أولي العزم من الرسل، وأنه أبو البشر الثاني بعد آدم.

٨- من أهم الصفات الدعوية لنوح عليه السلام: الأمانة، والعفة عما في أيدي الناس، والصبر، والحلم، والنصح للمدعوين، والشفقة والترفق بالمدعوين، والتعلق بالله وصدق اللجوء إليه في كل حين، والعبودية الحقيقية لله، وشكر الله والثقة به وعدم اليأس، ونصرة الضعفاء.

٩- من أهم أسس دعوة نوح عليه السلام: الدعوة إلى التوحيد، وتقرير النبوة والمعاد.

١٠- من أهم أساليب ووسائل من دعوة نوح عليه السلام: الاستمرار في الدعوة وتنويع طرق مباشرتها، ولفت الأنظار إلى مظاهر الكون الفسيح، مع أسلوب اللين

والاستعطاف، والترغيب والترهيب، والجدال والمقابلة بالحجة والبرهان، وأسلوب الخطاب والنداء، وأسلوب الترحم مع المدعوين ومعاملتهم بالمساواة، وأسلوب التأنيب والتوبيخ.

أهم النتائج المتعلقة بدعوة إبراهيم عليه السلام:

١١- من أهم خصائص إبراهيم عليه السلام: أنه أبو الأنبياء، وأنه خير الناس، وأنه خليل الله، وصف الله تعالى له بأنه أمة، وهو الذي بنى البيت العتيق، وكان قوي الحجة.

١٢- ومن الصفات الدعوية لإبراهيم عليه السلام: القنوت، والحنيفية، والشكر، والحلم، والتأوه، والربانية والدعاء والتوكل على الله، والسخاء، والصبر، ورعايته لأهله، والشجاعة، وسلامة القلب، والرشد، والتواضع لله، والأدب مع الله، والاستسلام لله والسمع والطاعة المطلقة له سبحانه، والبر بأبيه والتأدب في الحديث معه.

١٣- من أهم أسس دعوة إبراهيم عليه السلام: الدعوة إلى التوحيد ونبذ الشرك، والدعوة إلى الايمان بالبعث والنشور والإيمان بالرسل، والتحقيق لعقيدة الولاء والبراء.

١٤- من أهم أساليب ووسائل دعوة إبراهيم عليه السلام: الرِّفق واللِّين، والمناظرة والمجادلة، والخلطة أو العزلة، والتدرج، وتغيير المنكر باليد، والوصية، والتطبيق بالمثال العملي.

أهم النتائج المتعلقة بدعوة موسى عليه السلام:

١٥- من أهم خصائص نبي الله موسى عليه السلام: أنه كليم الله واختصاصه بهذا الأمر، واصطفاه الله وجعله له خالصاً، وكان مقرباً من الله، و كانت له الوجاهة عند الله تعالى، أيده الله تعالى بمعجزات باهرات، وتميز كذلك بطلب العلم، وتأييد الله له ببعثة أخاه هارون معه مؤيداً وناصراً، وعناية الله تعالى به عناية خاصة، وإزالة الله لما في صدره

من الخوف، وأمْرُ الله سبحانه وتعالى لموسى أن يأخذ ما يوحى إليه بقوة، وتعليم الله لموسى وأخيه هارون أسلوب الدعوة وحفظ الله لهما، تربيته سبحانه وتعليمه لموسى عليه السلام بالموقف.

١٦- من أهم صفات موسى عليه السلام: أنه كان حيياً ستيراً، صابراً، متواضعا لأهل الفضل، مع دعاء الله تعالى، وحسن التوكل عليه، والاعتراف بالخطأ والرجوع للحق، والنخوة والرجولة والفطرة السليمة تجاه النساء والضعفاء، والغيرة على النساء وعلى زوجته خاصة.

١٧- من أهم أسس دعوة موسى عليه السلام: توحيد الله والتعريف بالله سبحانه، والتعريف بالطريق الموصلة لرضى الله سبحانه، والترهيب من مخالفة أمر الله والافتراء عليه، ورفع الظلم عن المظلومين ومحاربة الطغيان المالي.

١٨- من أهم أساليب ووسائل دعوة موسى عليه السلام: الاستعانة بالله وبعبادته، والقوة في الحق، واللين في الدعوة، والمناظرة، والسياحة في الأرض، والفصاحة، والترغيب والترهيب.

أهم النتائج المتعلقة بدعوة عيسى عليه السلام:

١٩- من أهم خصائص المسيح عيسى عليه السلام: أن الله تعالى أيده بالمعجزات، وتأييده بروح القدس جبريل، وتعلّمُهُ التوراة والإنجيل، ومنع بني إسرائيل من الإمساك به وقتله ثم رفع للسماء، ونزوله المسيح آخر الزمان، والوجاهة في الدنيا والآخرة.

٢٠- أهم الصفات الدعوية لعيسى عليه السلام: عبوديته لله تعالى، ودعائه لربه، والبر بوالدته وحسن الخلق، وحسن التخاطب مع الله، والاعتراف بالفضل لله، وأنه مباركٌ ومن الصالحين، وشدة تعظيمه لله سبحانه وتعالى في قلبه.

٢١- من أهم أسس دعوة عيسى عليه السلام: الإيمان وتوحيد الله عز وجل، والدعوة إلى الالتزام بالشريعة، والنبوات، والإيمان بالبعث والجنة والنار، والأمر بالصلاة والصيام والصدقة والذكر، وحسن الآداب والأخلاق.

٢٢- من أهم أساليب ووسائل دعوة عيسى عليه السلام: ضرب الأمثال، والحكمة في القول، والترغيب والترهيب، والدعوة بالقدوة، والدعوة بالدليل والبرهان، وتأييد الدعوة بأنصارها، والسياحة في الأرض.

أهم النتائج المتعلقة بدعوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم:

٢٣- من أهم خصائص النبي محمد صلى الله عليه وسلم ودعوته: أنه خاتم النبين، والقرآن الكريم معجزته الخالدة، وهو أفضل الرسل، وأمته خير الأمم، وشق صدره، وهو نبي أمي.

٢٤- من أهم الصفات الدعوية للنبي صلى الله عليه وسلم: اشتهاره بالصدق والأمانة والعفة قبل البعثة، والرحمة، والجود والكرم، والعزة، والإتقان، وترفعه عن الأخلاق والتصرفات الخاطئة، وحكمته ورجاحة عقله، وإعمال عقله بالتفكر، وصفة العبودية لله وحده.

٢٥- من أهم التوجيهات الدعوية من الله لنبيه: توجيهه إلى أخلاقيات الدعوة والدعاة، وعرض التجارب الدعوية السابقة، وتنبيهه بأن وظيفته البلاغ وليس الهداية، وإرشاده لوسائل وأساليب الدعوة، وتنبيهه عند الخطأ، وتعليمه التخاطب مع أصناف المدعويين.

٢٦- من أهم أسس دعوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم: توحيد الله تعالى ونبذ الشرك وأهله، والإيمان بنبوة النبي صلى الله عليه وسلم والأنبياء من قبله، والإيمان بالمعاد، والدعوة لشمولية الإسلام، والأخلاق والمعاملات.

٢٧- من أهم أساليب ووسائل دعوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم: القدوة العملية، والترغيب

في المسارعة والمسابقة في الخير، والاصطفاء والاختيار في الدعوة والتوجيه، ومراعاة الأولويات في الدعوة، والمرحلية في البلاغ، وإقامة الحجة، والحوار والسؤال، والقسم والتكرار، والقياس، والمزاح والمداعبة، ولغة الإشارة مع القول، وإرسال الرسائل إلى الأمراء والملوك، والقصص، والإجابة عن الأسئلة والاهتمام بها، وإعادة المعلومة أكثر من مرة، وحثه المدعوين على تعليم بعضهم لبعض ليعاونه في الدعوة، والغضب عند ما تنتهك حرمة الله، والضحك والابتسامة، وإرسال الدعاة، والتغافل، والعفو المباشر عن من جهله، وتأليف القلوب، والزيارات، والتأديب، والخطب، وطلاقة الوجه ولين الكلام، و إعطائهم الهدايا والجوائز، والتبشير والتيسير في الدعوة.

أهم النتائج المتعلقة بدعوة آدم عليه السلام:

٢٨- من خصائص آدم الدعوية: أن الله اصطفاه، وخلقه من تراب، وعلمه، وأسجد الملائكة له.

٢٩- ومن الصفات الدعوية لآدم عليه السلام: المبادرة في التوبة لله عند الخطأ، واحترام القسم، والحياء والخجل

٣٠- من اهم أسس دعوة آدم عليه السلام: التوحيد وعبادة الله وحده لا شريك له، تنظيم أمور الحياة في الأرض.

أهم النتائج المتعلقة بدعوة هود عليه السلام:

٣١- الصفات الدعوية لهود عليه السلام: الإخلاص لله وعدم سؤال الأجر في دعوته لقومه، والنصح والأمانة، والتوكل على الله، والحلم.

٣٢- من أهم أسس دعوة هود عليه السلام: الدعوة إلى التوحيد، والإيمان بالنبوة، والمعاد، وعلاج مشكلة الكبر والترف، والشفقة على المدعويين.

٣٣- من أهم وسائل وأساليب دعوة هود عليه السلام: الموعظة الحسنة، والترغيب والترهيب، والجدال بالحجة والبرهان، واللين والاستعطاف، وأسلوب التذكير بنعم الله.

٣٤- ومن أهم الدروس المستفادة من دعوة هود عليه السلام: النجاة في الإيمان وليس بالقوة المادية فقط، وجوب البراءة من الشرك والوضوح التام في ذلك، والربط بين النعمة والمنعم بها، والبعد عن النفعية في الدعوة إلى الله، والحلم والصبر على الجاهلين، وتسلية المؤمنين بأن سنة الله هي العاقبة للمتقين والهلاك للجاحدين، والحكمة في التذكير والوعظ، وبيان خطر الاغترار بالقوة، والجمع بين أسلوبي الترغيب والترهيب، وإخلاص الداعية وقوة إيمانه بالله وبدعوته، وخطورة الترف الزائد الذي لا حاجة له.

أهم النتائج المتعلقة بدعوة صالح عليه السلام:

٣٥- الصفات الدعوية لصالح عليه السلام: الأمانة، والعفة عما في أيدي الناس، والسيرة الحسنة قبل الدعوة، والصبر على الأذى، والعلم.

٣٦- من أهم أسس دعوة صالح عليه السلام: تحقيق العبودية الخالصة لله، الإيمان بالنبوات، والإيمان بالمعاد، ودلالتهم على جوامع ما يرضي الله، والتحذير من الإفساد وأهل الإفساد.

٣٧- من أهم وسائل وأساليب دعوة صالح علية السلام: القول اللين، والتذكير بنعم الله، والجدال بالحكمة والموعظة الحسنة والترغيب والترهيب، والدعوة بالقدوة، والمعجزات.

٣٨- من أهم دروس دعوة صالح عليه السلام: الهداية بنوعيها بيد الله وليس للرسول إلا هداية الإرشاد، والسيرة الحسنة أكبر معين على قبول الدعوة، والداعي إلى الله لا

ينتصر إلا للدين ولا ينتصر لنفسه، والدعاة المخلصون يستعملون في دعوتهم الأساليب المنطقية الحكيمة، وإذا أنعم الله علي قومٍ فلم يشكروا وكفروا انقلبت عليهم نقمة ووبالاً، والتحذير من سؤال الله العذاب، وأن أثر المعصية والتكذيب يصل إلى الأرض والماء التي حصل عندها، وأن تناهي الإجرام موجب للهلاك، وخطر العقائد الباطلة الموروثة في قبول الحق.

أهم النتائج المتعلقة بدعوة لوط عليه السلام:

٣٩- الصفات الدعوية للوط عليه السلام: فضَّلَه اللهُ على من في زمانه، وأنه من المتطهّرين، والأمانة والعفة عما في أيدي المدعوين من حطام الدنيا، وشفقته وحزنه من فعل قومه، وأن الله آتاه حكماً وعلماً، وإدخال الله له في رحمته، وأنه من الصالحين، وأنه رسولٌ أمين، والإخلاص واحتسابه الأجر من الله تبارك وتعالى، ودعائه الله تعالى.

٤٠- من أهم أسس دعوة لوط عليه السلام: تقوى الله تبارك وتعالى، والرسالة والنبوة، والنهي عن فاحشة اللواط التي تخالف الفطرة.

٤١- من أهم وسائل وأساليب دعوة لوط عليه السلام: التوبيخ وتعظيم الذَّنب وبيان خطره على مرتكبه، والترغيب والترهيب، وإيجاد البدائل الشرعية، والحكمة والموعظة الحسنة، والحوار والمناقشة، وأسلوب الاستفهام الاستنكاري، وإعلان البراءة من عملهم، والخطب والمواعظ في الميادين العامة، والهجرة.

أهم النتائج المتعلقة بدعوة شعيب عليه السلام:

٤٢- الصفات الدعوية لشعيب عليه السلام: كثرة الصلاة، والحلم والرشد، والعلم، والتواضع، وموافقة قوله فعله من أمر أو نهي، والتوكل والإنابة، والثبات على الحق، والعدل.

٤٣- من أهم أسس دعوة شعيب عليه السلام: الأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك، والإيمان باليوم الآخر، والإيمان بالرسل والرسالات، ورعاية حقوق العباد جميعاً والمالية خصوصاً، والنهي عن الإفساد في الأرض عموماً، والنهي عن قطع الطريق عن الحق والخير.

٤٤- من أهم وسائل وأساليب دعوة شعيب عليه السلام: تذكيره إياهم بنعم الله، والتذكير بالأقوام السابقين لأخذ العبرة، والرفق واللين، والترغيب والترهيب، والحوار، وإتيانهم بالأدلة والبراهين، وإخلاص النصح، والإصلاح.

أهم النتائج المتعلقة بدعوة إسماعيل عليه السلام:

٤٥- خصائص دعوة إسماعيل عليه السلام: كان رسولاً نبيّاً، رضى الله عنه، فضله الله على العالمين، وأنه هبة من الله لنبيه إبراهيم.

٤٦- ومن صفات إسماعيل عليه السلام الدعوية: الصلاح، والحلم، وصدق الوعد، وحرصة على أهل بيته، والصبر، والتسليم الكامل لأمر الله، والأدب والتواضع لله، وبره بوالده إبراهيم، والكسب من عمل يده، والدعاء.

٤٧- من أهم أسس دعوة إسماعيل عليه السلام: توحيد الله تعالى، والرسالة والنبوَّة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٤٨- من أهم وسائل وأساليب دعوة إسماعيل عليه السلام: القدوة الحسنة، وأسلوب الأمر والنهي، وبناء الكعبة، والقيام بشؤون بيت الله تعالى، وتقوية الصلة بقومه.

٤٩- من أهم فوائد دعوة إسماعيل عليه السلام: حسن الظن بالله سبحانه وتعالى، وأن بر الوالدين لا يأتي إلا بخير، وتحلي الداعية بمكارم الأخلاق، والبدء في الدعوة إلى الله تعالى بالأقرب فالأقرب للداعية، وتوثيق الداعية علاقته بمن يدعوهم.

أهم النتائج المتعلقة بدعوة إسحاق عليه السلام:

٥٠- خصائص إسحاق عليه السلام الدعوية: أنه معجزة وبشارة الله لإبراهيم، ونص الله تعالى على أنه هبةٌ من الله تبارك وتعالى، وإتمام نعمة الله تعالى عليه، واختصاص الله له بذكر الله وبالدار الآخرة، والاصطفاء والاختيار من الله تعالى، وأنه بارك الله عليه، والذكر الحسن.

٥١- ومن أهم صفات إسحاق عليه السلام الدعوية: العلم، والقوة في العبادة والفقه في الدين، وأنه من الصالحين، والكرم.

٥٢- ومن أهم أسس دعوة إسحاق عليه السلام: التأكيد على توحيد الألوهية لله تعالى والإسلام له تعالى، والتبرؤ من أي ملة غير ملة الإسلام، والإيمان بالوحي، والبراءة من جميع أنواع الشرك والعصمة من الوقوع فيه، والنبوة.

أهم النتائج المتعلقة بدعوة أيوب عليه السلام:

٥٣- صفات أيوب عليه السلام الدعوية: الصبر، والعبودية لله، والتعلق بالله واللجوء إليه، والأدب مع الله.

٥٤- ومن أهم أسس دعوة أيوب عليه السلام: الدعوة إلي الإيمان بالله وتوحيده والتحذير من الشرك، والدعوة إلى الإيمان بالنبوة والإيمان باليوم الآخر.

٥٥- ومن أهم الدروس المستفادة من دعوة أيوب: أن الابتلاء من الله لحكمة بالغة، والصبر على البلاء توفيق من الله، وأهمية الشكوى إلى الله والدعاء، وأهمية الأخذ بالأسباب المشروعة، وان الفرج من الله وحده، وأن العوض من الله، وأهمية عناية الله بيت الداعية، والرجاء في الله وعدم العجز والاستسلام للبلاء.

أهم النتائج المتعلقة بدعوة يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ:

٥٦- أهم صفات يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ الدعوية: العلم، والصبر الجميل، و كظم الغيظ، وأنه هادٍ مهديٌّ، والثناء الحسن، والذكر الجميل من الناس، والبصيرة، وحسن التوكّل على الله الإقبال عليه وحده، وحسن الظن بالله تعالى، والقوة والبصيرة بالحق، والمسامحة، ومراعاة المصالح مع أخذ الحيطة، والإجمال فيما لا يحسن التفصيل فيه.

٥٧- أهم أسس دعوة يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ: الاهتمام بالثبات على الإسلام والقيام بتكاليفه، والاهتمام بالتوحيد، واهتمامه الكبير بذريته وتربيتهم.

٥٨- من أهم وسائل وأساليب دعوة يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ: أسلوب النداء المتلّطف، أسلوب السؤال والحوار، وأسلوب التغافل، واغتنام الفرصة، والوصية.

أهم النتائج المتعلقة بدعوة يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ:

٥٩- صفات يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ الدعوية: العلم، والإخلاص، والالتجاء إلى الله والعوذ به، والعفة، والأمانة، والصبر، والتواضع لله تعالى، وكظم الغيظ، والعفو، والذكاء والفطنة، والستر وعدم جرح المشاعر، وإنكار الذات ونسبة الفضل والخير لله، والإحسان.

٦٠- أسس دعوة يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ: تقرير التوحيد ونبذ الشرك وأهله، تقرير النبوة والرسالة، والإيمان باليوم الآخر.

٦١- وسائل وأساليب من دعوة يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ: إقامة الحجة بالدليل والبرهان، تعبير الرؤيا، والموعظة الحسنة، واللطف في الخطاب، واستثمار المنصب والولاية، واغتنام الفرص، والنظر في مصالح الناس قبل دعوتهم، والتحفيز، والحوار.

٦٢- فوائد من دعوة يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ: القصص من وسائل الدعوة، واستعمال الكتمان أو التحذير من شخص بعينه عند المصلحة، وسنة الابتلاء والامتحان؛ والعاقبة

للصابرين، وتجنب فتنة النساء والحذر منها، واستحضار العبد معية الله وعنايته، وأن الداعي إلى الله يدعو في جميع حالاته، والبدء في الدعوة بالأهم فالمهم، وجواز الاستعانة بالعباد فيما يقدرون عليه، والإخلاص في الدعوة لله، وجواز مدح النفس وطلب الولاية عند اقتضاء المصلحة ذلك، والنصر مع الصبر والفرج مع الكرب، والحذر من شؤم الذنوب، وأن بعض الشر أهون من بعض، وجواز استخدام المعاريض، وفضيلة العلم والعلماء، ونعمة الله على عبده تشمل من حوله، وأن المطالب العالية لا تنال إلا بالأسباب النافعة، ووجوب العدل في كل شيء، والعبرة للعبد في حال كمال النهاية، لا بنقص البداية، والحذر من الخلوة بالنساء الأجنبيات، والإيمان يقاوم الهم بالمعصية، ومشروعية العمل بالقرائن، واختيار العقوبة الدنيوية بدلا من الأخروية، واللجوء إلى الله حال الفتن، وأهمية العلم مع العقل، وعبودية الشدة وعبودية الرخاء، وشمولية إجابة السائل لما ينفعه في دينه ودنياه، وأهمية دفع التهمة عن النفس، وحصول خير الآخرة بالإيمان والتقوى، والكرم سمة الأنبياء، وجواز استخدام الحيل للوصول للحقوق، والشهادة لا تجوز إلا بعلم، وفضيلة التقوى والصبر، وتذكر البلاء السابق يعين على شكر النعم الحاضرة، وألطاف الله المتنوعة المسهِّلة للبلاء في القصة، والإلحاح على الله بالثبات وحسن الختام

أهم النتائج المتعلقة بدعوة يونس عليه السلام:

٦٣- من أهم الدروس المستفادة من دعوة يونس: أهمية الصبر على الدعوة، وأنه لا أحد يستطيع أن يخرج عن إرادة الله، وأهمية التعرف على الله في الرخاء وأثره عند الشدة، وأهمية الدعاء لكشف الكرب، وأن عمل الدعاة محكوم بالشرع، وجواز استعمال القرعة، والعمل بقاعدة أخف الضررين.

أهم النتائج المتعلقة بدعوة داوود عَلَيْهِ السَّلَامُ:

٦٤- الصفات الدعوية لداوود عَلَيْهِ السَّلَامُ: العلم، والملك، وفصل الخطاب، وقبول الحق بتواضع، والشكر لنعم الله، والعبادة والتوبة، والأكل من كسب اليد، وحسن الصوت بالتلاوة، والغيرة الشديدة.

٦٥- من أهم أسس دعوة داوود عَلَيْهِ السَّلَامُ: التعريف بالله سبحانه بأسمائه وصفاته، والتعريف بالطريق الموصلة إليه، وبيان ما للمؤمنين من جزاء وما للكافرين من عقاب.

٦٦- ومن أهم وسائل وأساليب دعوة داوود عَلَيْهِ السَّلَامُ: القوة في الدعوة، والتواضع بين الناس، والحكمة في القول، والوقوف والرجوع عند حدود الله، والقيام بأمر الله بالجهاد في سبيل الله، وقراءة الزبور على قومه، والدعوة بالقدوة، والقضاء بين الناس، وإلقاء الخطب والمواعظ.

أهم النتائج المتعلقة بدعوة سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ:

٦٧- أهم الصفات الدعوية لسليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ: الملك، والحزم، والقوة، والعزة، والهيبة، والتواضع، والعدل، والحكمة في القضاء، والتوبة والرجوع إلى الله، والشكر لنعم الله.

٦٨- أسس دعوة سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ: التعريف بالله سبحانه بأسمائه وصفاته، التعريف بالطريق الموصلة إليه سبحانه، وبيان ما للمؤمنين من جزاء وما للكافرين من عقاب.

٦٩- من أهم وسائل وأساليب دعوة سليمان: القوة في الدعوة، والحزم مع المخالفين، والتثبت من الأخبار المنقولة، وإبهار المخالف بما وصل له المسلمون من العلم، والتحدث بنعمة الله، وبناء بيت المقدس، وإرسال الرسائل للملوك لدعوتهم إلى الإسلام، والاهتمام بالجيش والسلاح، والتقدم العلمي واستغلال ثروات البر والبحر.

أهم النتائج المتعلقة بدعوة هارون عَلَيْهِ السَّلَامُ:

٧٠- صفات هارون الدعوية: فصاحة اللسان، والأدب في الحديث، والشجاعة والإقدام وعدم الخوف، والعبادة والذكر، وحسن الظن في الله وعدم اليأس.

٧١- أسس دعوة هارون: الأمر بتوحيد الله والتعريف بالله، ورفع الظلم عن المظلومين.

٧٢- من أهم وسائل وأساليب دعوة هارون عَلَيْهِ السَّلَامُ: الدعوة بالحكمة، والموعظة الحسنة، والقول اللين، والقدوة الحسنة، والترغيب والترهيب

أهم النتائج المتعلقة بدعوة زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ:

٧٣- من أهم صفات زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ الدعوية: أنه رحمة الله، وأنه من الصالحين، وأنه كثير الدعاء لربه، وكثرة الصلاة، ومسارعته في الخيرات وخشيته من الله تعالى، وكفالته لمريم.

٧٤- من أهم أسس دعوة زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ: حرصه على إبلاغ دعوته بكل وسيلة، والأمر بذكر الله، وعمل الخير وكفالة الناس تعليما ونفقة، وحرصه على ذرية تخلفه في دعوته.

أهم النتائج المتعلقة بدعوة يحي عَلَيْهِ السَّلَامُ:

٧٥- أهم صفات يحيى الدعوية: أنه سيداً وحصوراً، أنه نبيٌ من الصالحين، وأنه لم يكن له من قبل سميٌّ، وأخذ الكتاب بقوة، وآتاه الله الحكم صبيًّا، وأنه رضي، والرحمة، والتزكية، والتقوى، وبرُّه بوالديه، ورزقه السلامة والإسلام، والتواضع.

٧٦- وسائل وأساليب دعوة يحيى عَلَيْهِ السَّلَامُ: أسلوب الرفق واللين، وأسلوب ضرب الأمثال، وأسلوب الأمر المباشر، والخطابة، والاستعانة بالقوة العلمية والإيمانية لحماية الدعوة.

أهم النتائج المتعلقة بدعوة إدريس عليه السلام:

٧٧- صفات إدريس عليه السلام الدعوية: الصديقية، والمنزلة الرفيعة، والصبر، والصلاح.

أهم النتائج المتعلقة بدعوة يوشع بن نون عليه السلام:

٧٨- فوائد دعوية من دعوة يوشع عليه السلام: أهمية وجود قيادة للعمل الدعوي وخصوصاً الجهاد، الأصل عدم تمني لقاء العدو، وعدم الاغترار بحماس المدعوين، وأهمية تحديد دوافع وأهداف ومقاصد الجهاد، وخطورة التولي بعد فرض الجهاد، والحذر من حظوظ النفس، والقيادة في الدين اصطفاء، وأهمية توفر صفات القائد الناجح في تولي المناصب، ومشروعية اختبار الداعية للمتعاونين معه في الدعوة، وأهمية التربية الإيمانية لجلب التأييد الإلهي، وأهمية الصبر والثبات في الدعوة، وأهمية الدعاء في حياة الدعاة، واعتماد الداعية على ربه وحده، وأن النصر والتوفيق من الله وحده، والتأكيد على سنة التدافع بين الحق والباطل.

أهم النتائج المتعلقة بدعوة ذا الكفل عليه السلام:

٧٩- من أهم صفات ذا الكفل الدعوية: تكفل بما عهد إليه، ووفى بكل ما كلف به، الصبر، والصلاح، والخيرية، ودعوة إلياس، ودعوة اليسع.

أهم النتائج لقصص دعوية لأتباع الأنبياء في القرآن:

٨٠- أهم النتائج المتعلقة بقصة أصحاب الكهف: لفتت القصة النظر إلى الاهتمام بالشباب في دعوتهم، وأن الشباب أقبل للحق، وأهدى للسبيل من الشيوخ الذين قد عتوا وانغمسوا في دين الباطل، وأهمية لجوء المؤمن لله تعالى في كل أحواله، وأهمية الهجرة في سبيل الحفاظ على الدين، وأهمية تثبيت الدعاة بعضهم البعض عند البلاء، وأهمية أخذ الحيطة والحذر، الاحتراز عن الأمور الضارة، وكتمان السر

الذي تضر إذاعته ضرراً عامّاً أو خاصّاً، وأن التوكل لا ينافي أخذ الأسباب، والحذر من العجب، وسؤال الله الثبات على الهداية، والجمع بين القول والعمل، وأهمية طلب الثبات من الله، وأنه لا يقبل ادعاء إلا بالدليل، وأهمية الثقة بالله، ورد العلم إلى الله، وأن تحقيق الأمور العظيمة يحتاج إلى حكمة وتلطف ورفق وأناة مهما كانت قوة ومنزلة صاحبها، والمنع من استفتاء من لا يصلح للفتوى.

٨١- أهم الفوائد الدعوية من قصة موسى والخضر: الاستزادة من العلم، وأن يكون هدف طلب العلم تحصيل الرشد، والصبر على المشقة في طلب العلم، وأهمية الإخبار بالأمور الشاقة وعدم الكتمان ليحص الاستعداد، وجواز الإخبار بما يجده الإنسان من الألم، والأدب والتواضع مع العلماء، الصبر على العلم وأهمية التنبيه عليه، والعزم على الصبر والطاعة في سبيل تلقي العلم والاستعانة بالله، وعدم التسرع في الحكم، ووجوب التأني عند الإنكار في المحتملات، وصبر العالم وتلطفه بالطالب، وأن صلاح الآباء يمتد إلى الأبناء، وفضيلة ضيافة الدعاة والصالحين، وأن الشرع مقدم على العقل، وأهمية الأدب مع الله، ومعية الله وعنايته بخلقه، وأن يكون المعلم قدوة للطالب في عمل الخير

٨٢- الفوائد الدعوية من قصة ذي القرنين: الاهتمام بالعلم أولاً، والبعد عن الكلام والحشو الكثير الذي لا يفيد الناس، ووجوب استخدم المواهب الربانية في مكانها الصحيح، وبذل الجهد في العمل ونفع الخلق والدعوة، والعدل في الثواب والعقاب للترغيب والترهيب، ووجوب الأدب مع الله، وحبس أهل الفساد، وواجبات أهل الولاية، وأهمية التعاون في الإصلاح، وعفة الداعية عن مال المدعوين، وتذكر الآخرة والتذكير بها، وتعريف الناس بثمرة الأعمال المهمة، وضعف الإنسان وعمله أمام قوة الله تعالى.

٨٣- من أهم معالم الدعوة من خلال وصايا لقمان لابنه: أن أهم صفات الداعية

الحكمة، وأن من الحكمة الشمولية في الدعوة والتربية، والتلازم بين العقيدة والأخلاق، واتخذ لقمان في دعوته أسلوب الوعظ مع العطف، ومن صفات الداعية الشكر، وعنايته بالأقربين وخصوصا ولده ومن تحت ولايته، وبدء دعوته ابنه بالإخلاص لله والنهي عن الشرك، والأمر بالقيام بحق الوالدين، وأن الدعوة تقوم بالاتباع لا الابتداع، والدعوة لاستحضار رقابة الله تعالى واليقين بإحاطة علمه، والأمر بإقامة الصلاة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصبر، والنهي عن الكبر والعجب بالنفس، وأهمية التزام أدب الحديث.

٨٤- من أهم الفوائد الدعوة من قصة مؤمن يس: عاقبة الإعراض عن منهج الله، وأهمية استعانة الدعاة ببعضهم البعض، وعدم اليأس في الدعوة، وأن البلاغ المبين هو مهمة الرسل وأتباعهم، وأن بشرية الرسول ضرورة دعوية، وأن سنة المكذبين معاداة أهل الدعوة، والهمة في الدعوة، والاستفادة من كل الطاقات في نصرة الدعوة والدعاة إلى الله، وأن الهداية بيد الله، والإيجابية الدعوية، والإخلاص في الدعوة لله وعدم سؤال الأجر عليها، والنصح والشفقة على المدعوين والتلطف بهم، من يكون لهم الاتباع، والانطلاق من الفطرة طريق الإيمان، والترغيب والترهيب، والقدوة الحسنة، وأسس الدعوة ومضامينها، وتمني الخير للمدعوين وكظم الغيظ والحلم على الجاهلين، والعاقبة الحسنى للمؤمنين والهلاك للكافرين، وأن الموت بداية حياة سعيدة للدعاة، وأن الانتقام والتشفي ليس من شيم الدعاة.

٨٥- من الفوائد الدعوية من قصة مؤمن آل فرعون، والحكمة في الدعوة وتفويض الأمور إلى الله، وتكرار الدعوة وعدم اليأس من استجابة المدعوين، وأهمية اهتمام الداعية بهداية الناس، وبيان أن الحق ما بني على دليل وبينة، وإظهار الإيمان

حيث يَحْسُن الإظهار والعكس، واستغلال الصلة بالسلطان لمصلحة الدعوة والدعاة، والتلطف في مناصحة ذوي السلطان، والفطنة في المناظرة، والانتصار للمظلوم والذبِّ عن عرض الغائب، وأن النصر حليف الدعاة إلى الله تعالى والعاقبة للمتقين.

٨٦- من أهم الفوائد الدعوية من قصة غلام الأُخدود: بيان عناية أعداء الإسلام بإضلال النشء ودور الدعاة الوقائي، واهتمام العلماء بتوريث العلم، وحقيقة هذا الدين وموافقته للفطر السليمة، وأهمية القدوة في تأهيل الدعاة، والرفق بالدعاة الجدد عند توريثهم الدعوة، وأهمية وجود الداعية المرجعية للدعاة، وأهمية بيان حقيقة طريق الدعوة وأنه طريق ابتلاء وتمحيص، ويقظة الداعية واستخدام كل الفرص في الدعوة، وتجرد الداعية من حظوظ النفس، والمعايشة الوجدانية للداعية، وأهمية تقديم النفع للناس وتلبية احتياجاتهم، وإثارة حقيقة الإيمان الكامنة في نفس كل إنسان، ربط المدعويين بالله تعالى وبقدرته، والدعوة بين السرية والعلنية، والحذر من تفسير أصحاب الباطل للحق بغير الحق، وأدب الدعاء والتوكل وتفويض الأمر لله، ومراعاة قدرات النفس البشرية في تحمل الابتلاء في سبيل الدعوة، والرغبة في الحياة في سبيل الله، الأدب مع الله عند السراء والضراء، وأن النفع والضر بيد الله وحدة، ولا بد للداعية من إظهار الحق للناس جميعاً، وأن الله فعال لما يريد، وأهمية إحسان تربية الدعاة.

ومن أهم توصيات البحث:

١- إن التزام منهج دعوة الانبياء في الدعوة إلى الله لا بد أن يحيى في واقع الدعوة سواء على مستوى الأفراد والمؤسسات.

٢- ضرورة النظر في كتاب الله تعالى لاقتباس شيء من نوره والتعلم منه منهج حياتنا في الطريق إلى الله وإلى دعوة الله.

٣- بروز الحاجة الشديدة توعوية تأهيلية على وورش عمل وحلقات نقاش، وفق برنامج محكم للدعاة إلى الله يختص بعرض ودراسة دعوة الأنبياء.

وأملنا أن يكون هذا البحث مع غيره من الدراسات والمؤلفات السابقة، خطوة لتصحيح وتقييم وتقويم مسيرة العمل الدعوة.

اللهم اجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وممن يهتدون بهدي سيد البشر، وممن يكونون معينين على إيصال سنته إلى كل البدو والحضر، وممن يقومون على إيصال دعوة الله للناس أجمعين، وأن نكون ممن يقوم على وضع لبنة من لبنات بناء صرح هذه الأُمة العظيم.

كما نسأله سبحانه أن يجزي خيراً كل من ساهم في إخراج هذا البحث بتوجيه أو فكرة أو تصويب خطأ أو بيان، وأن لا يحرمنا وإياهم الأجر، كما نسأله سبحانه أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم وأن ينفع به المسلمين، وأن يكون حجة لنا لا علينا، اللهم آمين.

وفي الختام أقول هذه محاولة بشر، أرادوا بها الخير لهم ولأمتهم ولإخوانهم في طريق الدعوة إلى الله، وعمل البشر لا يخلو من أخطاء وزلل فما كان في هذا العمل من خير وصواب فمن توفيق الله وحده، وما كان فيه من خطأ وزلل فمن الشيطان، ونسأل الله تعالى أن يغفره، وأن يتجاوز عنا.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

ثبت المصادر والمراجع

١- الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط١، ١٣٩٤هـ.

٢- الأتقياء الأخفياء د. سعيد عبد العظيم، دار طيبة الخضراء، ط١، ١٤٢٠هـ.

٣- أحكام القرآن، محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي، تحقيق، على البجاوي، دار المعرفة، بيروت.

٤- إدريس وهود وصالح عليهم السلام من وحي القرآن، عقيل حسين، دار ابن كثير، ط١، ٢٠١١م.

٥- آدم من وحي القرآن، الدكتور عقيل حسين عقيل، دار بن كثير، دمشق، ٢٠١٠م.

٦- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري وبهامشه صحيح مسلم بشرح النووي، شهاب الدين أحمد بن محمد الخطيب القسطلاني، محي الدين يحي بن شرف النووي، ط٧، ١٣٢٣هـ، المطبعة الأميرية، بولاق.

٧- الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، إمام الحرمين أبي المعالي الجويني، تحقيق: أسعد تميم، مؤسسة الكتب الثقافية، ط١، ١٤٠٥هـ.

٨- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، محمد ناصر الدين الألباني، إشراف: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤٠٥ هـ.

٩- أسباب نجاح الدعوة الإسلامية في العهد النبوي، عبد الله محمد آل موسى، رسالة ماجستير، جامعة الأمام محمد بن سعود، الرياض، ١٩٨٣هـ.

١٠- أسد الغابة في معرفة الصحابة، علي بن أبي الكرم الجزري، عز الدين ابن الأثير، المحقق: علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ.

١١- الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية، «دراسة تأصيلية على ضوء الواقع المعاصر»، أ. د. عبد الرحيم بن محمد المغذوي، دار الحضارة، الرياض، ط٢، ١٤٣١ هـ.

١٢- أصول الدعوة، عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، ط٩، ١٤٢١هـ.

١٣- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ط١، ١٤٢٦هـ.

١٤- أطلس تاريخ الأنبياء والرسل، سامي الملغوث، مكتبة العبيكان، ط٦، ١٤١٨هـ.

١٥- إعانة المستفيد لشرح كتابة التوحيد، صالح بن فوزان الفوزان، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤٢٣هـ.

١٦- أعلام خالدة في القرآن الكريم، شحات الفيومي، دار الطباعة المحمدية، ١٩٨٨م.

١٧- إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٣٩٥هـ.
١٨- الأمر بالعُزلة في آخر الزمان لابن الوزير اليماني، دار الصحابة للتراث بطنطا، مصر، بتحقيق ودراسة الدار، ط١، عام ١٤١٢هـ.
١٩- أمراض القلب وشفاؤها، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية، المطبعة السلفية، القاهرة، ط٢، ١٣٩٩هـ.
٢٠- الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن العليمي الحنبلي، أبو اليمن، مجير الدين، تحقيق: عدنان يونس عبد المجيد نباتة، مكتبة دنديس - عمان.
٢١- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تفسير البيضاوي، مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٨٨هـ.
٢٢- أيوب وذو الكفل وإلياس واليسع عليهم السلام من وحي القرآن، عقيل حسين، دار ابن كثير، ط١، ٢٠١١م.
٢٣- الخضر نبي، للشيخ عبد الله بن صديق الغماري، بحث منشور على موقع الألوكة.
٢٤- بحث: تحقيق قصة بحيرى، د. محسن عبد الحميد، بحث محكم، مجلة الجامعة الإسلامية، عدد ٤ سنة ٩ ص ٦٩ - ٧٣.
٢٥- دعوة عيسى عليه السلام في الكتاب والسنة. د. سليمان بن قاسم العيد، بحث محكم، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤٢١هـ.
٢٦- بحر العلوم، أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي، دار الفكر، بيروت.
٢٧- البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، المحقق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ط ١٤٢٠ هـ.
٢٨- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، أحمد بن محمد بن المهدي، المحقق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الدكتور حسن عباس زكي، القاهرة، ط١٤١٩هـ.
٢٩- البدء والتاريخ، المطهر بن طاهر المقدسي، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد.
٣٠- البداية والنهاية، الحافظ ابن كثير الدمشقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ.
٣١- بدائع الفوائد، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، تحقيق: هشام عبد العزيز عطا، عادل عبد الحميد العدوي، أشرف أحمد الحج، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، ط١، ١٤١٦هـ.
٣٢- البرهان في علوم القرآن، محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي أبو عبد الله، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩١هـ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم.
٣٣- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، لمحمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، بيروت.

٣٤- بيان المعاني، عبد القادر بن ملّا حويش محمود آل غازي العاني، مطبعة الترقي، دمشق، ١٣٨٢هـ.

٣٥- تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد الحسيني، الملقّب بمرتضى الزَّبيدي، المحقق: مجموعة من المحققين، دار الهداية التاج والإكليل لمختصر الخليل لمحمد بن يوسف العبدري

٣٦- تاريخ ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون أبو زيد ولي الدين الحضرمي الإشبيلي، المحقق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٤٠٨هـ.

٣٧- تاريخ الدعوة للدكتور جمعة الخولي، المكتبة التوفيقية، القاهرة ١٣٩٦ هـ.

٣٨- تاريخ الرسل والملوك، لأبى جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: أبو الفضل إبراهيم، طبعة دار المعارف، القاهرة، ١٣٨٣ هـ.

٣٩- تأملات قرآنية في سورة الكهف – سلسلة مقالات د. فتحي الموصلي منشورة على موقع ملتقى أهل التفسير.

٤٠- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن عاشور، طبعة مؤسسة التاريخ العربي، بيروت.

٤١- تحفة الأحوذي في شرح سنن الترمذي، أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفورى، دار الكتب العلمية، بيروت.

٤٨- التدرج في دعوة النبي ﷺ، د. إبراهيم بن عبد الله المطلق، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – مركز البحوث والدراسات الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ.

٤٩- التسهيل في علوم التنزيل، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي، المحقق: د. عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط١، ١٤١٦ هـ.

٥٠- التعاريف المناوي، محمد عبد الرؤوف المناوي، دار الفكر المعاصر، دار الفكر، بيروت، دمشق، ط١، ١٤١٠هـ.

٥١- تفسير ابن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، عبد الحميد بن باديس، المحقق: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ.

٥٢- تفسير ابن عثيمين، جزء الذاريات، محمد بن صالح العثيمين، طبعة مؤسسة ابن عثيمين الخيرية، ١٤٣٥هـ.

٥٣- التَّفْسِيرُ البَسِيْط، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، المحقق: أصل تحقيقه في «١٥» رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة بسبكه وتنسيقه، عمادة البحث العلمي – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ.

٥٤- تفسير البيضاوي أنوار التنزيل وأسرار التأويل، عبد الله بن عمر الشيرازي البيضاوي، تحقيق: مجدي فتحي السيد، المكتبة التوفيقية، القاهرة.

٥٥- تفسير الجلالين، جلال الدين محمد بن أحمد المحلي وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار الحديث، القاهرة، ط١ . تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم

٥٦- تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط١، ١٤١٨هـ.

٥٧- تفسير القرآن العظيم، عبد الرحمن بن محمد بن أبي حاتم، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، ط١، ١٤١٧هـ.

٥٨- تفسير القرآن، تفسير السمعاني، منصور بن محمد بن عبد الجبار التميمي المروزي الشافعي السلفي أبو المظفر السمعاني، المحقق: ياسر بن إبراهيم أبو تيميم - غنيم بن عباس أبو بلال، دار الوطن للنشر، ١٤١٨هـ.

٥٩- تفسير سورة، الكهف لابن عثيمين، دار ابن الجوزي «طُبع بإشراف مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية»، الدمام، ط١، ١٤٢٣هـ.

٦٠- التفسير الموضوعي، كلية الدراسات جامعة الشارقة، ط١٤٣٢ه، والنسخة منشورة على موقع طريق الإسلام.

٦١- التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة، القاهرة، ط١ .

٦٢- الوسيط في تفسير القرآن المجيد، علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، ١٤١٥هـ.

٦٣- تفسير جزء الذاريات، محمد بن عثيمين، مؤسسة ابن عثيمين الخيرية، دار الثريا للنشر، وتفسير السورة ضمن مجموعة سور في مجلد واحد.

٦٤- تفسير محمد بن عبد الوهاب، تفسير آيات من القرآن الكريم «مطبوع ضمن مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، الجزء الخامس»، محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي، المحقق: الدكتور محمد بلتاجي، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية.

٦٥- تفسير مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء البلخي، تحقيق: أحمد فريد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ.

٦٦- تنوير المقباس من تفسير ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، جمعه: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، دار الكتب العلمية - لبنان.

٦٧- تهذيب الأسماء واللغات، أبو زكريا محي الدين بن شرف النووي، دار الكتب العلمية، بيروت.

٦٨- التواضع والخمول، أبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن أبي الدنيا، تحقيق محمد عبد القادر عطا، ط١، ١٤٠٩هـ، دار الكتب العلمية.

٦٩- تيسير التفسير، إبراهيم القطان، مرقم آلياً غير موافق للمطبوع، وهو ضمن خدمة مقارنة التفاسير، نسخة المكتبة الشاملة.

٧٠- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: د. عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ.

٧١- تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٢هـ.

٧٢- جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، طبعة مركز البحوث والدراسات الإسلامية، القاهرة، ط١، ١٤٢٢هـ، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي.

٧٣- جامع الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٩هـ، اعتناء فريق بيت الأفكار الدولية.

٧٤- جامع المسائل، تقي الدين أبو العَباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية، تحقيق: محمد عزير شمس، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٢هـ.

٧٥- جامع بيان العلم وفضله، يوسف بن عبد البر النمري، دار الفكر، بيروت، لبنان.

٧٦- الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ.

٧٧- جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، المحقق: شعيب الأرناؤوط عبد القادر الأرناؤوط، دار العروبة، الكويت، ط٢، ١٤٠٧هـ.

٧٨- الجهاد في سبيل الله، لعبد الله القادري، دار المنارة - جدة، سنة النشر: ١٤١٣هـ.

٧٩- الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء، ابن قيم الجوزية، دار المعرفة، المغرب، ط١، ١٤١٨هـ.

٨٠- لقاءات الباب المفتوح، للشيخ محمد العثيمين، لقاء رقم/ ١٧٦.

٨١- حكم ومواعظ عيسى ابن مريم لطارق الطنطاوي، مكتبة ابن سينا، القاهرة، ١٤١٢هـ.

٨٢- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبونعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٤، ١٤٠٥هـ.

٨٣- حماية الرسول ﷺ حمى التوحيد، لمحمد بن زربان، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، ١٤٢٣٢هـ.

٨٤- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: د. عبد الله التركي، مركز هجر للبحوث والدراسات الإسلامية والعربية، القاهرة، ط١، ١٤٢٤هـ.

٨٥- درء تعارض العقل والنقل، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، ط٢، ١٤١١هـ.

٨٦- دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند د: محمد ضياء الرحمن الأعظمي، مكتبة الرشد. ٢٠٠٣م.

٨٧- الدعاء للطبراني، سليمان بن أحمد أبو القاسم الطبراني، المحقق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ.

٨٨- دعوة الرسل عليهم السلام، أحمد غلوش، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٣هـ.

٨٩- دعوة النبي ﷺ للأعراب الموضوع الوسيلة الأسلوب، حمد بن جابر الحارثي، دار المسلم، الرياض، ط١، ١٤١٩هـ.

٩٠- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني أبو بكر البيهقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٥ هـ.

٩١- دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، محمد علي بن علان، اعتنى بها: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط٤، ١٤٢٥ هـ.

٩٢- الديباج على مسلم، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، حققه: أبو إسحاق الحويني الأثري، دار ابن عفان، الخبر، السعودية، ط١، ١٤١٦هـ.

٩٣- الذريعة إلى مكارم الشريعة، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني.

٩٤- رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين بن قيم الجوزية، المحقق: عبد الله بن محمد المديفر، مطابع الشرق الأوسط، الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ.

٩٥- رسالة علمية بعنوان: عصمة الأنبياء بين المسلمين وأهل الكتاب، إعلام المسلمين بعصمة النبيين، د إسحاق بن عقيل عزوز المكي.

٩٦- رعاية الله لأنبيائه في القرآن، محمد بن عبد العزيز العواجي، دار طيبة، مكة المكرمة ١٤٣٩هـ.

٩٧- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، المحقق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

٩٨- الروض الأنف تفسير سيرة ابن هشام، عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي، إخراج: عبد الرؤوف سعيد، دار المعرفة، بيروت، منقحة، ١٣٩٨هـ.

٩٩- زاد المسير في علم التفسير، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤٠٤هـ.

١٠٠- الزهد، أحمد بن حنبل، دار الريان للتراث، القاهرة، مصر، ط٢، ١٤١٢هـ.

١٠١- الزهد، عبد الله بن المبارك بن واضح المرزوي أبو عبد الله، دار الكتب العلمية، بيروت، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي.

١٠٢- الزهر النضر في حال الخضر، أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، المحقق: صلاح مقبول أحمد، مجمع البحوث الإسلامية - جوغابائي نيودلهي - الهند، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

١٠٣- زهرة التفاسير، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة، دار الفكر العربي.

١٠٤- سبل الهدى الرشاد في سيرة خير العباد، الصالحي محمد يوسف الصالحي، تحقيق: د. مصطفى عبد الواحد، القاهرة، ١٤١٤هـ.

١٠٥- السلسلة الصحيحة، محمد بن ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٤، ١٤٠٥هـ.

١٠٦- السنة لابن أبي عاصم، أبو بكر بن أبي عاصم وهو أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد، المحقق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٠هـ.

١٠٧- سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد ابن ماجه القزويني، بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٩هـ، اعتناء فريق بيت الأفكار الدولية.

١٠٨- سنن الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن أبو محمد الدارمي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ.

١٠٩- السنن الكبرى للبيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي، المحقق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٣، ١٤٢٤هـ.

١١٠- سنن النسائي، عبد الرحمن بن أحمد النسائي، بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٩هـ، اعتناء فريق بيت الأفكار الدولية.

١١١- سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٦، ١٤٠٩هـ.

١١٢- السير والمغازي لابن إسحاق، محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء المدني، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٣٩٨هـ.

١١٣- السيرة النبوية الصحيحة، أكرم العمري، مكتبة المعارف والحكم، المدينة المنورة، ط١، ١٤١٢هـ.

١١٤- السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث، عَلي محمد محمد الصَّلاَّبي، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط٧، ١٤٢٩هـ.

١١٥- السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة، محمد أبو شُهبة دار القلم، دمشق ط٨، ١٤٢٧ هـ.

١١٦- السيرة النبوية، ابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا، مؤسسة علوم القرآن، دمشق، بيروت، دار القبلتين للثقافة الإسلامية، جدة.

١١٧- السيرة النبوية دراسة وتحليل، محمد أبو فارس، دار الفرقان، ط١، ١٤١٨هـ.

١١٨- حاشية الإمام الباجوري على جوهرة التوحيد المسمى تحفة المريد على جوهرة التوحيد، برهان الدين إبراهيم الباجوري، المحقق: علي جمعة، دار السلام،ط١، القاهرة.

١١٩- شرح الطحاوية في العقيدة السلفية، المؤلف: محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، وكالة الطباعة والترجمة في الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد

١٢٠- شرح صحيح البخاري لابن بطال، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري القرطبي، مكتبة الرشد، السعودية، الرياض، ط٢، ١٤٢٣هـ.

١٢١- شعب الإيمان، أحمد بن الحسيني البيهقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول.

١٢٢- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، دار الفكر - بيروت، ١٣٩٨ - ١٩٧٨.

١٢٣- صحيح الجامع الصغير وزياداته، محمد الألباني، تعليق وفهرسة: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ.

١٢٤- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، تحقيق: شعيب الأرنؤوط.

١٢٥- صحيح ابن خزيمة، محمد بن إسحاق بن خزيمة أبو بكر السلمي النيسابوري، تحقيق: د. محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٣٩٠هـ.

١٢٦- صحيح سنن ابن ماجه، محمد ناصر الدين الألباني، تعليق وفهرسة: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ.

١٢٧- صحيح سنن أبي داوود، محمد ناصر الدين الألباني، تعليق وفهرسة: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ.

١٢٨- صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري أبو عبد الله، حقق أحاديثه وعلق عليه: محمد ناصر الدين الألباني، دار الصديق للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤١٨هـ.

١٢٩- صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، حقق أحاديثه وعلق عليه: محمد ناصر الدين الألباني، دار الصديق للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤١٨هـ.

١٣٠- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، اعتناء: أبي صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٩هـ.

١٣١- صحيح الترغيب والترهيب، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط٥.

١٣٢- صحيح مسلم، بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٩هـ، اعتناء: فريق بيت الأفكار الدولية.

١٣٣- صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ١٤١٧هـ.

١٣٤- الصمت وآداب اللسان، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن أبي الدنيا، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤١٠ه، تحقيق: أبو إسحاق الحويني.

١٣٥- الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٠٨هـ.

١٣٦- الطبقات الكبرى، ابن سعد محمد بن سعد الزهري، دار صادر، ودار بيروت للطباعة والنشر، ١٣٧٦هـ.

١٣٧- الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية، نايف أحمد الحمد، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ط١، ١٤٢٨هـ.

١٣٨- ظلال الجنة في تخريج السنة، محمد ناصر الدين، المكتب الإسلامي، ط١، ١٤٠٠هـ.

١٣٩- العقيدة الإسلامية والقضايا الخلافية عند علماء الكلام دراسة مقارنة، رسالة دكتوراة، كمال الدين نور الدين مرجوني البوغيسي، دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠١٤هـ.

١٤٠- عمدة التفسير عن ابن كثير، تحقيق: أحمد شاكر، دار الوفاء، جدة، ط٢، ١٤٢٦هـ.

١٤١- غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٤٠٥هـ.

١٤٢- غريب الحديث، أبو عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي، لمحقق: د. محمد عبد المعيد خان، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن، ط١، ١٣٨٤هـ.

١٤٣- غريب الحديث، عبد الرحمن بن علي بن محمد ابن الجوزي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٥م، تحقيق: د. عبد المعطي أمين قلعجي.

١٤٤- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ترقيم وتبويب: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الريان للتراث، القاهرة، ط١، ١٤٠٧هـ.

١٤٥- فتح الباري لابن رجب، دار ابن الجوزي - السعودية / الدمام - ١٤٢٢هـ، ط٢، تحقيق: طارق بن عوض الله.

١٤٦- فتحُ البيان في مقاصد القرآن لمحمد صديق خان، المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا، بَيروت، ١٤١٢هـ.

١٤٧- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن على الشوكاني، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، ط١، ١٤١٥هـ.

١٤٨- فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن عبد الوهاب، دار البيان، دمشق.

١٤٩- فضائل القرآن، محمد بن أيوب بن يحيى بن الضريس، ٢٩٥هـ، تحقيق: د. مسفر بن سعيد الغامدي، دار حافظ للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٠٨هـ.

١٥٠- فقه الأدعية والأذكار، عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، دار ابن عفان للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٩هـ.

١٥١- فقه السيرة النبوية، محمد سعيد البوطي، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط١٠، ١٤١١هـ.

١٥٢- فقه اللغة وسر العربية، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي، إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

١٥٣- الفوائد العلمية في قصة موسى والخضر، د. حلمي الرشيدي، دار البصيرة.

١٥٤- الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان، ابن القيم الجوزية، تحقيق: د. عطية الغول، دار الجنان للنشر والتوزيع.

١٥٥- فوائد من قصة أصحاب الكهف د. عبد الله الوشمي، مقال منشور على موقع ملتقى أهل التفسير.

١٥٦- قصة أصحاب الأخدود، رفاعي سرور، هادف للنشر والتوزيع - مصر. الطبعة الخامسة ١٩٩٥م.

١٥٧- قصص الأنبياء، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تحقيق: مصطفى عبد الواحد.

١٥٨- مع قصص السابقين في القرآن، د. صلاح الخالدي، دار القلم، دمشق، ط٥، ٢٠٠٧م.

١٥٩- القصص القرآني، صلاح الخالدي، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤١٩هـ.

١٦٠- الكامل في التاريخ، علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري، ابن الأثير.

١٦١- الرسل والرسالات، عمر الأشقر، طبعة: دار النفائس، الأردن، الطبعة الثامنة: ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م.

١٦٢- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، دار المعارف، بيروت.

١٦٣- لباب التأويل في معاني التنزيل، تفسير الخازن، علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المحقق: تصحيح محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١ - ١٤١٥ هـ.

١٦٤- اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

١٦٥- لسان العرب، محمد مكرم منظور، دار الصادر، بيروت، ط١ .

١٦٦- لطائف الإشارات، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، المحقق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط٣.

١٦٧- لقمان الحكيم وحكمه، محمد يوسف، دمشق: دار القلم؛ بيروت: الدار الشامية، ١٤٢٠هـ.

١٦٨- لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي، مؤسسة الخافقين ومكتبتها - دمشق، ط٢ - ١٤٠٢هـ.

١٦٩- ليدبروا آياته - حصاد سبع سنوات من التدبر - النخبة العلمية في مركز تدبر - دار الصميعي للنشر والتوزيع - الرياض - الطبعة الأولى ١٤٣٦هـ.

١٦٩- مباحث المفاضلة في العقيدة د. محمد الشظيفي رسالة علمية، دار ابن عفان، ٢٠٠٣م.

١٧٠- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الفكر، بيروت، ط١٤١٢هـ.

١٧١- مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار، جمال الدين محمد طاهر بن علي الكجراتي، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ط٣، ١٣٨٧هـ.

١٧٢- مجموع الفتاوى، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، ط١٤١٦هـ.

١٧٣- مجموع فتاوى ومقالات متنوعة، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، جمع وترتيب: د. محمد بن سعد الشويعر، نشر مؤسسة الحرمين الخيرية، ط٤، ١٤٢٣هـ.

١٧٤- مجموعة مؤلفات الشيخ محمد الخضر حسين، المحقق: علي رضا الحسيني، ١٤٣١ هـ، ط١ .

١٧٥- محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي، المحقق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.

١٧٦- محاضرات في تاريخ العرب والإسلام، د. عبد اللطيف الطيباوي، دار الأندلس، بيروت.

١٧٧- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تفسير ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤٢٢ هـ.

١٧٨- مختصر تفسير القرآن العظيم لابن كثير للصابوني، دار القرآن، بيروت/ ١٤٠٢هـ.

١٧٩- المختصر في أخبار البشر، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن شاهنشاه بن أيوب، الملك المؤيد، صاحب حماة، المطبعة الحسينية المصرية، ط١.

١٨٠- المختصر في التفسير، إعداد مجموعة من العلماء، تحت إشراف مركز تفسير، ط١٤٣٧هـ.

١٨١- المخصص، ابن سيده، علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، المحقق: خليل إبراهم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ.

١٨٢- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد المعتصم بالله، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤١٦هـ.

١٨٣- مدارك التنزيل وحقائق التأويل تفسير النسفي، أبوالبركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، مطبوعات محمد علي صبيح وأولاده، ميدان الأزهر، القاهرة.

١٨٤- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، المحقق: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.

١٨٥- المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ.

١٨٦- المستدرك على مجموع فتاوى شيخ الإسلام، المتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، جمعه ورتبه وطبعه على نفقته: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، ط١، ١٤١٨هـ.

١٨٧- المستفاد من قصص الأنبياء للدعوة والدعاة، عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، بيروت. ١٤١٩هـ.

١٨٨- المسلم بين الهوية الإسلامية والهوية الجاهلية، جمع وإعداد: علي بن نايف الشحود ٣/ ٢٤٠.

١٨٩- مسند أبي داود الطيالسي، سليمان بن داود أبو داود الطيالسي، دار المعرفة، بيروت.

١٩٠- مسند أبي يعلى، أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي التميمي، دار المأمون للتراث، دمشق، ١٤٠٤هـ.

١٩١- مسند الإمام أحمد، أحمد بن حنبل الشيباني، مؤسسة قرطبة، القاهرة، مذيل بأحكام: شعيب الأرنؤوط عليها.

١٩٢- مشكاة المصابيح، حمد بن عبد الله الخطيب العمري، أبو عبد الله ولي الدين التبريزي، المحقق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٩٨٥م.

١٩٣- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، المكتبة العلمية، بيروت.

١٩٤- مصنف ابن أبي شيبة في الأحاديث والآثار، للحافظ عبد الله بن محمد بن أبي شيبة إبراهيم بن عثمان ابن أبي بسكر بن أبي شيبة، ضبطه وعلق عليه: سعيد اللحام، مكتب الدراسات والبحوث في دار الفكر.

١٩٥- معارج القدس في مدارج معرفة النفس، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، دار الآفاق الجديدة - بيروت، ط١، ١٩٧٥م.

١٩٦- المعارف، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري تحقيق: ثروت عكاشة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط٢، ١٩٩٢م.

١٩٧- معالم أصول التربية من خلال وصايا لقمان، د. عبد الرحمن الأنصاري ص٤٤٣.

١٩٨- معالم التنزيل في تفسير القرآن تفسير البغوي محيي السنة، الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي، المحقق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ.

١٩٩- المعجم الأوسط، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٥هـ.

٢٠٠- معجم البلدان، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، دار صادر، بيروت، ط٢، ١٩٩٥م.

٢٠١- المعجم الكبير، سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، ط٢، ١٤٠٤هـ.

٢٠٢- معجم لغة الفقهاء، محمد رواس قلعجي حامد صادق قنيبي، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٠٨هـ.

٢٠٣- معرفة السنن والآثار، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي، المحقق: عبد المعطي أمين قلعجي، جامعة الدراسات الإسلامية، كراتشي، باكستان، دار قتيبة، دمشق، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ

٢٠٤- المعلم الأول، فؤاد عبد العزيز الشلهوب، الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية.

٢٠٥- مفاتيح العلوم، محمد بن أحمد بن يوسف، أبو عبد الله، الكاتب البلخي الخوارزمي، المحقق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، ط٢.

٢٠٦- مفاتيح الغيب التفسير الكبير، محمد بن عمر بن الحسن الرازي الملقب بفخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ.

٢٠٧- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٠٨- المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، دار الفكر.

٢٠٩- تأملات من حياة نبي الله أيوب في القرآن، مقال منشور على موقع: ملتقى أهل التفسير لأبي العزايم عبد الحميد.

٢١٠- قصة أصحاب الكهف د. فوزية العقيل، مقال منشور على موقع صيد الفوائد.

٢١١- موسى بين يدي الخضِر دروس في أدب الطلب، د. خالد السيف، مقال منشور في مجلة البيان عدد ٦٢.

٢١٢- مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي، دار القلم، بيروت، ط٥، ١٩٨٤م.

٢١٣- من لطائف التفسير، أحمد فرح عقيلان، دار اليقين للنشر والتوزيع، المنصورة، ط١، ١٤١٩هـ.

٢١٤- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي أبو الفرج، دار صادر، بيروت، ط١، ١٣٥٨هـ.

٢١٥- المنهاج شرح صحيح مسلم «شرح النووي»، يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ.

٢١٦- منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله د. محمد الدويش، منشور على موقع إسلام ويب، وأصله مادة صوتية.

٢١٧- من موضوعات سور القرآن، سورة لقمان، عبد الحميد محمود طهماز، دار القلم دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ.

٢١٨- موطأ الإمام مالك، مالك بن أنس أبو عبد الله الأصبحي، دار إحياء التراث العربي، مصر، محمد فؤاد عبد الباقي.

٢١٩- ميثاق العهد في مسالك التعرف إلى الله، د. فريد الأنصاري، كتاب منشور على موقع طريق الإسلام.

٢٢٠- النبوات، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني، المحقق: عبد العزيز بن صالح الطويان، أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٠هـ.

٢٢١- نضرة النعيم في أخلاق سيد المرسلين، عدد من المختصين بإشراف الشيخ: د. صالح بن عبد الله بن حميد، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، ط٤.

٢٢٢- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، بهاء الدين إبراهيم بن عمر البقاعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ط٢، ١٤١٣هـ.

٢٢٣- نكت القرآن الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام، محمد علي الكرجي القصاب، دار ابن القيم - دار ابن عفان، ١٤٢٤هـ.

٢٢٤- النكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب الثقافية، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ.

٢٢٥- النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير، تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطانحي، المكتبة العلمية، بيروت.

فهرس الموضوعات

الفصل الرابع
دعوة الرسل من ذرية إبراهيم

الفصل الخامس

دعوة أنبياء من بني إسرائيل

الفصل السادس:

أنبياء أشار إليهم القرآن

الفصل السابع:

قصص دعوية لأتباع الأنبياء في القرآن